السنة السادسة العدد ٦٦ ـ شعبان ١٤٠١ هـ ـ يونيه ١٩٨١ م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية





البعد المفقود في حياة الإنسان المعاصر

خالد محمد خالد

شهريات د. يوسف إدريس

المرأة لغويا وحضاريا

محمد العدناني





لقاء مع الفنان

حلمي التوني

واتجاه أصيل في الرسم للأطفال



ميرندا بطعم البرتقال الطبيعي

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٦٦ - يونيو "حزيران" ١٩٨١

رئيس التحرير :

رجاء النقاش

مدير التحرير :

عبدالقادر حميدة

المدير الفني :

أحمد فاضل

المحرر العام

كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج :

مرزوق بشير

التحرير :

النور عثمان أبكر عبدالله جابر

نادية رزق ممدوح عبدالرحمن

سكرتير التحرير :

نبيل خالد الأغا

الإشراف الفني :

محمد نبيل حداد نائلة محمد فتحي

سكرتيرا التحرير الفنيان :

أحمد عبدالله علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

المراسلات :

التحرير والادارة :
ص . ب ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تليكس :
4521 MAGDO DH

تليفونات :
رئيس التحرير : ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
القسم الادارى والمالى : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

الأسعار :

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقى دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

الاشتراكات :

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريال قطرى
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
فى باقى دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

- المواد لا تعاد الى مرسليها نشرت او لم تنشر
- ما ينشر فى المجلة لا يعبر بالضرورة عن راى الوزارة او المجلة

طبعت بمطابع علي بن علي . الدوحة - قطر

في هذا العدد


خالد محمد خالد


متولى الشعراوى


د. يوسف ادريس


د. محمد الرميحى


د. محمد الأنصارى


جمال قطب

- رسائل الى المحرر ٦
- البعد المفقود فى حياة الانسان المعاصر ..... خالد محمد خالد ٨
- النفط والثقافة ..... د. محمد غانم الرميحى ١١
- فى حتمية الحل الحضارى الشامل ..... د. محمد جابر الانصارى ١٤
- التماثيل ..... د. عبد السلام العجيلى ١٦
- البخيلان : الحكيم ونجيب محفوظ ..... د. يوسف ادريس ١٨
- التقدم والاخلاق ..... درويش مصطفى الفار ٢١
- الأحرف العذارى « قصيدة » ..... محمد الفهد العيسى ٢٢
- الدعاء وصادق العبادة ..... محمد متولي الشعراوى ٢٤
- دويلة سعد الحداد ..... عصام شريح ٢٦
- شاعر « دارين » بين الحضور والغياب ..... على عبد الله خليفة ٣٠
- اضواء ٣٢
- الاسلام والطائفية ..... د. محمد عمارة ٣٥
- المراة لغويا واجتماعيا ..... محمد العدنانى ٣٦
- جين اوستن : الفنانة التى تجاهلت نابليون ..... جمال كنانى ٤٠
- رؤية نيويورك « قصيدة » ..... محمد ابراهيم ابو سنة ٤٣
- الحصبة الالمانى وخطرها على الحامل ..... د. فاروق حسيب ٤٤
- هؤلاء المصابون بالصرع ..... د. عبد المنعم عاشور ٤٦
- من عيون الحكمة ٥٠
- الحرف واللون في تشكيلات بديعة ..... الغمرى عقل ٥١
- لقاء مع الفنان حلمي التوني ..... كمال سعد ٥٦
- ذو القرنين « قصة » ..... عبد الله الطوخى ٦٢
- زهرة البرسيم «قصيدة» ..... على عبد الله خليفة ٦٦
- القيام « قصة » ..... صلاح عبد السيد ٦٧
- امجاد الاندلس ..... جمال قطب ٦٨
- سر السمكة الذهبية ٧٦
- خان يونس .. مدينة الشهداء ..... نبيل خالد الأغا ٧٨
- النملة .. وقرص الخبز الأسود ..... أم أكثم ٨٢
- النورس يبحث عن الحرية ..... الفاتح ابراهيم احمد ٨٤
- روايتان . وكاتب له رؤية فى الحياة ..... ابو المعاطى ابو النجا ٨٨
- نابليون وسخرية الاقدار ..... على ادهم ٩٢
- الرد على مغامرة فى عالم يحيى حقى ..... مجيد طوبيا ٩٦
- سفينة الصحراء ..... د. محمد الغباشى ربيع ٩٩
- ونعيش نضحك للقمر ... «قصيدة» ..... د. اسامه عبد الرحمن ١٠٤
- لقطات من الكون المثير ١٠٦
- وللبحار متاحف متحركة ..... د. عبد المحسن صالح ١٠٨
- من اجلك «قصيدة» ..... جليلة رضا ١١٥
- فدوى طوقان وحياتها العاطفية ..... د. عيسى الناعورى ١١٦
- محمد عثمان عبقري النغم العربي ..... احمد شفيق ابو عوف ١٢٢
- هل كان شارلوك هولمز يهودياً ؟ ..... سمير فريد ١٢٤
- ناسك من الغرب ..... محمد العزب موسى ١٢٨
- «ليلة العجب» قصة ..... عباس خضر ١٣٢
- ضحكات الشهر ..... صلاح الليثي ١٣٤
- بنفسجة للجحيم «شعر» ..... حسن طلب ١٣٦
- دوحة الماضي ١٣٨
- دوحة القراء ١٤٢
- التراث وعبث الصغار ..... د. عماد الدين خليل ١٤٦

كلمة

آمال ثقافية في التعاون الخليجي

□ يصدر هذا العدد من «الدوحة» بعد أيام من اجتماع قمة «التعاون الخليجى» فى أبو ظبى ، ولا شك أن مجلس التعاون الخليجى قد اصبح الآن موضع آمال كبيرة لكل العرب فى الخليج وخارج الخليج ، وهى آمال متعددة متنوعة ، يرجو الجميع أن تتحقق فى كل المجالات ابتداء من التنمية الاقتصادية الى الأمن القومى .. على أن المثقفين العرب فى الخليج ، وخارج الخليج ، يحملون ايضاً آمالهم الكبيرة فى مجلس التعاون الخليجى ، وهذه ملامح عامة لبعض الآمال المنشودة من التعاون الخليجى ، والتى ينتظر الجميع أن تكون ضمن خطة ثقافية واسعة فى هذا المجال :

فهناك مشروع « دائرة المعارف العربية » التى توازى دائرة المعارف البريطانية ، وتختلف عنها فى أنها سوف تعبر عن حضارتنا وثقافتنا وتاريخنا العربى الطويل المشترك ، ومثل هذا المشروع لا يمكن أن يقوم به فرد أو مؤسسة عادية ، أو دولة لا تملك إمكانيات كافية لانجازه ، والفرصة الحقيقية المتاحة هى أن يتم تحقيق هذا المشروع عن طريق مجلس التعاون الخليجى فى تخطيطه الثقافى لخدمة العرب ، خليجيين وغير خليجيين .

والمشروع الثانى الذى يمكن أن يتحقق فى هذا المجال هو دائرة معارف اسلامية ، مثل دائرة المعارف الاسلامية التى أصدرها عدد من كبار المستشرقين الألمان ، ولكن دائرة المعارف الاسلامية التى صدرت فى أوربا ـ على قيمتها وأهميتها ـ مليئة بالأخطاء وأحياناً بالدسائس والسموم . ودائرة المعارف الاسلامية المقترحة ينبغى أن تصحح الأخطاء وترد على أى عدوان حضارى وثقافى ضدنا وما أكثر ألوان العدوان فى هذا المجال .

هناك بعد ذلك المخطوطات العربية المبددة فى انحاء العالم والتى بلغ عددها الملايين ، وهى موجودة فى تركيا وهولندا وألمانيا ، وعديد من البلاد غير العربية ، ولابد من نقل هذه المخطوطات الى العالم العربى بالطرق العلمية الحديثة لأن الذين يملكونها لن يفرطوا فيها ، ولكنهم يمكن أن يسمحوا لنا بتسجيلها بأسلوب « الميكروفيلم » على سبيل المثال .

ويمكن أن يقام فى الخليج ، وعن طريق مجلس التعاون ، مركز عالمى للمخطوطات العربية ، وسوف يكون مثل هذا المركز منارة حضارية كبرى ، وهو ثروة مادية ومعنوية لا تقدر بمال فى الحاضر والمستقبل .

وليس المهم فقط أن نحصل على هذه المخطوطات ، بل لابد من خلق أجهزة علمية من بين شباب الأجيال الجديدة ، وذلك من أجل تحقيقها ونشرها ، وتصحيح التاريخ العربى والفكر العربى كله من خلال نشر هذه المخطوطات ... المهم أن نؤكد أن هذا المشروع قد يتكلف كثيرا ، ولكنه رابح مادياً على المدى الطويل بما يعوض تكاليفه أضعافاً مضاعفة ، بل ربما يعود على الخليج بالربح المادى والمعنوى الوفير بصورة دائمة ومنتظمة .

هناك أيضاً قضية اللغة العربية ودراستها بالنسبة للمسلمين غير الناطقين بالعربية وبخاصة فى أفريقيا وآسيا فاللغة العربية هى أكبر دعم للنفوذ الحضارى العربى ، بل هى بصراحة أكبر دعم للنفوذ السياسى والاقتصادى العربى ، وذلك أمر معلوم وواضح بالنسبة للشعوب الحية جميعاً ، وعندما تزور ملكة انجلترا أو رئيسة وزرائها بلداً من البلدان ، يكون من بين برامجهما الرئيسية تقديم معونات مادية وأدبية للمدارس والمعاهد التى تقوم بتدريس اللغة الانجليزية ، لأن الثروة الأولى لانجلترا الآن هى اللغة الانجليزية والثقافة الانجليزية ، وينبغى أن تكون ثروتنا الأولى والثابتة هى اللغة العربية ، واللغة العربية بانتشارها إنما تحمى معها وتصون كل ما نملكه ، وعلى رأس ما نملكه : البترول ، فكلما انتشرت اللغة كسبنا الأصدقاء ، والانصار ، والمؤيدين ، وازدادت عروبة البترول ، وازداد رسوخه فى الأرض ، بل واستطعنا أن نكون أصحاب قوة حتى بعد نفاد البترول ، كما أصبحت انجلترا ـ عن طريق لغتها وثقافتها ـ ذات قوة وتأثير واسعين فى العالم كله ، حتى بعد أن فقدت الكثير من مصادر قوتها التى كانت معروفة فى القرن الماضى وأوائل هذا القرن .

إن الدور الخليجى فى ميدان الثقافة العربية واسع وهام ، وهناك آمال كبيرة ينتظرها العرب جميعاً من مجلس التعاون فى هذا المجال .

نعم .. كل العرب ينتظرون هذا الخير الثقافى العام على يد مجلس التعاون الخليجى ، الذى نرجو أن يكون ميلاده بداية نهوض وثراء وخطوات واسعة وحقيقية الى الأمام .

رجاء النقاش

رسائل إلى المحرر

● قنطار خشب

● لفتت نظرى الصفحة الأخيرة فى العدد الثانى والستين ـ فبراير ٨١ ـ .. بل هزتنى بعنف .. «إن قنطاراً من خشب الرواية بدرهم من الحلاوة نجده فى بيت شعر واحد» نتيجة فيها تجاوز كبير ، ولي عليها تحفظ.

إننى من عشاق الشعر الى حد الهيام ، ومع ذلك لا أرى هذه النتيجة صحيحة ، فان المغزى الذى نخرج به من الرواية ، إنما نخرج به بعد أن نكون قد عايشنا صورة من الحياة ، تتلامس معنا ونتلامس معها بشكل او باخر ، وبعد أن نكون قد تمتعنا بالكثير من العطاءات الطيبة من خلال هذه المعايشة ، وتعرفنا على افكار وصور وآراء حية نابضة متماوجة ، ترتسم امامنا .

اما قراءة بيت الشعر الذى نخرج منه بنفس المغزى ، فاننا سرعان ما ننسى هذا المغزى بنفس السرعة التى استخرجناه بها .

إن مجرد سرد القصص والحكايات بحد ذاته مطلب غال وثمين عند الشاعر العبقرى الألمانى «جوته» وما المغزى فى رأيه إلا رشفة الدواء السحرية التى تتسرب وترشح قطرة قطرة ، حتى تغدو جرعة شافية فى نهاية الرواية .

ولو اننا وافقنا الكاتب على رأيه ، لأدرنا ظهورنا لتسعين بالمائة من عمالقة الأدب فى العصر الحديث ، ولأغلقنا باباً من ابواب الثقافة والمعرفة .

وأخيراً ... ألم يستخدم القرآن الكريم أسلوب القصة فى سوره وآياته .. !

محمد رمضان الأحمر
دمشق ـ سوريا

● السفينة السندباد الجديد

اشارة الى مقال الاستاذ على عبد الله خليفة بعنوان هموم ثقافية المنشور بالعدد (يناير ١٩٨١) والخاص ببناء السفينة « السندباد الجديد » التى اقلعت من سلطنة عمان قاصدة الشرق الاقصى مسترجعة بذلك امجاد العرب الاوائل حين كانوا سادة البحار فانه لمما يؤسف له ان بعض الذين شاركوا فى صنعها نجارون هنود مع انها بنيت فى مدينة صور العمانية ذات التاريخ العريق فى صناعة السفن .

طالب عمانى

● شكراً لشعورك ، ولا يخفى عليك علاقة سلطنة عمان الحضارية مع الهند وكذلك بقية اقطار الخليج العربى منذ أزمان بعيدة ، وكون نجارين هنوداً قد شاركوا فى صنع السفينة لا يقلل من القيمة العلمية للتجربة والتى أعادت الى الأذهان ما كان للبحارة العمانيين من امجاد عريقة فى ركوب البحر .

علي عبد الله خليفة

● احياء التراث العربى

اتساءل لماذا لا تشارك مجلة الدوحة فى احياء التراث العربى بتناول احد أعلام الأدب العربى القديم وأعماله العظيمة ،حتى تسهم المجلة فى التعريف بماضينا التليد ، وتربطه بحاضرنا .. ، وحتى تكون الأجيال العربية على وعي تام بماضيها لتعي قوميتها وتراثها وحضارتها العريقة .

عبد العليم علي عبد العليم
كفر الزيات ـ ج . م . ع .

ـ هذه رسالة تقوم بها مجلة الدوحة فعلا من خلال موضوعاتها الكثيرة المتنوعة ولو تابعت الأعداد الصادرة ستجد أن ذلك متحقق فعلا .

● الأدب الشعبى

بعد قراءتى للعدد (٦٣ ـ مارس ٨١) لاحظت قلة الجرعة الأدبية والعلمية الشعبية فى المجلة ويقتصر النشر على الراقى منه فقط لذلك أرجو أن تعرفونا بالأدب الشعبى الخليجى .

السيد علي الحلوانى
كفر صقر ـ ج . م . ع

● راجع الأعداد الأخيرة من المجلة تجد الاجابة

● من تجاربي الشخصية
الطفل الكبير

ابواب الاستراحة مفتوحة دائماً ، فتزيد احساساً بالغربة ، ولأنك لا تملك شيئاً تغلقه على نفسك فيزيد احساسك بالضياع .

حمى خفيفة أصابتنى . عرق بارد ورعشة طول الليل ، وانا وحدى . السفر كان طويلا وشاقا . حولى لا يوجد شيء غير الظلمة . بيوت القرية أشباح تتراءى عن بعد ، كالعفاريت التى كانت تحكى لنا جدتى عنها .

الأطفال هنا كصغار الحيوانات الخائفة ، ترانى فتجفل وتجرى .

قلقت وقمت مراراً . النوم غير عميق كمياه مستنقع القرية ، متقطع كالطريق الترابى الذى يربطها بالمدينة .

نهضت أخيراً . عزمت على أن أخرج من هذا القبر الحي لأتمشى فى ساحة المستشفى . جلست على حافة السرير. الطفل قابع بجوار سريرى مثل كلب متعب . لا أدرى متى دخل الغرفة .

ـ متى جئت ؟

ـ منذ لحظة . سألت عنك فقالوا إنك مريض . انت طبيب فكيف تمرض ؟

كان يحشر جسمه فى جلبابه الكستور القذر الممزق . عظامه تطل من فتحات فى الجلباب كقرون استشعار . صدره العارى يطل هو الآخر من طوق الجلباب المفتوح . فى وجهه براءة الطفولة ، وضنك حياة قاسية تقفز من عينيه كبطاقة هوية .

كثيراً ما كان ياتينى فى عيادتى الخاصة . يدخل فى صمت . يجلس على الأرض . يحرك رقبته فى كل اتجاه كقط ينتظر قطعة لحم . يحدق فى المرضى واثاث الحجرة . وكما يجيء يذهب . كان يتيماً يعيش مع جدته العجوز المصابة بالشلل الرعاش . وكانت هى بداية تعرفى به . احضرها الى المستشفى يريد شفاءها .

ـ ليس لي سواها . إنها تسكب الطعام والشاى بيديها المرتعشتين دوماً . لا تستطيع غسل الملابس .

وبدأت علاجها ، واستجابت بعد وقت طويل . دائماً كان يشكرنى ويردد ما تقوله جدته :

ـ ربنا يحنن عليك .

أحضرها مرات كثيرة الى عيادتى الخاصة . كنت أعطيه بعض عينات الدواء . بدأت مع الأيام لفة بيننا .

كانت تنفرج أساريره أحياناً . لم يكن يعرف طعم الضحك . كان فى كل مرة يعرض علي ما جمعه من قروش ثمناً لدواء جدته وكنت أردها له شاكراً .

قال لي : سألت عنك فى العيادة فلم أجدك . قالوا إنك مريض . سلامتك

كانت يده اليمنى مطبقة على منديل قديم أزرق .

قال : جدتى تسلم عليك . إنها تحبنى وتحبك . ليس لي فى الدنيا سواها . تأخذنى فى حضنها طول الليل . تقول اننى أشبه أبى . مات قبل أن أولد . أمى ماتت بعد ولادتى بشهور .

فتح المنديل الأزرق وأخرج منه جنيهاً أعطاه لي .

ـ أتعبناك وأثقلنا عليك . خذ هذا الجنيه فأنت فى حاجة اليه الآن . انت مريض والعيادة مغلقة . هذا ما بقى من عيديتى . أعطانى الناس قروشاً كثيرة . أخذها صاحب الدكان وأعطانى هذا . كنت سأشترى به جلباباً جديداً ولكن أنت أولى منى الآن . قد تحتاج ثمن الدواء لأن العيادة مغلقة .

وطفرت من عينى دمعة وسرحت قليلا .. وقبل أن أرد اليه الجنيه كان قد انصرف .

دكتور / أحمد كمال الجزار
كفر الشيخ ـ ج . م . ع .

"الدوحة" في الأنباء

● نشرت الزميلة اليومية الكويتية « الانباء » تحقيقا عن مجلة «الدوحة» تناولت فيه بالتنويه والتعليق مواد العدد الماضي . والدوحة إذ تشكر الزميلة « الأنباء » ، على إحساسها الحميم بها ، وحفاوة التنويه بمادتها العربية المتنوعة ، إنما تؤكد بهذه البادرة أواصر العلاقة الطيبة بين صحف الخليج العربى ودورياته المتعددة ، التى تلعب الآن دورها الملحوظ فى محيط الثقافة العربية .



● الدفاع عن الشرف والحياة

تذكرت وانا اقرأ مقال «انتاج السلاح فى الوطن العربى» قولا مأثورا للزعيم الوطنى مصطفى كامل : إن الأمم لا تنهض إلا بنفسها ولا تسترد استقلالها إلا بمجهوداتها وإن الشعب كالفرد لا يكون آمنا إلا إذا كان قويا بنفسه ، مستجمعا لكل عدد الدفاع عن الشرف والحياة ..

ولهذا فاننى أؤيد اللواء الركن محمود شيت خطاب فى كل ما جاء فى مقاله ، بل واقول له إن الأمة العربية بموقعها الاستراتيجى وبما تملك من ثروات علمية وطبيعية واقتصادية وروحية قادرة على الوصول الى أهدافها إذا ما عرفت طريقها الصحيح الذى يحتاج للعرق والجهد والصبر والتضحية بدون حدود .

محمود جفلان
حلب ـ سوريا

● بدلا من قسوة الحياة الثقافية !



إنها محنة أن نفاجأ بشاعر ينتحر فجأة ليجعلنا نقف طويلا متأملين هذا المشهد الدرامى وكأنه وثيقة اتهام ضد عصره .. فمتى ننظر لكل من يحمل القلم بنظرة مليئة بالحب والحماس وعدم الاحباط ؟ .. نرجو من رئيس التحرير أن يواصل مقالاته عن أمثال الشاعر أحمد العاصى ، وحتى نعوضهم عن كل مايلاقونه من معاناة وضياع فى زحمة وقسوة الحياة الثقافية .

عمر عثمان كرم الله
الجزيرة ـ أبلـ السودان

ردود سريعة

● القارىء : مصطفى طولان ـ أدرار ـ الجزائر :

ـ الأستاذ رجاء النقاش رئيس التحرير يشكر لك شعورك الرقيق ويحيي أخوتك وعروبتك وسيحاول أن يكتب فى الموضوع الذى اشرت اليه .

● القارىء : الجهبلى عبد العزيز ـ الدار البيضاء ـ المغرب .

● القارىء : مكرم بنزينة ـ المحرس ـ تونس :

ـ اهتمام المجلة بأدب وحضارة دول المغرب العربى واهتمامها بالنهضة الفكرية والثقافية هناك ، لا تقل بحال عن الاهتمام الذى تلقاه بلاد المشرق العربى ولو تصفحتما أعداد المجلة لوجدتما الدليل على ذلك .

والمجلة تفتح صفحاتها دائما لكل انتاج جيد هادف رفيع المستوى .

● القارئة عزة علي غزال ـ الدوحة ـ قطر :

ـ المجلة ترحب بانتاج القراء وتتولى رعايته إذا كان فى مستوى مناسب .

« بين الأهل والأعداء »

بعد صدور كتابه عن الشهيد الحي عبد القادر الحسينى يسعى الزميل نبيل خالد الأغا لاستكمل فصول كتابه الجديد « بين الأهل والاعداء » والذى تم نشر أغلب مواده فى الأعداد الأخيرة من المجلة تحت عنوان « وجه مدينة من فلسطين » .

ومن منطلق حرصه على شمولية الكتاب فهو يأمل من الأخوة القراء موافاته بأية معلومات صحيحة وصور حية عن مدن : اللد والرملة والمجدل وصفد وبئر السبع ورام الله ، مع التكرم بتزويده بأسماء أشهر وأعرق العائلات والشخصيات البارزة فيها . ومراسلته على عنوان المجلة .

هؤلاء

تقرأ لهم فى العدد القادم والأعداد التالية

- عبد الكريم غلاب
- الدكتور حافظ الجمالي
- عثمان صالح سبي
- الدكتور أحمد عثمان
- نعمان عاشور
- عبد الرزاق البصير
- محمد المهدي المجذوب
- محمود شيت خطاب
- يوسف الشاروني
- علي الملك
- رءوف توفيق
- محمد البساطي
- الدكتور طه وادي
- مصطفى أبو النصر

وفي العدد القادم :

الإنماء والأمن والنفط في الوطن العربي

الدكتور يوسف الصايغ

البعد المفقود في حياة الإنسان المعاصر

بقلم : خـــالد محمد خـــالد

ابتداء من هذا العدد يلتقى قراء الدوحة شهرياً مع الكاتب الكبير خالد محمد خالد ، ويسعد الدوحة أن ينضم الى اسرتها هذا القلم الجرىء المعروف بأمانته واصالته وصلابة رأيه وقوة تعبيره واتساع ثقافته وفكره وصدق رؤيته .

■ يوشك الدين أن يصير بعداً مفقوداً فى الحضارة الماثلة وفى حياة الانسان المعاصر .

وإذا قلت «الدين» فأنا أعنى جوهره وروحه قبل شعائره وطقوسه .

والدين بهذا المعنى يفصل بينه وبين إنساننا المعاصر غربة مفتعلة ، وقطيعة مصطنعة .

فالانسان ، شاء أم أبى .. درى أم لم يدر وثيق الوشائج بالدين ، لأن فطرته التى فطره الله عليها تحكم هذه الصلة وتوثقها .. يقول الرسول عليه السلام : «كل مولود يولد على الفطرة» .

ويحكى الله فى قرآنه العظيم عن الذين يتجاهلون وجوده سبحانه ، ويعمون عن رؤيته فى آثار قدرته ورحمته ـ انهم إذا حلت بهم كارثة أو أظلتهم صاعقة تحركت فطرتهم وفجأهم ايمانهم المخبوء والمكبوت فلجأوا الى الله فزعين وصرخوا باسمه ضارعين : يصف سبحانه هذا المشهد فيقول :

«.. حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة ، وفرحوا بها ، جاءتها ريح عاصف ، وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين» .. !!

● ●

وأذكر أننى قرأت من عهد بعيد مقالا لطيار أمريكى كان عنوانه (ليس فى الجو إلحاد) .. وتتلخص قصته ـ كما رواها ـ فى أنه كان أستاذاً بإحدى الجامعات ، وكان ملحداً ، لا يؤمن بالله ولا يعترف بالدين . وعند نشوب الحرب العالمية الثانية جند طياراً .. وفى احدى المعارك الجوية التى خاضها مع رفاقه فى السلاح تصدى لهم سرب من الطائرات الألمانية المقاتلة .. ودارت بين الفريقين معركة حامية .. ورأى طائرات رفاقه تتساقط بطائريها وتتناثر شظاياها كأنها عهن منفوش . وبقى وحيداً فى هذا الجحيم يتناوشه السرب الألمانى ويصليه من قذائفه سعيراً ..

وفجأة ـ كما يقول ـ تذكر الله .. وسمع لسانه ينطلق من عقاله هاتفاً : يا رب !! وراح يراكض الطائرات الألمانية فى شجاعة اليائس ، وأحس كأنه فى غيبوبة أو كابوس موحش رأى نفسه وسط طائرته وقد هبطت بسلام لتجثم على أرض مطارها .. !!

ها نحن أولاء أمام انسان على قدر كبير من الثقافة ، وأستاذ فى جامعة قضى حياته ملحداً ، يقهر بغروره صوت فطرته .. ظاناً بالله ظن السوء ، ويحسب أنه قد طوى فكرة الدين ونبذها بعيداً ، ويحسب أنه كبت أنفاس الفطرة فيه الى الأبد .. ولكنه لا يكاد يدنو منه الخطر ويحيط به الموت حتى يدرك فى مثل لمح البصر أنه مجرد عبد صغير لاله كبير ، وأن كل ما تعلمه من فلسفات الالحاد لم يكن سوى رماد يتوهج تحته وميض نار مقدسة .. وفجأة برزت الفطرة الكامنة ودوى صوتها معلماً ذلك المغرور الضعيف أنه أكثر عجزاً من أن يسكت صوتها الأبدى الذى انطلق فى ساعة العسر ولحظات الكرب والموت ضارعاً الى من بيده الأمر

وهو على كل شيء قدير !!!

● ●

وقريباً من هذه الواقعة ـ أذكر نبأ «تيتوف» وهو على ما أذكر ثانى رائد فضاء أطلقه الاتحاد السوفييتى ليطوف حول الأرض ، فقد سئل «تيتوف» إثر عودته من رحلته : ما السؤال الذى طرأ على بالك عندما رأيت الأرض كالتفاحة المعلقة فى الفضاء ؟ فكان جوابه : كان السؤال الذى فاجأنى هو : من الذى يمسكها ؟ إن هذا السؤال فى حقيقته سؤال دينى ألقت به الفطرة التى فطر الله الناس عليها .

فـ «تيتوف» هذا شاب من جيل الثورة البلشفية فى روسيا رضع الالحاد طفلا ، واغتذى به شاباً ورجلا . ولو أن الالحاد قادر على محو الفطرة لما خطر هذا السؤال أبداً على بال «تيتوف» فالذى يمسكها وفق ما تعلم ليس الله .. إنما هى الجاذبية .. الجاذبية التى صنعتها المادة ولم يصنعها الاله !!

أما وقد فاجأه السؤال (من الذى يمسكها) فقد كان هذا السؤال الذى ألقته عليه فطرته دحضاً ونبذاً لكل أفكاره الملحدة .

إن إيمان أبى الأنبياء «ابراهيم» عليه السلام بدأ بسؤال شبيه بهذا السؤال . ألا وهو (من وراء هذه النجوم وهذا القمر وهذه الشمس ؟) .

إن الايمان بالله فطرة ، والايمان بالدين فطرة مهما يحاول الملحد كبتها فان لها لحظات تبزغ فيها كالشمس وتفرض نفسها فى قوة واقتدار .

● ●

وهذا البعد المفقود فى حياة انساننا المعاصر ، ليس مفقوداً بالنسبة للملحدين وحدهم .. بل هو كذلك بالنسبة لأعداد هائلة من المتدينين .

ذلك أن المهم فى الدين جوهره وروحه.

يقول الفيلسوف الأسبانى «سانتايانا» عندما سئل عن الدين ما هو ؟ أجاب قائلا : (الدين هو ما يفعله الانسان فى خلوته) .

وهو ـ طبعاً ـ لا يعنى أن الدين شعائر تؤدى فى تكتم وخفاء .. إنما يعنى بما يفعله الانسان فى خلوته ، تجرده حين يتعبد تجرداً كاملا الى الله ، ناضياً عن نفسه كل مشاغله اللاهثة .

أجل .. لكأنه يعنى الذى عناه الرسول صلى الله عليه وسلم حين سئل عن

● هذا البعد المفقود في حياة إنساننا المعاصر ليس مفقوداً بالنسبة للملحدين وحدهم ، بل هو كذلك بالنسبة لأعداد هائلة من المتدينين

الاحسان ، وهو مقام يعلو مقام الاسلام ومقام الايمان فأجاب عليه السلام :

«الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه . فان لم تكن تراه فانه يراك» .

هذا هو تماماً «البعد المفقود» فى حياتنا المعاصرة سواء الملحدين منا أو المؤمنين . لأن العبرة فى التدين الوصول الى هذه المنزلة ، التى حدثنا عنها الرسول الكريم ء أن تعيش بروحك فى دائرة الضوء تريك الله ، أو تريك أن الله يراك .

ولقد سئل الصوفى الكبير الشيخ أحمد زروق عن التصوف ، فقال : (هو صدق التوجه الى الله) .. وهو بهذا يريد أن يضع أبصارنا على حقيقة الدين .

إن الانسان لا يستطيع أن يعيش فى خواء من الايمان ، مهما شغلته شهوات نفسه ومتاع دنياه . بل انه كلما ازداد عباً من الشهوات والمتع كان كمن يطفىء الظمأ بماء البحر الملح الأجاج !!

إن الانسان المعاصر يحيا فى خيال أزجته الحضارة التى نعيشها . وهو محروم حتى من سكينة النفس التى دعا بها فيلسوف صينى قديم فقال :

«يا رب خل ترف الحياة الدنيا كله تحت أقدام الحمقى ، وأعطنى سكينة نفسى» !! .

ومن عجب أن الانسان فى عصرنا يبذل جهوداً مضنية فى سبيل ارهاق نفسه واشقائها وفى سبيل اهدار فرصته فى هذه الحياة !!. ذلك أن فرصته الحقيقية ماثلة فى أن يعثر على روحه وسط هذا الظلام الدامس ، وأن يصلها فى نسك حقيقى طاهر بربها الذى زكاها . وسبيله لهذا هو الايمان بالدين والاقبال عليه .. هو التدين الذكى الوثيق الذى يبعث الروح من ترقدها ويسير مع الفطرة الصادقة التى فطرنا الله عليها .

وبدون تحقيق هذا البعد المفقود فى حياة الانسان ستظل حياته ناقصة ومفلسة ، وستنتهى نهاية خاسرة ..

إن الانسان فى مجتمعنا البشرى «قشة» تعصف بها أهواء الحياة ومغريات البيئة ، وانه لكى يربح حياته وينجو بمصيره عليه أن يتعرف الى هذا «البعد المفقود» .. عليه أن يقيم مع السماء علاقات نظيفة وخيرة .

● ●

لست متشائماً تجاه ما ينتاب الانسان المعاصر من انحلال وشرود ، فان ذلك كله يحرك فى أعماقنا هذا السؤال الدينى : «الى أين .. ؟؟» .

والكبت الذى يعانيه «حسنا الأخلاقى» سيؤدى الى انقلاب حتمى ، نعيش اليوم مقدماته فى هذه الفوضى السلوكية والضياع النفسى .

إن سلوكنا سلوك من يسخر من نفسه بما نقترفه من عبث واستهتار .

إننا ـ حيث نكون ـ عبيد شهواتنا . بيد أننا نفعل الشر ونغثى .. وهذا الغثيان فى التحليل النهائى له ، ليس إلا رفضاً لنوع الحياة التى نحياها . ودعوة للقيم الفاضلة والخالدة ، كى تعود وتأخذ بأيدينا .

لكن زورق النجاة الذى يستطيع أن يستنقذنا من الموج الفاغر سيظل متمثلا فى ذلك البعد المفقود .. فى الدين الذى جعله الله بيننا وبينه رابطة خالدة .

هناك فيلسوف لا أذكر اسمه قال :

«لو لم يكن هناك دين ، لوجب علينا أن نخترع الدين» . !!

وهذا الفيلسوف كان بحاجة ملحة الى عزاء ، فقال هذه الكلمات ..

أجل .. اننا نرى ، أو يرى الكثيرون منا فى الدين مجرد عزاء ، لكن الدين أكثر من عزاء . بل إن العزاء الذى يقدمه للناس هو أدنى عطاياه وهباته .

والذين يرون فى الدين عزاء وحسب ، عندما يرتطمون بشقاء الحياة الذى يزلزل نفوسهم ، يصيرون الى الكفر أقرب منهم للايمان ؛ لأنهم لم يجدوا العزاء

الذى توقعوه من الدين !!

إن الدين وعد الله الحق ، وكلمته الصادقة .. هو تربية وتقويم ومشحذ لكل قوى العدالة والخير فى الانسان .. إنه أكثر من عزاء لأنه حاجة روحية غريزية ، وحتم علينا أن نتقبلها ونلبى نداءها فى الأخذ بتلك التعاليم المقدسة التى شرعها الله لنا ، ودعانا اليها ، وجعل هناءنا الأبدى فى احترامها . إن الدين نور يكشف لنا خدع الحياة وأوهانها .. ومن عجب أن كثيرين من ناس هذا العصر يحسبون الدين وهماً ، ومسكناً لتطلعات العقل الانسانى وصاداً له عن وثباته الجريئة للكشف عن الحقيقة . مع أن الدين هو الحقيقة الأولى فى حياتنا ، ولا يستحق الكافرون به سوى الرثاء .

إن الذين يؤمنون بوجود الشمس مثلا لا يأتون أمراً مذكوراً ، لأنهم يبصرونها ويجدون الحرارة فى أشعتها . والطفل الصغير ، بل والذبابة قادران على الايمان بها .. أما الذين يؤمنون بالغيب ، فأولئك هم المؤمنون حقاً . أولئك هم الذين استوى رشدهم وبلغ تمامه .

من أجل ذلك استهل الله القرآن الكريم بتحية أزجاها اليهم فقال سبحانه فى أول سورة البقرة :

«.. ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ..» .

فالايمان بالغيب هو دعوة الدين ووسيلته لجمع الانسان ببعده المفقود ، وارتفاع به وتسام عن المحسوسات الفانية الى الآفاق التى يشرف منها على عالم الحق المبين ، ويعانق فيها نصيره الذى يلتقى به على عتبات خلود لا شك فيه ولا ارتياب .

●●

إن تحويل قضايا الوجود الانسانى الى «مفاهيم عقلية» عمل مقبول ما لم يتوقف عند هذا المدى القريب . وإنما علينا وعلى أهل الذكر والعلم فينا أن يطلوا بنا أيضاً على المفاهيم الروحية لتلك القضايا ، وذلك الوجود .

فالذين ينكرون الدين أو يتجاهلونه ، إنما يعزلون أنفسهم عن مصدر الوجود ، وبالتالى فهم يعزلون تفكيرهم وعقولهم عن الحقيقة قانعين منها بالقشور دون اللباب .

● العبرة في التدين هي في الوصول إلى المنزلة التي حدّثنا عنها الرسول الكريم : أن تعيش بروحك في دائرة الضوء ، تريك الله أو ترى أن الله يراك

الفيلسوف الالماني جوته





كونفشيوس .. احد نساك هذه الحضارة

وستظل البشرية مهما تطوف بين الكواكب وتحلق فى أجواء السماوات .. ستظل حبيسة جهلها وعنادها حتى تئوب الى بعدها المفقود ، وحتى يكون لها «رؤية دينية» تحترمها وتذعن لها ، وتجدد عن طريقها إيمانها بالذى خلق فسوى وقدر فهدى ..

إن الانسان المعاصر يمكن أن يكون «وباء معاصراً» إذا هو لم يفعل شيئاً يدنيه أو يرد اليه هذا البعد المفقود ، وإذا هو عاش الى أرذل العمر عاقاً لروحه

إننا ضحايا أطماعنا وضحايا جوعنا اللاهث الى المجد والثراء والجاه .. وان المجد والثراء والشهرة ، وبقية هذه العائلة ، ليست أكثر من عصابة تسرق من النفس البشرية خير فضائلها جرياً وراء سرب كذوب !!

وإن مطامعنا الكثيرة وطموحاتنا المسعورة لا ترفع قط من أخلاقنا ، ناهيك عن أن تجمعنا مع الله فى الطريق الى مصيرنا .. وإن ما يبحث عنه الرجل الأعلى ليس هو ما فى هذه الدنيا من هباء .

●●

أنا أعلم أننا نعيش فى خضم حضارة مادية .. حضارة تغرى الناس بألا يؤمنوا إلا بما تقدمه لهم من ماديات ، ومحسوسات وشهوات .

ومع هذا ، فلا بأس .. فهنا تمتحن رجولة الرجال ، وشرف الشرفاء وحكمة العقلاء !!

إن هذه الحضارة المادية تدفعنا فى نفس الوقت ـ ومن غير أن تريد ـ الى عالم الروح الحق والرحيب .. ونساك هذه الحضارة ، هم العظماء حقاً .

كان «كونفشيوس» يقول :

«الناسك الذى يهرب الى الصومعة ، ويعتزل الناس ، لا يأتى أمراً مذكوراً .. أما ناسك المدينة ، فهو الناسك حقاً» !!! .

فالمؤمنون بالله وبكتبه وبرسله وسط هذه الحضارة المجنونة هم الفضلاء الأبرار ، وهم أولو الألباب .. إن الحضارة المعاصرة فى حركتها الداهمة ، وضجتها الفارغة والضارية ، هى سبيل الروح الى الظهور ، لأن الأمر كما يقول الفيلسوف الألمانى «جوته» :

«السكون يكون الحكمة ، والضوضاء تكون الأخلاق» ..

ونحن لا ينبغى أن نضيق بحضارتنا الزائفة ، ونعلن الافلاس أمامها . بل علينا أن نحث الخطى فى الجرى وراء بعدنا المفقود .. وراء الدين الحق فى جوهره الصافى وحقيقته المتألقة .

خالد محمد خالد

النفط والثقافة

بقلم الدكتور محمد غانم الرميحي

- ظاهرة جديدة اسمها: البترو-دكتور
- عندنا كُتّاب لا يكتبون، وإنما يُكتب لهم كجزء من المظهرية الاجتماعية
- هنالك إنتاج ثقافي عربي هابط تمّ إعداده للتصدير النفطي فقط.. مثل المسلسلات التافهة والكوميديات الرخيصة!
- لابدّ من وقفة حاسمة ضدّ ما نتعرض له من انهيار ثقافي
- لا يجوز أن نضع على النفط كل مشكلاتنا، فالنفط عنصر محايد ينبغي أن نستخدمه في الأفضل دائما

لمعنى الثقافة العام شقان أساسيان اصطلح على انهما المفهومان العامان للثقافة، مع الاعتراف بتعدد معانيها وتشعبها. الأول هو المعنى الواسع للثقافة، ويعنى كل ما أنتجه الانسان من فكر وثقافة ومادة. أى أن كل منتجات الانسان فى حياته اليومية والعلمية والترفيهية هو الثقافة لذلك المجتمع.

والمعنى الآخر هو المعنى الضيق للثقافة، ويعنى ما أنتجه الانسان فى مجتمعه من منتجات فكرية قد تحول بعضها الى منتج مادى. والثقافة اليوم تعنى أكثر ما تعنى المعنى الأخير (المنتج الفكرى) ويستخدم على هذا الأساس فى السياق اللاحق. مع الأخذ بعين الاعتبار أن الثقافة تلك تكون ملتصقة بالواقع الاجتماعى.

وتكمن لدى كل تشكيلة اجتماعية اقتصادية (مجتمع) ثقافة معينة لها طابع ذلك المجتمع، وتحمل سماته، ومتعلقة أيضاً بشكل الانتاج المادى لذلك المجتمع المعنى.

ومجتمعات الخليج العربى قبل النفط كانت لها بهذا المعنى ثقافة مرتبطة بأشكال الانتاج المادى الذى كان سائداً عندها كالغوص على اللؤلؤ أو التجارة، أو الرعى، أو حتى الزراعة البسيطة فى الواحات. وترتبط الثقافة أيضاً بالبيئة الجغرافية الصحراوية الجافة. وكذلك باللغة (العربية).

كانت السمة الغالبة للثقافة عندها هى الثقافة العربية. وكان الطابع المحلى المتشبع بمحصلات ثقافية منقولة من مجتمعات أخرى يحتك بها مجتمع الخليج (كالهند وشرق افريقيا وبر ايران). هذه الثقافة مفهومة من المجتمع المحلى ومتأثرة بواقعه الموضوعى.

كانت الثقافة. بهذا المعنى (الانتاج الفكرى) مرتبطة أيما ارتباط بالواقع الموضوعى للمجتمع الذى كان مجتمعاً بسيطا ومحدوداً. فالمنتج الثقافى كان محدوداً أيضاً ونابعاً من ذلك المجتمع.

أما أشكاله فقد كانت عديدة ـ أكثرها الشعر النبطى (الشعبى) المنقول أو المغنى سواء أكان ذلك فى البر أو البحر. ومنها الأهازيج الشعبية التى تحفظها

النفط والثقافة

النساء عن ظهر قلب لتغنى فى الأعياد والمناسبات . وكان التدوين محدوداً نتيجة عدم وجود أدوات التدوين كالطباعة أو التسجيل . ومعظم المنتج الثقافى كان يحفظ عن ظهر قلب وينقل للأجيال الجديدة . أما التراث الثقافى العربى فقد كان يغذي الواقع الثقافى المحلى . ويعتمد عليه إما عن طريق حفظ وقراءة القرآن والأحاديث ، أو عن طريق حفظ أهازيج «عنترة بن شداد» و«أبو زيد الهلالى» و «الزناتى خليفة» .

وعندما عرف جزء من أبناء الخليج الكتابة والقراءة بشكل منظم فى بداية هذا القرن ، نتيجة وجود الفائض المادى المحدود بعد عدة نجاحات فى مواسم الغوص ، ظهرت فئة جديدة ومحدودة من المتعلمين التى توفر لها التعليم إما فى الهند ، أو بعض التعليم فى المنطقة الشرقية من الجزيرة (الاحساء) فى المدارس التى فتحها الأتراك فى نهاية القرن الماضى . وأصبحت هذه الفئة هى حاملة بذور الثقافة الجديدة (العربية) ، فقد أطلعت على الصحف العربية الصادرة فى القاهرة وبغداد وحاولت تقليدها بعد ذلك . ومن أبرز هذه الشخصيات : المرحومان / عبد الله الزايد (البحرين) ، وعبد العزيز الرشيد (الكويت) .

كان المنتج الثقافى بشكل عام حتى ظهور النفط متواكباً مع البيئة المادية ومعبراً عنها ، تظهر فيه صورة الحرمان المادى والمعنوى من جهة وصورة التململ من الواقع الاستعمارى من جهة أخرى . كما ظهرت فى هذه الثقافة مجموعة من الثقافات الجانبية الملونة بالأصول العرقية لمجموعات القادمين الى الخليج نتيجة الاضطهاد أو الفقر (البر الايرانى) أو نتيجة جلب العبيد وتجارته الرابحة من البر الافريقى . فتجد الأعراس والمآتم للمجموعات العرقية (الايرانية) واضحة بشكل فلكلورى متميز . كما أن رقصات الرجال والنساء ذوى الأصول العرقية الافريقية كانت مميزة ، ولكن سرعان ما تمازجت هذه الأشكال الفلكلورية والثقافية مع الثقافة المحلية . إلا أن التى قام بها الأفراد بشكل علنى شبه تجارى كان مقصوراً على مكانة معينة فى المجتمع وهى التى لا تنتمى الى أصول قبلية معروفة ، أو من العبيد المحررين والمهاجرين ، وبخاصة تلك الأعمال الفلكلورية المجلوبة . أما أبناء القبائل فكانت الرقصات التعبيرية (العرض) من صلب عملهم الثقافى . كما كان قرض الشعر وروايته . تلك كانت السمات الثقافية لمجتمع الخليج قبل النفط .

بشائر الثقافة الجديدة

لقد ظهر النفط فى الخليج فى أوقات متلاحقة فظهر فى بعض الأقطار الخليجية قبل الحرب العالمية الثانية وبعضها الآخر بعد الحرب العالمية بسنوات . وتراوحت الاستفادة القصوى من مداخيل هذا النفط بين مجتمع وآخر . كما كان حجم الانتاج النفطى مختلفاً أيضاً . إلا أن المنطقة بصفة عامة ، شهدت استفادة من هذا النفط فى خلق بناء تحتى متشعب كان من بينه البنية التعليمية ، فأسست المدارس بدرجات متفاوتة وبدأت قطاعات من المجتمع تهجر الحرف والأعمال القديمة (البحرية والبرية) وتتجه الى الحرف والأعمال الجديدة المستقرة التى ظهرت بعد النفط .

وهكذا بدأت تكونات لمجتمع ثقافى جديد ، اعتمد فى البداية على مجاراة لما هو مطروح فى الساحة العربية نتيجة لتدفق المعلمين والعاملين العرب الى اقطار الخليج ، والذين حملوا معهم مجتمعهم الثقافى العربى والذين وجدوا آذاناً صاغية لدى المجتمعات الجديدة فى الخليج .

فبدأت محاولات جلب المعدات الطباعية واصدار الصحف والمجلات . وزاد من هذا الاتصال الثقافى توجه عدد كبير من أبناء المنطقة الى مراكز التعليم فى بغداد والقاهرة ودمشق . وظهرت فى هذه الفترة نتاجات ثقافية أصيلة معبرة عن الواقع المعاش ، الواقع الجديد الذى لم يخبره أحد من قبل من رفاهية العيش النسبية وسهولة الحصول على اللقمة . فى هذه الفترة ، التى يمكن أن تحصر فيما بين الحربين العالميتين وتمتد الى وسط الخمسينات ظهرت بشائر الثقافة العربية فى الخليج وكانت بالفعل نابعة من المعاناة الجديدة وبصفة خاصة الآلام والآمال النابعة من التغيير الجديد .

يمكن رصد هذه البشائر من متابعة الشعراء وكتاب القصة والمقالة ومؤلفى الأغانى الشعبية . وكلها كانت تعبر عن الواقع المعاش . واقع معاناة الثروة الجديدة ، والتغيرات الاجتماعية المصاحبة لكل ذلك . هذه الفترة تميز فيها الخلق الثقافى الأصيل ، وكانت اقتصادياً قبل الانطلاقة النفطية الهائلة فى الستينات والسبعينات .

النفط والاغتراب الثقافى

ما لبثت تلك البدايات الأصيلة أن طمرت بسيل جارف من المنتج الثقافى غير الأصيل فأصبحت الثقافة وانتاجها ليس عملية ابداع وخلق شخصية وقريبة الى الذات ، بل أصبحت فى المجتمع الاستهلاكى الجديد يزين بها البعض شخصياتهم . فتوفر المال واتساع مجالات استهلاك المنتوج الثقافى شجع البعض على شراء ذلك المنتوج ونسبته الى النفس . فظهر كتاب لا يعرفون الكتابة وشعراء لا يعرفون قرض الشعر ، وقصاصون لا يفقهون الفن القصصى ، وتباعد المنتج الثقافى عن الذات وعن الواقع نتيجة لظهور المجتمع الاستهلاكى المعتمد عليه واقع اقتصادى استهلاكى ، وشارك فى هذا المهرجان الاغترابى الكبير (الدولة الناشئة) . فقد ظهرت بمظهر المحافظ والمجمع للثقافة ،



فأصدرت (الدولة) الكثير من المجلات ذات الورق المصقول والصور الملونة ، وجلبت قنوات ثقافية جديدة كالاعلام الالكترونى (الاذاعة والتلفزيون) ، وهى مجالات تحتاج الى منتج ثقافى غزير ومتواصل . وفى طريق محاولة الدولة لاغناء هذه القنوات الثقافية بالمنتج المحلى ، ظهر الغث الكبير الذى طمر النذر السمين فتراجع الى الدرجات السفلى .

كما شجع التنافس غير المخطط فى وسائل الاعلام الاقليمية على أن يكون هناك طلب واسع على المنتوج الثقافى المحدود والمتشابه ، مما زاد من سطحية هذا المنتوج وتكراره . فالرقصات الشعبية والأهازيج بالرغم من تقاربها من بعضها فى حالتها الأصلية ، نجدها تفرعت تفرعاً يقلل من مضمونها وتضاف لها من أجل ذلك اضافات محدودة غير متقنة ، كالأغانى ، والرقصات النسائية والرجالية ، أو حتى القصص الدرامية المكتوبة أو المطروقة فى أجهزة الاعلام . واغتراب الثقافة النفطية جاء جزئياً من توسيع الاستهلاك الثقافى فى المجتمعات النفطية ، وقد أثر أيضاً فى المنتج الثقافى العربى الذى تسيب تسيباً واضحاً . فقام هذا الانتاج فى بعض البلاد العربية من أجل (فقط) تصديره الى أهل النفط . ومثـــال على ذلك المسلسلات التليفزيونية البدوية الساذجة أو المسلسلات الكوميدية غير الهادفة . فقد أثر النفط هنا سلبياً حتى فى المنتوج الثقافى العربى فى بلاده . وأصبحت أيضاً بلاد النفط وصحفها واستوديوهاتها مجالا لتزييف الثقافة العربية واغترابها .

الثقافة والجهد الانسانى

الثقافة هى جهد انسانى خلاق نابع من المجتمع ومتى انفصل هذا الجهد عن الانسان وعن معاناته أصبح شيئاً لا معنى له ولا فائدة منه . لهذا يتضح فى الثقافة النفطية الهامشية بعدها عن تبصير الانسان بواقعه ، بمشكلات الانسان الحقيقية فى المجتمع النفطى . وحيث يسير هذا المجتمع الى جذور اجتماعية ، اقتصادية جديدة ، تنفصل الثقافة عن الانتاج المادى . فتصبح ثقافة عناوين فقط ، ثقافة ترفيه شكلية . وبمعنى واحد ثقافة سلبية .

الشحم واللحم والورم

من مظاهر ثقافة العناوين فى الخليج اليوم العدد الهائل من الكتاب ومدعي الانتاج الثقافى الذين لا يفقهون فى الثقافة أو فى المنتج ذاته شيئاً فاسماء شعراء لا يعرفون كيف ينتج الشعراء وكتاب قصة لا يعرفون كيفية بناء العمل القصصى . ومؤلفون لا يفقهون فى البحث العلمى ، وإنما يكتب لهم ، كجزء من المظهرية الاجتماعية . وقد يبدأ المؤلف بالشعر أو القصة أو التأليف وينتهى بلا شىء . وعزز من هذه المظاهرة ما يمكن أن يسمى بظاهرة (البترو / دكتور) أى ظاهرة الحصول على الدكتوراه ، اكمال الشهادة الجامعية العليا التى أصبحت كاكمال للمظهر الاجتماعى ، دون معاناة لمشكلات البحث العلمى الحقيقى . فتجد هنا ورم الثقافة النفطية الذى يحسبه الكثيرون شحمها !!

الأورام الأخرى الظاهرة فى المجتمع الخليجى النفطى ظاهرة ما يمكن أن يسمى «الاختراق الثقافى» ـ تلك الفئة من المستفيدين ـ الذين حصلوا فى السنوات الأخيرة على تعليم وثقافة الجامعات الغربية ، وكل ما حفظوه منها هو الرطانة فى اللسان لا غير . وهنا تجد ظاهرة اختراق ثقافى خطير فكل ما هو غربى بالنسبة لهؤلاء صحيح ، وأكيد . وكل ما هو محلى وعربى خرافة غير علمية تحتاج الى تصحيح ، ومن هنا انفصلت هذه الفئة عن الواقع . فلم تساهم فى تطور الثقافة أو تأصيلها وعاشت بالتالى فى غربة ثقافية لازالت تعانى منها هذه الشرائح .

أما الفئة الأخرى والتى لا تحمل بذور التأصيل الحقيقى فهماً أو معاناة أو علماً قدر لها من خلال وسائل الاعلام المكتوبة والالكترونية التى انتشرت بشكل كبير أن تحمل لواء تزييف الثقافة تحت شعار تأصيلها . ومن هنا وجدت الثقافة المحلية سيلا هائلا من كلمات الأغانى التى ليس لها معنى .. بل وفى بعض الأحيان مقززة المعنى ، تأخذ المطلع والبداية من الأغانى الشعبية الأصيلة وتطمرها بكلمات غربية مفسدة حتى طابعها الأصيل ، بكلمات ليس لها معنى إلا السذاجة والاغراق فى التفاهات .

لذلك نجد اليوم مثلا مجموعة ضخمة من الأغانى الخليجية لسد فقرات الساعات الطويلة للبث الاذاعى والتلفزيونى ، ولكنها فى الحقيقة لا تعنى شيئاً بالنسبة للمستمع ، وكلما تمعنت فى معانيها عرفت أكثر مدى تفاهتها . ومسلسلات تلفزيونية تفتقد المضمون والشكل وهى أيضاً جاهزة لسد الساعات الطويلة من البث التلفزيونى ، وكتب وقصص وشعر ورقصات فلكلورية كلها تصب فى ذلك التيار العجول من الانتاج الثقافى لصالح جمع المال السريع أو الحصول على الشهرة المزيفة ، وتصل فى النهاية الى تزييف واقع المجتمع ومعاناة جماهيره الحقيقية .

من هنا الى أين ؟

اذا كان هذا واقع الثقافة فى الخليج اليوم ، فما هو مستقبلها ؟ هل من المؤمل أن يوقف هذا الانهيار الثقافى الذى سببه النفط ، ليبنى بدلا منه سداً ثقافياً جديداً مرتبطاً بمعاناة الناس ؟ هل الاشكال فى السياسات الثقافية أم فى الناس أم هو فى النفط ؟

تلك أسئلة كثيرة يعجز الاجابة عليها فرد بذاته ، وما غرضنا هو فقط الملاحظات العامة على شكل الثقافة السائدة اليوم فى أقطار الخليج العربى . والسبب ليس سبباً واحداً إنما هو مجموعة من الأسباب المتداخلة والمعقدة . وأول ما يجب عمله هو الوقوف والنظر الى هذا التدفق من المنتج الثقافى لعلنا نبحث بعدها عن الأسباب ونعالجها .

هناك حقيقة أخيرة لا يكتمل أى حديث حول الثقافة فى الخليج بدون ذكره ، وهو أن هناك محاولات جادة فى احشاء كل هذا المنتج الثقافى ، محاولات تبشر بخير عميم ، ولكنها مازالت جنينة ، وتحتاج الى رعاية وصقل .

ولا يجب أن نضع كل مشكلاتنا على النفط فهو عنصر محايد ، يمكن أن نستخدمه الى الأفضل عندما نضع سياسات وأولويات لهذا الأفضل الآتى الى هنا مع الشروق ومع ثقافة جديدة وأصيلة تخدم المجتمع لأنها تنبع منه .

محمد غانم الرميحى

زاوية الرأي

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

في حتمية الحل الحضاري الشامل

ليس سرا أن الأمة العربية لا تقتصر معاناتها على مشكلة جانبية ، أو ناحية معينة من نواحي الحياة دون غيرها فمن الواضح الآن أن هناك أزمة أخلاق ، وأزمة فكر ، وأزمة أدب ولغة ، بالاضافة إلى أزمات الاجتماع والسياسة والاقتصاد .

كلما تعمقت أزمة الأمة ، وتعددت أوجهها ، وشملت مختلف جوانب الحياة ، كلما تطلبت حلا شاملا فى مستوى شمولها وعمقها وتعدد جوانبها .

من هنا أهمية « النظرية الشاملة الجامعة » التى تحتاجها الأزمة العربية المزمنة ، ومن هنا أيضاً تقصير الحلول الجانبية ، وسبب اخفاقها ، فى مواجهة الوضع .

منذ سنوات والأطراف العربية ، كل فى حقل اختصاصه وسلطته تحاول تقديم حلول ومعالجات ..

فتارة نسمع عن مؤتمر سياسى يتوصل الى صيغ وتسويات ويطرح معالجات وتوصيات ..

وتارة نسمع عن مؤتمر للمفكرين يبحث الأزمة على صعيدها الفكرى الخالص ويصدر أبحاثاً ودراسات .

وتارة نسمع عن مؤتمر من نوع ثالث ، ورابع ، وخامس للاقتصاديين والانمائيين يضعون أجمل الخطط للتقدم والنهوض ..

ولكن عواصف الأزمة الشاملة سرعان ما تجرف تسويات أهل السياسة ، ودراسات أهل الفكر ، وخطط أهل التنمية ، لنعود الى نقطة الصفر من جديد ونحن نتساءل للمرة الألف : والآن ما العمل ، وما الحل ، وما طريق الخلاص .. ؟

ليس سراً أن الأمة العربية لا تقتصر معاناتها على مشكلة جانبية ، أو ناحية معينة من نواحى الحياة دون غيرها .. فمن الواضح الآن أن هناك أزمة أخلاق ، وأزمة فكر ، وأزمة أدب ولغة وفن ، بالاضافة الى أزمات الاجتماع والسياسة والاقتصاد ..

لذلك فمن الضرورى معالجة الأزمة على أنها أزمة حضارة ، وعلى أنها أزمة وجود ، وعلى أنها أزمة كيانية تمس العمود الفقرى من حياة الأمة ، وتشمل روحها وأسسها الحياتية كافة ، ولا تقتصر على أزمة بعينها ، كأزمة البحث عن حل لمشكلة الشرق الأوسط ، أو مسألة البحث عن أفضل سبل التنمية ، أو مسألة كسب الرأى العام العالمى ، أو انتظار هذه المبادرة الدولية أو تلك

بشأن هذه المنطقة أو تلك من الوطن العربى .

لا نقول أن هذه المسائل ليست مهمة ، ولكن هذه المسائل ـ كأزمتنا مع العدو الاسرائيلى ، وضعفنا بين القوى الدولية ، وقلة انتاجنا وإبداعنا الحضارى بين الأمم ـ هذه وغيرها هى مظاهر وانعكاسات لأزمتنا الذاتية الشاملة التى هى مصدر الألم ، ومصدر تلك المشكلات وغيرها : هاهنا مصدر الداء الذى يجب علاجه ، والذى لا يفيد معه حل تلك المشكلة الفرعية أو تلك الأزمة الجانبية

الذين يتصورون مثلا أن خلاصنا سيكون فى الأسراع بتحقيق حل ، أى حل ، مع اسرائيل ، هل يعتقدون حقاً أن مجرد حدوث التسوية سيحل أزمة الانسان العربى ، وسيلغى معاناته المعيشية ، وسيعيد له حرياته ، ويرفع مستواه الحضارى ، ويحسن من انتاجيته .. الى آخر هذه القضايا الملحة بالنسبة لذلك الانسان .. أم أن الطبيعى هو البدء بالحل المنطقى ـ والصعب بطبيعة الحال ـ وهو البحث عن اسس الحضارة الصحيحة وأسس الحياة الكريمة ، ثم دفع الانسان العربى بعد ذلك لمواجهة اسرائيل ، وغير اسرائيل ، من قوى التحدى والتهديد .. ؟

إن البيت العربى من الداخل . أعنى عمق الشخصية العربية وعمق الوجود العربى فى الصميم ، وليس فقط الأوضاع العربية الظاهرة على السطح ، إن البيت العربى من الداخل ، بهذا المعنى ، هو الأزمة الملحة المستعجلة ، وفى أسسه ودعائمه وقاعدته ، قبل أن يكون فى جوانبه وواجهاته . ولو أن هذا البيت كان راسخاً ومعافى ومحصناً ، لماكانت هناك اسرائيل ، ولا أمريكا ، ولا روسيا ، ولا جراثيم البلهارسيا والجدرى ، ولا مظاهر الجهل والفقر ، ولا معضلات الحرية والعدل ، ولا عدوى التفتيت الطائفى والمذهبى ، ولا عقم الابداع العقلى ، ولا نضوب الانتاج الحضارى .

لذلك فان أية معالجة جزئية ، أو مؤقته ، مهما كانت مخلصة ودقيقة ، لن تحقق الخلاص ، لأنها ببساطة تسد فتحة واحدة أو ثقباً واحداً فى السفينة العربية ، المتعددة الثقوب ، فيأتى الماء من الجوانب الأخرى ، ويطغى ليهدد السفينة كلها بالغرق .

فى بداية النهضة ، كان هناك « الحل التربوى » الذى دعا اليه محمد عبده وغيره من رواد النهضة الأولى فى مصـر ولبنان ثم اتضح أن الحل التربوى ، وحده ، تضيع منجزاته فى أمة تفتقر الى الحرية والعدل الاجتماعى والى البناء الاقتصادى . وكيف تبقى « المدرسة » منتجة وفاعلة ، إذا كان المجتمع من حولها يعج بالكبت والجوع والصراع الطبقى وقلة الانتاجية ؟

ثم جاء « التصور الديمقراطى » كحل لدى جيل آخر من الرواد كلطفى السيد وطه حسين .. ولكن كيف تبقى الديمقراطية ، التى هى بحاجة الى استقرار ونمو تدريجى ووعى متصاعد ، فى أمة مهددة بعدم الاستقرار من قوى الداخل وأعداء الخارج ، ولدى جماهير غير مؤهلة أصلا للممارسة الديمقراطية وواجباتها ومسئولياتها وهى تحتاج الى كسرة خبز قبل أن تفكر فى صناديق الاقتراع ، وتحتاج لدروس فى محو الأمية ، أكثر من حاجتها الى النصوص الدستورية والفذلكات البرلمانية ؟ !

بعد ذلك حصل التوجه نحو الحل « القومى الوحدوى السياسى » ، وتحققت ـ مؤقتاً ـ بعض المنجزات بهذا الاتجاه ، ولكن سرعان ما عادت المسيرة الى الوراء ، لأن الحركة الوحدوية كانت تفتقر للفلسفة الصلبة من ورائها ، وللعقيدة الراسخة فى صلبها وللايمان بالحرية لجماهيرها وللعمل المنظم المنتج ، ولاحترام الانسان وكرامته ..

وبعد هزيمة حزيران ، ومع ازدياد الانتاج النفطى فى عدد من البلاد العربية ، ظهر اتجاه يدعو إلى ضرورة «التنمية» الصناعية لخلق قاعدة لجوانب النهضة الأخرى ، في هذا العصر الذي يعتمد التنافس فيه بين الأمم على مدى قدرتها الانتاجية فى حقل التصنيع والتقنية .

هذا « الاتجاه الانمائي » هو الاتجاه السائد الآن ، والذى تصب فى مجراه معظم الجهود . وهو اتجاه إذا نظرنا إليه فى ضوء خططه الاقتصادية الخالصة ، وفى جوانبه التقنية المتخصصة يبدو مقنعاً ومضموناً وحافلا بالثمار ، ولكن من الضرورة القصوى أن نتأكد ان كانت خططنا الانمائية تتوافق مع قيمنا الحضارية ، وتنبع من ضمير شعبنا لا من فكر قلة من الاخصائيين ، وتعتمد على العمل المنتج المنظم للمواطنين اكثر من اعتمادها على اليد العاملة المستوردة ، وتهدف لتحقيق استقلالنا الاقتصادى لا ربطنا باى كتلة اقتصادية ، أو إفادة الاستثمارات الأجنبية .. الخ .. أعنى باختصار ، هل «الحل الانمائى» السائد حالياً يسد كل ثقوب السفينة أم يقتصر على سد ثقب واحد كالحلول السابقة ؟

والسؤال الآن لماذا لا نجرب كل تلك الحلول مجتمعة بعد أن نصبها فى نظرية شاملة وفى دليل عمل متكامل ؟

وهذه ليست عملية جمع بطبيعة الحال . انها تتطلب الغوص إلى الجذور لمواجهة أسس المعضلة كلها فى العقل ، فى الروح ، فى الضمير ، فى المجتمع ، فى السياسة ، فى الاقتصاد ، فى كل جانب من جوانب الحياة بلا استثناء . فهكذا تكون الحلول الحضارية المجدية والباقية .

إن ظاهرة العودة الى الاسلام لدى الجماهير العربية ، يمكن تفسير جانب منها من زاوية كون الاسلام حلا شمولياً لمختلف جوانب الحياة ، بخلاف الحلول الأخرى التى جربت معها . صحيح أن الجماهير تتمسك بالاسلام لأنه دينها وتراثها ، ولكن الصحيح أيضاً ، وبالاضافة الى ذلك ، أن سر ديمومة الاسلام فى كونه نظاماً روحياً وعملياً شاملا ونافذاً لصميم الحياة والكون ومختلف هموم الانسان وأنشطته .

ولقد استطاع العرب الأقدمون أن يستمدوا من النظام الاسلامى حلولا عملية مثمرة ناسبت أوضاعهم وظروفهم التاريخية .

فمتى سيستطيع العرب المحدثون ، عرب الأزمة ، أن يستمدوا من النظام الاسلامي حلولا عملية ، عصرية وتقدمية ، تناسب احتياجاتهم الحضارية الراهنة ؟ ما أصعب الاجابة !

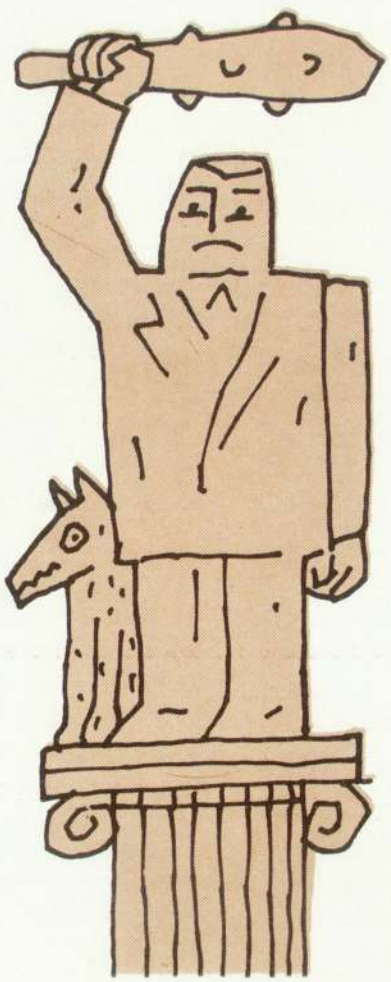
التماثيل

بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

يشق نهر الدانوب قلب بودابست عاصمة هنغاريا فيشطرها شطرين ، بودا على يمينه وبست على شماله ، وفى جانب بودا ، عند نهاية واحد من الجسور المتعددة التى تعبر الدانوب واصلة احد الشطرين بالآخر وقعت عينى على منظر لا ينسى . فى ذلك المكان ، عند طرف ذلك الجسر ، رأيت قاعدة من الرخام عريضة واضح انها اعدت لتحمل تمثالا عملاقاً . كانت القاعدة خالية ، أما التمثال فقد كان ممددا على الأرض الى جانبها بأبعاده الهائلة . تمثال لرجل ضخم ، سليم الأجزاء ، ولكنه مكبوب على وجهه وأنفه ممرغ فى الرغام ..

التمثال هو تمثال ستالين . كان منتصبا بجبروت على قاعدته طيلة حياة صاحبه ... عندما كان صاحبه يملأ القلوب بمشاعر تتراوح بين الرهبة والتقدير والمحبة ، بقدر مايكون اصحاب تلك القلوب قد ذاقوا من بطشه أو أكبروا من انجازاته أو صدقوا دعايات أبواقه . ولكن ستالين مات ، وقامت فى عام ١٩٥٦ انتفاضة المجر التى تحرر فيها الشعب الهنغارى من ربقة التبعية المطلقة لروسيا . وكان تحررا قصير الأمد ، إذ ما لبثت قوات الاتحاد السوفييتى أن اجتاحت هنغاريا وعاصمتها حائلة بذلك دون أن تنتقل عدوى التمرد الى بلدان أوروبا الاشتراكية الأخرى . يبقى من هذا العهد التحررى أثر واحد ، هو تمثال ستالين الذى أنزله الثائرون عن قاعدته ، وطرحوه أرضاً ، يرمزون بذلك الى تحطيم النير وتمزيق الطغيان ، كما رأيته فى زيارتى لبودابست منذ سنين عديدة .

ياله من منظر ! الجنراليسيمو جوزيف فيساريونوفتش ستالين ، الرجل الفولاذى والحاكم المطلق البطاش ، ذلك الذى كانت تتدحرج باشارة منه رؤوس ماريشالات الاتحاد السوفييتى والمنظرين الكبار للشيوعية ومناضليها العنيدين ، والذى تحكم بأرواح الملايين الكثيرة فى بلاده والبلاد الدائرة فى فلك تلك البلاد ، كما سيطر على افكار ملايين أكثر فى سائر بلاد العالم ، ذلك الطاغية الداهية الجبار ينزل من علياء مجده وتزال هيبته وتغطى الوحول ونفايات الشوارع تمثاله كأن لم يكن له يوماً عز ولا كان له سلطـان ! ... أى درس يجده فى هذا المنظر كل من يغتر باذعان الجماهير وخضوعها وتصفيقها ، وبرفعة المناصب وجبروت السلطة؟!



حذاء خروتشيف

رب سائل يسأل : مادام الجيش السوفييتى قد خنق انتفاضة الهنغاريين على ما رأوه طغياناً للاتحاد السوفييتى عليهم ، لماذا لم يعد تمثال ستالين الى قاعدته منتصباً شامخاً .

فى الجواب على هذا السؤال تكمن بقية المهزلة ـ المأساة . ذلك أن ستالين لم ينزل عن مقامه كتمثال على ضفة الدانوب فحسب ، وانما أنكره اهله ، الروس والسوفييت ، فى عقر داره . وكانت ذروة ذلك الانكار مؤتمر الحزب الشيوعى العشرون الذى عقد فى أكتوبر من عام ١٩٥٦ ، وفيه حطم خروتشيف صورة ستالين المعنوية مبعثرا أمجاده ، مفصلا طغيانه ، ومعددا الكوارث والجرائم التى ارتكبت فى عهده وبأمره . هذا مع العلم أن خروتشيف لم يبلغ المكانة التى أهلته لأن يخلف ستالين فى مناصبه إلا بفضل ستالين نفسه . وقد رووا أنه فى ذلك المؤتمر ، وفي

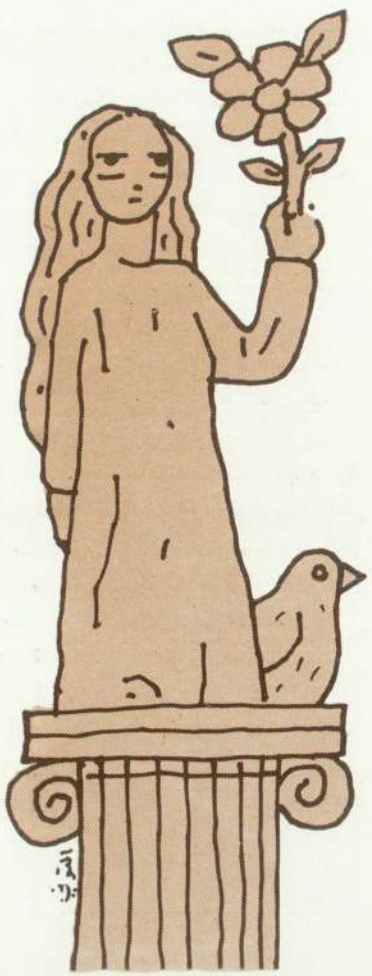
اعقاب خطاب خروتشيف فيه ، وبينما كان هذا يرد على أقوال المناقشين والمستفسرين ، تلقى سؤالا مكتوباً فى ورقة غير موقعة يقول فيه صاحبها : «ماد مت، ايها الرفيق خروتشيف ، تعرف كل هذا من أخطاء ستالين ، لماذا سكت عنه وظللت طيلة حياته احد المقربين إليه ؟» قرأ خروتشيف الورقة بصوت عال وقال : ليرفع الرفيق صاحب السؤال أصبعه ويعرفنا بنفسه ، فلم ترفع اصبع فى قاعة المؤتمر على الرغم من تكرار الدعوة . عند ذاك ابتسم خروتشيف وهو واقف على المنبر وقال : السبب الذى دعانى ، فى حياة ستالين ، الى السكوت عما كنت أراه واعتقده هو نفسه الذى منع الرفيق صاحب السؤال عن رفع اصبعه أمامى الآن ...

ذلك أحد أساليب خروتشيف فى الرد على مناوئيه ومعارضيه ، ولعله اسلم تلك الأساليب . فهن اساليبه المثيرة ما رأيته يرد به على ما لم يعجبه من اقوال المندوبين فى اجتماع الهيئة العامة للأمم المتحدة . فقد كنت فى نيويورك فى خريف عام ١٩٦٠ وتابعت ما كان يعرضه التلفزيون من مناظر اجتماع مندوبى دول العالم فى القاعة الكبرى لهيئة الأمم فى مقرها فى مانهاتن فى دورة ذلك العام. وكان منظرا فريدا فى غرابته عندما شاهدت ، ومثلى الملايين الذين كانوا يتطلعون الى شاشة التلفزيون ، خروتشيف ينتزع حذاءه من قدمه ويقرع به المنضدة أمامه بشدة وتكرار ، حين تجاوز أحد الخطباء الحد فى انتقاد الاتحاد السوفييتى . تصرف لا يصدق وقوعه . إلا أنه ، على كل حال وبالرغم من تجافيه عن اللياقة ، يظل اسلم من أساليب أخرى اتبعها الرجل نفسه فى ظروف مغايرة ، مثل ما حاول أن يفعله من غرس صواريخه الذرية فى كوبا واضعاً العالم على شفا حرب نووية ، أو ما فعله حقاً حين اجتاحت جيوشه هنغاريا وفرضت على شعبها ارادته ونظامه .

الصبى البائل

أعود الى التماثيل وما توحيه من عبر. كثيرون ممن زاروا بروكسيل ، عاصمة بلجيكا ، يعرفون تلك النافورة الضاحكة المنحوتة بشكل تمثال صبى جميل صغير يسمونه هناك «مانكان بيس» ، أو الصبى البائل ...

أقيم هذا التمثال الصغير فى زاوية هى مفترق شارعين من شوارع بروكسل القديمة ، تذكارا لحكاية صبى هو ابن أحد أعيان تلك المدينة فى القرون الوسطى . كان صبياً فى نحو الخامسة من عمره ، خرج فى صبيحة أحد الايام من قصر أبيه وانطلق وحيداً فى البلدة فضل طريقه فى أزقتها الضيقة المتشابكة وافتقده أهله فقامت قيامتهم ، وتوزعوا هم وأصدقاؤهم وخدمهم يبحثون عنه فى كل مكان . وفى ساعة متأخرة من النهار عثروا على الصبى فى حى بعيد ، واقفاً لوحده ، يتبول فى الزقاق بكل براءة . وكان سرور أبيه بتلك اللقيا كبيراً فأراد تخليدها بأن أقام فى ذلك المكان نافورة هى تمثال طفله الحبيب ، الذى يبدو واقفاً فى زاوية زقاقين ، وظهره الى الجدار ، يتبول ماء زلالا طالما تزاحم أهل بروكسل على الشرب منه فى القرون الماضية تزاحم السواح عليه فى هذه الأيام .



ما من زائر لبروكسل وقف أمام تمثال مانيكان بيس إلا ملأت الابتسامة وجهه وفاضت مشاعره بالحنو والغبطة لمرأى هذا الطفل المزيج من الوداعة والشيطنة.

التمثال الذى يرتاده كل صنوف البشر

العبرة فى تمثال مانيكان بيس تبدو فى أنه لا يزال قائماً فى زاويته منذ مئات السنين ، يرتاده كل صنوف الناس ، ومامنهم إلا ابتسم لمرآه واعجب به وحيا ذكراه ، ليس فيه ضخامة تمثال ستالين ولا عظمة النصب التى ينحتها الطغاة لأنفسهم وهم فى ذروة سلطانهم تخليدا لأمجاد مصطنعة ، ولا تلبث أن تتحطم حين يتبدد ذلك السلطان وينكشف زور تلك الأمجاد . هؤلاء تعميهم العزة بالاثم عن أن يدركوا أن النصب الجائرة ستحمل لعنات تزداد وفرة بازدياد مظاهر الفخامة فى تلك النصب . وكان الخير أن يقوا انفسهم تلك اللعنات ، إذ لم يكن بالعدل والانصاف فبالتواضع والتخـفف ...

يروى سعدى الشيرازى فى كتابه روضة الورد ، «كلستان» ، قصة صبيين التقيا فى مقبرة ، احدهما ابن رجل كان ذا نفوذ وسلطان والثانى ابن انسان كان فقيرا متواضعاً . قال ابن السيد ذى النفوذ : انظر الى النصب المبنى على قبر أبى ... انه من الرخام الثقيل الفاخر ، نقوشه ملونة كأزهار النيروز وحجارته مرصعة بالذهب والفيروز ، أما قبر أبيك فمبنى بلبنتين ومرشوش من التراب بقبضتين . فأجابه ابن الفقير قائلا : اسكت أيها الغبى .. فحين ينفخ فى الصور وينشر أهل القبور يحاول أبوك زحزحة الرخام الثقيل عن صدره فلا يقدر ، بينما يكفى أبى أن يرفع رأسه ليشق عن جسده التراب ، وقبل أن يتحرك أبوك من تحت تلك الاحجار يكون أبى قد وصل الى الجنة ونجا من النار ! .

حقاً إذن لقد فاز المخفون ... هذا لو عقل الجائرون من أهل التماثيل الضخمة والنصب المتعددة ، المثقلون على الناس وعلى انفسهم .

د. عبد السلام العجيلى

د. يوسف إدريس

البخيلان: الحكيم ونجيب محفوظ

أعرف مسبقاً أن ألف خطاب احتجاج ستجيئنى على إضاعة وقت القراء فى هذه الدردشة التى لا معنى لها . ولكن قبل أن يفكر أحدكم فى امتشاق قلمه ، وهات ياكتابة ، اقول لكم : ومالها الدردشة ؟ أليست خيرا من جليس السوء ؟ ألم يكن الرسول عليه الصلاة والسلام يمزح ولا يقول إلا حقاً ؟

أحياناً يتحول مكتبى فى الأهرام الى مضيفة كمضايف العمد لا ينقصها الشاى والقهوة . وإن كان ينقصها لتصبح مضيفة شرقاوية حقيقية . الغذاء والعشاء والبيات إن أمكن . وقد تعود ضيوفى الأعزاء التراكم . بمعنى أن الضيف يكون قادماً لانهاء عمل أو تسجيل حديث ، فياتى آخر أو آخرون أو أخريات ، فنحلو القعدة ، وتبدأ المناقشات وتعلرفات إذ قد كففت من زمن أن أعرف أحدا بأحد . ذلك أن ذاكرتى ضوئية ورقمية وغير سمعية بالمرة . بمعنى أنى من الصعب علي تماماً أن اتذكر اسماً ، ربما لانسان عشت معه سنين أو كان صديقى لعمر طويل . أما الشكل فأبدا أنا لا أنسى شكلا رأيته أو مشهد شارع ولو كان جانبياً مررت به ، ولهذا فالعناوين عندى ضوئية أيضاً ...

وكثيرا ما تحدث متناقضات فى هذه القعدات ، طالب من جماعات الاسلام يشتبك فى نقاش مع طالبة مؤمنه تماماً بأن لا أحد له حق التدخل ـ تحت أى اسم ـ فيما يجب عليها أن تفعله أو تؤمن به . مناقشة ، تناقشنى أما النقاد كما اقول أنا إذ هم لم يعودوا يستعملون أشياء هبلاء كالتى علمونا طويلا أن نستعملها مثل « خرط القتاد » ، و «ثالثة الأثافى و «القشة التى قصمت ظهر البعير» . بعير «مازدا» والآن «داتسون» المعدل ، و «فيات ١٣٢» ، والفرق بينه وبين «أودى» حيث لا قشة تقسم عامود الكردان ولا فى العجلة أى ندامة وإنما هى «تيوب لس» تلحم من تلقاء نفسها إذا حتى دخلها مسمار .

وأنا أحب الناس والشباب والاندماج فى نقاش مستعص ، أو إثارة قضية ليس فيها علامات تعصب أو بكاء على أحوالنا التى لا تسر . هذا كله أهم عندى من أى قراءة ، أو انفراد . وأجد فيه أحياناً متعه كمتعة الكتابة . أحب الناس الى درجة أنى احزن حقيقة حين يصلنى خطاب من صديق قارىء يستحلفنى فيه أن أرد ولو بكلمة . وبعضهم يتكرم ويضع ظرفاً مكتوباً عليه عنوانه ، وملصوقاً به طابع البريد ، ومعه الجملة التى أصبحت تقليدية « مع الشكر لساعى البريد » ورغم كل هذا اتمزق ألماً ، ولا أملك أن أجيب . شىء مابينى وبين كتابة الرسائل حتى لو كانت كلمة . لي شقيق فى بلد عربى لم أكتب له منذ ثلاثة أعوام ، أفضل أن أخاطبه بالتليفون ، أو بالبرقية ، ولا أرسل خطاباً . بعض الناس لهم طبائع مجنونة خاصة ، أنا جنونى هو ارسال رسائل . وقد كان من الممكن للأهرام أن يحل المشكلة ويعين لي سكرتيرة ، ولكن الأهرام لا يفعل ، ليس تقصيرا ، وإنما احتراماً لتقاليد الأهرام فى هذا المجال بالذات . والتقليد بالطبع ليس من تقاليد الأهرام ، ولكنه من صنع وابتكار استاذنا ووالدنا الحبيب توفيق الحكيم . فحين أرادوا أن يعينوا له سكرتيرة ، أو سكرتير .. احتج بشدة ورفض هذا الأمر رفضاً باتاً . فلما عمل زميلنا وصديقنا الكبير نجيب محفوظ كاتباً للأهرام ، أيضاً عرضوا عليه حكاية السكرتارية ، وعرف برفض استاذنا واستاذه توفيق الحكيم .. أصر هو الآخر . واحد من اصراراته المبدئية أن يعين له سكرتير بينما الاستاذ الكبير بلا سكرتير . ولقد ظللت انكش من ناحيتى حين عنيت فى مسألة المبدأية هذه فلم أجد فى المسألة أى مبدأ ولا شىء آخر بالمرة . فى النهاية وبعد تقص هائل عرفت أن الموضوع له سبب وحيد خالد ، ليس المرأة بطبيعة الحال ، ولكنه بخل الاستاذ توفيق الحكيم الذى كثيرا ما أخذته على محمل الهزل . ولكن اتضح أن المسألة حقيقية لا هزل فيها . فهو مثلا لا يكتب إلا بقلم رصاص من النوع



توفيق الحكيم

المضلع الباهت الرصاص المتعب جدا في امساكه والكتابة به . وباختصار أرخص قلم رصاص بيع أو يباع في السوق . وحين سألته عن سر تمسكه بالكتابة بالقلم الرصاص ، قال : حتى إذا ضاع لا أحزن عليه .

والأقلام عادة لا تضيع .. انها « تلطش » في الغالب أو في النادر ما تؤخذ سهوا . وهذا القلم الأصفر الذي لي أحد عشر عاما وأنا أرى الاستاذ توفيق الحكيم يكتب به ، ليس فقط لا يضيع لأن أحدا لا يمكن أن يفكر في لطشه . بل انه ليبلغ من قبح المنظر لدرجة لا يمكن معها لانسان ما أن يأخذه سهوا . فقبحه كفيل بافاقته من عملية السهو والتخلص منه فور انتهاء الكتابة ، كما لو كان شبهة أو جريمة . وهو قلم غريب فتصوروا ان له عشرة أعوام على « برية » واحدة ، إذ اتضح أن الرصاص الخفيف لا يتأثر كثيرا باحتكاكه بالورق ، ولهذا فسنه لا يتناقص إلا كل حين وحين . وايضا هذا هو أحد الأسباب الكبرى وراء اختيار الحكيم له. بل حتى لونه الأصفر له حكمة : لماذا ياأستاذ توفيق ؟ لأنه لون باهت منفر في الأقلام بالذات . الألوان الغامقة في الأقلام هي التي تغرى بالسهو . أو



نجيب محفوظ

باللطش ، الأحمر ، والأسود ، والأزرق . أما الأصفر فانه أحد الألوان القليلة التي تجعل الانسان يسهو عن أن يسهو ، ويأخذ القلم سهوا .

وإذا كان توفيق الحكيم هو الذي يملك الحضور البخلي المسرحي ، فان نجيب محفوظ هو البخيل الذي لا يستطيع إنس أو جن أن يكتشفه في لحظة بخل ، فهو لا يخلع أبدا ملابس التنكر حتى وراء الستار ، وحتى بينه وبين نفسه . قال لي الاستاذ توفيق الحكيم مرة حين سألته لماذا لا يشجع ويشيع عن نفسه حكاية البخل هذه . أذكر أنه أجابني بما يدل على ذكاء شديد ، إذ قال لي ان البخيل الذي يحاول أن يكتم أمر بخله عبيط لأنه سيدفع الناس جميعاً لانتقاده والنيل منه دائماً لبخله . أما الذي يعرف الناس عنه جميعاً انه بخيل فان أحدا لا يذكره بسوء لبخله ، وتتحول المسألة من رذيلة مضطر أن يدافع عنها الى نكتة ، بل الى ما هو أكثر ، الى حقيقة لا يناقشها أحد ، توفر عليك متاعب الحرج من كل انسان تصادفه . وبهذا تبخل دون ازعاج أو استنكار ، وتزاول متعتك تلك علناً وعلى رءوس الأشهاد ، ودون ذرة لوم من أحد .

وهكذا فان طريقة نجيب محفوظ في البخل متعبة له وللآخرين . فبينما حول توفيق الحكيم بخله الى نكتة ينميها ويشجعها ، فان نجيب محفوظ على عكسه يخاف تماماً ان يعرف عنه أنه بخيل ، يخاف خوفاً دراميا حقيقياً يأخذه كرواياته التراجيدية مأخذا جادا لا هزل فيه . فهو مثلا من جلاس المقاهي ولابد أن يطلب لك إذا كنت قادماً وهو جالس قبلك طلباً . لا يطلب طلباً وإنما يحدد قاطعاً عليك طريقة الاختيار قائلا : مضبوط والا ساده ؟ وهكذا تجد نفسك وقد انحصر اختيارك بين القهوة والقهوة . والقهوة سعرها معروف ، قل خمسة في المقهى ، وقرشين في الأهرام . لكي يخفي نجيب هذا البخل القهري المركب فيه يطلب لكل قادم طلباً ، ولكنه طوال الجلسة يتعذب . وأنا لم أجلس معه كثيرا على المقاهي أو في الأهرام . ولكني كنت ألاحظ أنه لا يندمج تماماً في أية مناقشة خطيرة تنشأ أو إذا اندمج فانما يقول رأيه بسرعة ، وبأسرع من البرق يكون قد عاد الى حالته الأولى ، حالة التفكير في شيء ما يحيره . فعلا تحس ان هناك شاغلا مستمرا يشغله ولقد ظللت اسأل نفسي عن هذا الذي يشغل أخانا الأكبر نجيب محفوظ طوال الوقت إلى أن حدثت أمامي هنة بسيطة كشفت عن كل شيء . فهو قبل أن يغادر الجلسة يحاسب الجرسون طبعاً . ومرة ذكر الجرسون ثلاثة شاي واربعة قهوة ، فاذا بالأستاذ نجيب محفوظ يسارع بتصحيح الخطأ ويقول « لا .. أربعة شاي وثلاثة قهوة » .

دهشت لبعض الوقت ، ولكن فجأة ومضت الفكرة أمامي . ان أي انسان عادي نادرا ما يذكر بالضبط عدد ونوع الطلبات التي طلبت خاصة إذا كانت الجلسة صغيرة ، فبقدر عدد الحاضرين تكون الطلبات . أما ان يتذكر إنسان انهم كانوا أربعة شاي وليسوا ثلاث .. وثلاثة قهـــوة وليسوا أربعة .. فمعنى هذا أن المسألة كانت تشغل باله طول الوقت . أيكون هذا هو السر الذي

شهريات

البخيلان: الحكيم ونجيب محفوظ



توفيق الحكيم



نجيب محفوظ

يحول بين الاستاذ نجيب محفوظ وبين الاستطراد فى اندماجه فى المناقشات ؟ إذ لو تجافى الأمر دقائق ، لما استطاعت ذاكرته أن تعود تقفش عدد فناجين القهوة وتفنطها ,على جانب حتى لا تختلط بعدد أكواب الشاى .

وياله من مشهد خالد ما أراه كل خميس حيث الموعد الذى ضبطناه على ساعة نجيب محفوظ أن يلتقى كتاب الأهرام أسبوعياً . مشهد توفيق الحكيم وهو يزاول متعة البخل بكل صهللة واستمتاع ، بينما بخل نجيب محفوظ سبب له كل هذا الجهد النفسى الخفى لمعرفة كم عدد الشايات التى طلبت ، وكم عدد القهوات ، وكم عدد المشروبات الغازية . ذلك أنه لو وضع سره البخيلى فى بير ، يتولى هو ـ رغم أننا نجتمع فى حجرة توفيق الحكيم ـ طلب الطلبات للقادمين . وحيث أن الحضور أحياناً قد يصلوا الى العشرين .. فتصور محنة صديقنا الكبير أبو النجب ، ونحن منطلقون على سجيتنا نقهقه ونحلل ونسخر ، وتوفيق الحكيم فى أوج مزاولته لبخله وتدليله والطبطبة عليه ، وتزيينه للناظرين . الجميع فى متعته . والوحيد الذى يختلس المتعة اختلاساً حين ينتهز بين كل حين وحين الفرصة ليلقى برأى سريع مركز حكيم كالزلطة المصوبة بعناية الى قطار المناقشات ، ثم بسرعة اللهب يعود فيمسك بفناجين القهوة والشاى واعدادها ـ بنت الذين ـ التى كادت تنتهز الفرصة لتختلط أو تفلت ، إذ الفارق بينها مهول ، فنجان القهوة بثلاثة قروش ، بينما فنجان الشاى بقرشين ، كارثة لو اختلط فنجان بفنجان ، ومأساة لو تعبت ذاكرة « بدوى » الساعى ، واختلط أكثر من زوجين ...

● ●

فى لحظة خلوة جميلة وأنا اوصل الاستاذ توفيق الحكيم الى بيته بعربتى سالته : لماذا رفض ـ حقيقة حكاية السكرتيرة واستن هذا التقليد الذى نعانى منه جميعا ؟ .

قال لي : بصراحـــة بصراحـــة .
قلت : بصراحـــة بصراحـــة

قال : أنا اتعقدت من مسألة السكرتيرات هذه حين كنت ذات عام أو بالضبط سنة ١٩٤٢ أزور التابعى الله يرحمه فى مكتبه ، وحين نادى السكرتيرة ليسعهد لها بشىء لاحظ أنها تتثاءب . فسألها فقالت : أصل امبارح كان عيد ميلادى ياأستاذ وسهرنا شوية .

ـ عيد ميلادك ؟
قال المرحوم التابعى :
ـ أيوه .
ـ ولا تقوليليش .
ـ مسألة ما تستهلش يابيه .

محمد التابعى



احسان عبد القدوس



ـ إزاى ما تستهلش ؟

و « ضرب » يده فى جيبه فوجد أن ما معه ورقتين من ذات العشرة جنيهات وقال :

ـ دول بدل هدية متواضعة جداً . إنما حا عوضالك السنة الجاية إن شاء الله .

صمت طويلا ، وقلت وانا أتأمل الموقف
ـ طيب .. وماذا فى ذلك عقدك ؟ .

قال : سكرتيرة التابعى قالتها ببراءة .. دلوقتى بقى بيحتفلوا بعيد ميلادهم مرتين وثلاثة فى السنة . أندب أنا فى هدية عيد ميلاد كل سنة علشان إيه ؟

ـ مش ضرورى .. تجاهل .
ـ بيطلعوا أخبث . تروح جايبالي يوم عيد ميلادى كرافتة رجالي بجنيه ولازم غصب عنى أردها لها .

.. وهكذا من أجل ألا يكلف نفسه مشقة أن يستعين ويستجير بهذه السكرتيرة أو تلك لتكتب له خطابا على الآلة الكاتبة للناشر ، وعناء الذهاب الى البوستة ، والوقوف فى طابور لشراء الطابع ، ومشوار اخر للصندوق ، يكلف نفسه عناء أنه حين يود التحدث فى أمر أو الى شخص خاص ، يستعير مكتب إحسان عبد القدوس ، أو مصطفى بهجت بدوى ، ثلاثة أرباع وقته فى الأهرام ، وفى غيره ، مضيع فى مسائل كان من الممكن أن يحلها سكرتير أو سكرتيرة ، ليتفرغ هو الى ما هو أخطر .

كل هذا حتى لا يكلف نفسه عناء هدية فى عيد ميلاد أو عيدية لسكرتير .
يكلف نفسه ويكلفنا كلنا هذا العناء الذى وضع تقاليده ! !

أعرف مسبقاً أن ألف خطاب احتجاج ستجيئنى على إضاعة وقت القراء فى هذه الدردشة التى لا معنى لها ، ولكن قبل أن يفكر أحدكم فى امتشاق قلمه وهات ياكتابة أقول لكم : وما لها الدردشة أحيانا ؟ أليست خيرا من جليس السوء او قول السوء ؟ ألم يكن الرسول عليه الصلاة والسلام يمزح ولا يقول إلا حقا ؟
ليس الاهرام مسجدا . انه جريدة ولست إماما . فانا كاتب . ومن حقكم علي ان اريحكم أحيانا من الأجزاء الجادة فى كلينا .

د. يوسف ادريس

درويش مصطفى الفار

التقدم.. والأخلاق

بلغ الانتاج العالمى من الذهب الابريز قرابة أربعين مليون أوقية خلال العام الميلادى ١٩٧٩ ، ولكننا لا نعرف يقيناً الرقم الذى بلغه الانتاج العالمى من عسجد صخور قشرة الأرض ، تبرا أو شذرات ، منذ أن اكتشف قدماء المصريين سر وجود ذلك الفلز الأصفر الرنان فى معادنه بعروق المرو ورمال وديان الصحراء الشرقية ، غرب البحر الأحمر ، تلك التى سموها بلاد النوبة ، اشتقاقاً من كلمة (نوب) التى كانت تعنى بلغتهم « الذهب » ، بعد أن نزحوا من الجزيرة العربية الأم ليؤسسوا أول حضارة فى التاريخ حول النيل الخالد ... وتقوم اليوم صناعة استخراج الذهب من خاماته على أسس علمية فى خطوات منظمة محكمة ، تبدأ بأن تجتث العروق أو السامات ، التى يثبت الاستطلاع احتواءها على الذهب ، وتنقل حصيلة المنجم الى حيث تطحن بآلات ضخام ، لا تتوقف عن العمل ليل نهار ، فتحول الصخر الصلد الى تراب ناعم دقيق ، يتم غمره بمحلول مائى لمادة سامة قاتلة تسمى السيانور ، وهى التى انتحر بازدرادها مساعد هتلر الشهير ، هيرمان جورنج ، فى سجن نورمبرج ، فيتحد الذهب بالسيانيد مكوناً مركباً كيماوياً معقداً ذائباً فى الماء ، وينقل هذا المحلول الذهبى السام الى جواب راسيات ، تمهيداً لاستخلاص الذهب منه ، نضارا ينفع الناس ، أو يستذل بعضاً منهم للآخرين ... ولا يستخلص الذهب من المحلول إلا بعلم . إذ عرف المشتغلون بالعلم من نواميس الله وقوانينه فى تفاعلات المواد ، أن لكل عنصر من عناصر الأرض صفات كهربائية تتيح لفلز أن يحل مكان فلز آخر ، أى يطرده من مركباته ، ومن هنا يلقون بمسحوق خشن لفلز الخارصين (الزنك) فى المحلول الذهبى ، بحساب وميزان فيطرد الخارصين الذهب ، الذى يترسب على صورة مسحوق أسمر ، ينقل بعناية ويغسل بماء غزير ، ثم يجفف ويخضع لسلسلة طويلة من المعالجات بالكيماويات والأفران حتى يصير فى النهاية سبائك من نضار .

ولأننا حين نتدبر ما يقول به العلم ، اليوم ، عن المادة فى الكون ، من وجهة نظر الفيزياء والكيمياء ، ونحترم النتائج والقوانين التى توصل اليها الباحثون عبر القرون ، والتى تقول بأن مادة الكون ، المعلوم لنا حتى الآن ، قد بناها الخالق سبحانه من لبنات أساسية أربع هى البروتون ، والنترون ، والالكترون ، والنترينو ، ومنحها صفات من الطاقة ، أربع أيضاً ، هى الجاذبية ، والكهرومغناطيسية ، والطاقة الذرية الضعيفة التى تحفظ الالكترونات فى أفلاكها حول نواة الذرة ، والطاقة الذرية القوية التى تربط على قلوب النترونات والبروتونات فى نواة الذرة ، وان التنوع فى اختلاط هذه المقومات الثمان ، هو الذى يعطينا ذلك التنوع الرهيب الذى لا يحصره العد ، من الألوان والكثافات والطعوم والأصوات فى الصخر والحيوان والنبات والغازات والسوائل ، وأن ما نسميه موجباً لو كان سالباً ، وما نسميه سالباً لو كان موجباً ، خلافاً لما نصف به المادة ، فان صفات المادة سوف تكون بالتأكيد شيئاً غير تلك التى تدركها حواسنا ، وأن عالم الجن والملائكة الخفى عن تلك الحواس ، هو حقيقة علمية يرفضها عقل سليم يعرف أهمية احترام العلم والدين معاً . هذا بالأضافة الى أن الصفات التى أعطاناها العلم للمادة والطاقة ، مما يشمل خاصية فلز أن يطرد فلزاً آخر كما يفعل الخارصين بالذهب فى محلول السيانور ، لا تكمل الصورة التى يعرفها العلماء والشعراء على سواء ، فأين نضع صفات الانسان التى منها ، الشجاعة والجرأة والجبن والخوف ، والكرم والبخل ، والحب والكره ، والشوق والحنين ، والثأر ، والاصرار ، والجمال والقبح ، والايمان والكفر ، والنفاق والصدق ، والوفاء والغدر ، والخبث والنزاهة ، والرياء والملق ، والحزن والفرح والطرب ، والقلق والغباء ، والذكاء ، والأمانة والخيانة ، وغير ذلك من الصفات والسمات البشرية التى لم يخضعها العلم بعد ، لمقياس أو ميزان أو مجهر أو أنبوب اختبار ، وهى الصفات التى لو اجتمعت الجوانب الخيرة الايجابية منها فى مجموعة من البشر ، وكانت فى الميزان أثقل من الجوانب الشريرة السلبية ، فان تلك الجماعة ، كما يقول التاريخ كله ، سوف تكون لها الغلبة فى الصراع ، والقدرة على اجتياز المحن ، والصعاب ، وتخطى العقبات التى ترسمها المخططات الشريرة لوأدها وانتشارها ، وهذا ما صنعه الاسلام بالعرب فجعلهم أئمة الناس وحملة لواء الحضارة والعدل لعدة قرون ، حتى إذا ما دالت دولتهم (الاخلاقية) دالت دولتهم السياسية وعادوا ادراجهم سياسياً الى حالتهم فيما قبل الاسلام ... فالتكوين (المادى) للشعوب والأمم ، والذرات والطاقات التى خلق الله منها أبدانهم ، واحدة لا تختلف ولا تتمايز .

ولكن الاختلاف والتمايز يتأتى من مجموعة أخلاق وصفات ، يمكن لكل قيادة واعية هادفة ساهرة ، أن توجه اليها أفراد شعوبها ، حتى تصبح تلك الصفات هى الغالبة على مجتمعاتها بما يجعلها فى مأمن من الضياع فى هذه الغابة البشرية التى وصلت الى القمر ، وسبرت اجواز الفضاء ، ولكنها لازالت بحاجة الى الأخلاق .



الأحرف العذارى

شعر: محمد الفهد العيسى

● الابحار فى ليل الشجن : ـ أحدث دواوين الشاعر السعودى الكبير محمد الفهد العيسى .. صدر أخيرا عن مؤسسة « تهامة » ضمن سلسلة « الكتاب العربى السعودى » فى ٢٩٢ صفحة ، تضم ٦٥ قصيدة .

والأحرف العذارى : إحدى قصائد الشاعر الكبير فى ديوانه الجديد ●

« ١ »

عِنْدَمَا يَلُفُّ اللَّيْلُ فِي ظَلَامِهِ الْمَدِينَهْ
وَتُقْفَلُ الْأَبْوَابُ وَالنَّوَافِذْ
عِنْدَمَا تَنَاوَبُ النُّجُومُ فَوْقَ قَرْيَتِي الْحِرَاسَهْ
وَتَغْفُو فَوْقَ أَحْضَانِ السَّكِينَهْ

« ٢ »

شَيْخُ قَرْيَتِي عَلَى كُرْسِيِّهِ الْقَدِيمِ يَقْتَعِدْ
وَحَوْلَهُ ذُبَالَةُ الْفَانُوسِ تَرْتَعِدْ
يَنْفُثُ الدُّخَانَ مِنْ غَلْيُونِهِ سِنِينَ ذِكْرَيَاتْ
أَيَّامَ كَانَ يَمْتَطِي الْحِصَانْ
وَيَرْنُو نَحْوَ رُمْحِهِ الْمَكَانُ وَالزَّمَانْ
أَيَّامَ كَانْ ..
وَنَفْسُهُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي إِلَيْهِ تَسْتَمِعْ
كُنْتُ .. كَانْ ..
أَحْلَامُهُ انْتَهَتْ - إِلَى السَّبْعِينَ - نَامْ
وَأَحْتَرِقْ .. وَأَحْتَرِقْ ..

«٣»

عِنْدَمَا الْأَطْفَالُ لِلْأَحْلَامِ تَبْتَسِمْ

وَتَلْهُو فِي أَسِرَّةٍ تَهُزُّهَا مَلَاكْ

تَشْدُو لَهُمْ أُغْنِيَّةً بِحُلْوِ الذِّكْرَيَاتْ

عَنِ الظِّبَا الَّتِي تَعَانَقَتْ فِي "رَوْضَةِ التَّنْهَاتْ"[٢]

وَعَنْ .. وَعَنْ ..

وَتَنْتَهِي الْحِكَايَهْ ..

وَأَحْتَرِقْ .. وَأَحْتَرِقْ

«٤»

أُحِسُّ أَنَّ بُرْكَانًا يَثُورُ فِي أَعْمَاقِ نَفْسِي فِي غَضَبْ

وَأَلْفُ أَفْعَىٰ نَهْمَةٌ تَلُوبُ فِي عُرُوقِي

مِنْ سُمُومِهَا تَوَقَّدُ اللَّهَبْ ..

وَأَحْتَرِقْ .. وَأَحْتَرِقْ ..

وَالْأَحْرُفُ الْعَذَارَىٰ تُمْطِرُ الدُّمُوعَ وَالْأَرَقْ

تَدَاعَىٰ بَيْنَ أَضْلُعِي قَصِيدَةٌ حَزِينَهْ

آهٍ .. زَفْرَةٌ حَرَّىٰ كَدَرْعِ جَارِفٍ[١]

يَجْتَثُّ - مِنْ أُصُولِهَا - الشَّجَرْ

يَجُرُّ مَا قُدَّامَهُ - مَا كُلُّ فِي طَرِيقِهِ -

وَيَنْحَدِرْ

وَيَصْحُو - بُعَيْدَ نِصْفِ اللَّيْلِ -

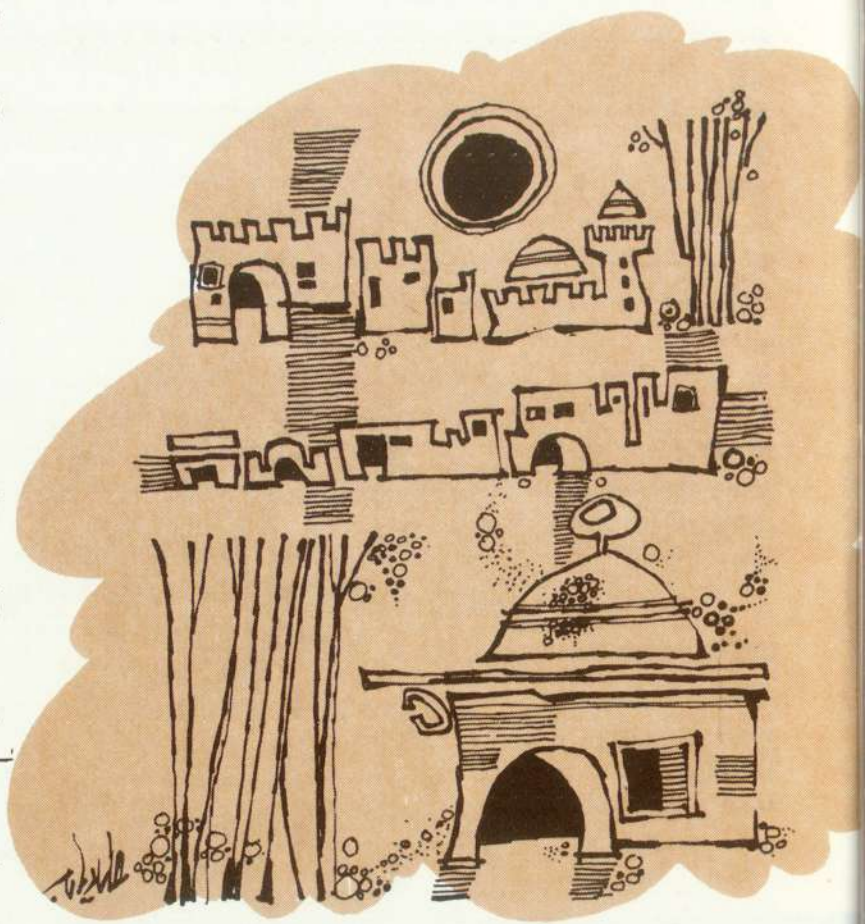
إِعْصَارُ .. عَطَاؤُهُ جِرَاحْ

وَأَحْرُفٌ مِنَ الْعَذَارَىٰ ..

تَوَشَّحَتْ شَلَّالَ ضَوْءٍ مِنْ سَمَاحْ

وَشَدَّتْ حَوْلَ خَصْرِهَا

جَدَائِلًا مَنْسُوجَةً مِنَ الْقَمَرْ



- روضة التنهات : من رياض نجد المشهورة

- سيل درء : جاء منحدرا من الوادي دون مطر في محله .

محمد متولى الشعراوى

الدعاء
وصادق العبادة

احمدك ربى واستعينك كما علمتنا أن نحمد وأصلى وأسلم على خير أنبيائك وصفوة رسلك ، رسول صدق مبلغ عن إله حق .. وبعد .

قال سبحانه وتعالى :

« الا بذكر الله تطمئن القلوب » الرعد ٢٨ .

أى أن الانسان عندما يتذكر أن قوة الله سبحانه وتعالى وقدرته موجودة ، وأنها قادرة على كل شىء لا تحدها قيود ولا حدود فانه يطمئن قلبه .. لماذا ؟ لأن الانسان إذا تخلت الأسباب عنه فلا يتخلى ولن يتخلى الله عنه .

وإن الله مهما سدت السبل ، أو ضاقت الأزمة .. لديه الحل من حيث لا ندرى ولا نعلم ، ومن هنا فان المؤمن لا يدخل إلى قلبه الشقاء أبدا .. لماذا ؟ لأنه مطمئن الى قدرة الله وإلى عدله . مطمئن الى رحمة الله ، وبذكر الله تطمئن القلوب . ولكن لماذا كان الدعاء هو مخ العبادة ؟ لأنه يذكرنا دائما بضعفنا وقوة الله ، وقدرتنا المحدودة ، وقدرة الله المطلقة ، يضع فى قلبنا الخشوع والخضوع ، ويجعلنا نحس أن الله سبحانه وتعالى قائم على كونه .

هذه الخشية التى تدخل القلب تنزع منه غرور الدنيا مهما كان . فاننى مهما علوت فقير الى الله سبحانه وتعالى ومهما كنت فى الدنيا ، ومهما علا شأنى على هذه الأرض ، فلا أبلغ ذرة من ذرات ملك الله .. ومن هنا فانا أعلم مقامى فلا أطغى ، وأعلم حاجتى الى الله فاخشاه وأعبده حق عبادته ، فلا تغرنى قدرتى على الناس مهما بلغت ، وأعرف جزاء وحساب الله ، فلا يغرينى الحرام مهما استطعت أن اصل اليه

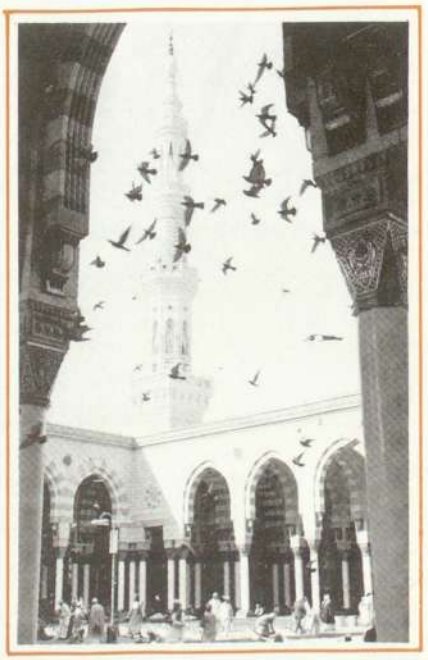
ما هو الدعـــاء ؟ .

الدعاء فى معناه : أن نعيش مع الله دائما لا نتركه لحظة واحدة .. كلما نسيته تذكرته ، وكلما بعدت عنه فزعت ،

وكلما علا شأنك فى الكون أحسست بضالة كل ما يمكن أن تعطيه هذه الدنيا لانسان ، بجانب ما يعطيه الله سبحانه وتعالى لدعوة واحدة تخرج بكلمة (يارب) . إن الدعاء هو إحساس مستمر يعجز العبد أمام قدرات الله سبحانه وتعالى . وهذا الاحساس هو أساس الايمان وهو أساس العبادة ، فكلما أحس الانسان بعجزه أمام الله ، وكلما أحس بعظمة قدرات الله .. خرج الغرور البشرى من النفس ، ودخل إليها الإحساس بالقدرة الحقيقية ، والقيم الحقيقية للانسان التى تعتبر لا شىء بجانب الكون وقدرات الله سبحانه وتعالى . والغرور هو أول مراتب المعصية وهو مدخل الشيطان الى النفس البشرية . ذلك أن هذا الغرور يجعل النفس تحس بقدراتها ، وتعبد هذه القدرات ، فالانسان ما اغتر إلا عندما حسب أنه يستطيع أن يستغنى عن الله سبحانه وتعالى وأن يصنع قدرته بنفسه وأنه يملك من القدرة والقوة ما يجعله فى غنى عن عون الله سبحانه وتعالى تجد أن هذا الانسان لا يستغفر أبداً .. ولا يطلب من الله المغفرة .. ولا يرجو منه الرحمة .. ذلك لأن الكبر فى نفسه يجعله يحس بالاستغناء . وهذا الكبر يمضى ليصبح كفرا ، ويكبر ليصبح عبادة للنفس وعبادة للبشر .

معصية إبليس

ومن هنا فان معصية إبليس بدأت بالغرور ، وتمرده على أوامر الله سبحانه وتعالى ، لأن نفسه دخلها الغرور ، فقال خلقتنى من نار وخلقته من طين ، رافضا بذلك امر الله . لأنه اعتقد أنه من معدن



افضل من معدن الانسان ، دخل الغرور الى نفسه ، فلم يجعله يعصى فقط ثم يندم ، بل يعصى ويرد الأمر على الله ، ويرفض أن يعترف بأنه مخطىء ، بل يقول لله سبحانه وتعالى ، لن أفعل هذا لأننى أفضل من هذا الانسان ، وهذا الغرور بذاته معصية كبرى لا يمكن أن يوجد فى النفس البشرية مع الدعاء ، فالدعاء تضرع وخشية ورفع لقدرات الله سبحانه وتعالى ، والغرور بعد عن هذه القدرات ولذلك كان الدعاء مخ العبادة .

غرور آدم وحواء

الغرور هو الذى أخرج آدم وحواء من الجنة .حسبا أنهما سيكونان خالدين ، وسيكون لهما ملك لا يبلى ، فأخذهما الغرور من التمتع بنعم الله التى أباحها لهما .. الى محاولة الاستغناء عن هذه النعمة بقوة ذاتية ، لا يملكانها ، ولا يملكها أحد إلا الله سبحانه وتعالى . ومن هنا كانت شهوة الغرور والملك هى التى دفعت بهما الى الخطيئة .

ولكن الفرق بين خطيئة آدم وبين خطيئة إبليس ، أن آدم ندم على ما فعل واعترف بذنبه واستغفر ربه ، أما إبليس فانه أمعن فى الغرور ،ورد الأمر على الله سبحانه وتعالى فكان جزاؤه طرداً أبدياً من رحمة الله ، ومن هنا استعان إبليس بعزة الله التى تجعله لا يتأثر بطاعة الخلق جميعاً .. أو معصيتهم به ، تلك العزة التى فيها استغناء الله عن جميع خلقه ، استعان بها ليبقيه الله الى يوم البعث ، وهنا يكون الغرور أول مراتب الخطيئة ، فاذا اغتر الانسان بقوله أو بماله أو بجاهه .. أو بسلطانه أو بأى شىء منحه الله إياه فى الدنيا فانه فى هذه الحالة قد فتح أول أبواب المعصية.وفتح باب الشيطان يمكن أن يؤدى الى الهلاك .

ألوان من الدعاء

على أن الدعاء فيه نواح كثيرة . فبعض الناس يرفع يديه للسماء ويقول يارب،ولا يستجيب الله له . وبعض الناس يعتقد انه بالتجائه إلى الله فان الله سيمكنه من عدوه ، ويجعله قادراً ويجعله يبطش بذلك الذى ظلمه ، والبعض الآخر ، يتوقع أن عدم الاستجابة للدعاء هى عدم رضا من الله سبحانه وتعالى .

دعاء المظلوم : فاذا قلت يارب واستنجدت بالله تعالى وكنت مظلوماً فان توقع الاجابة أو الاستجابة فى نفس اللحظة هو عمل من ظاهر اعمال الدنيا ، لا يؤتيه الله سبحانه وتعالى اختبارا للايمان والصبر فالله جل جلاله يستطيع أن يرسل أنبياءه وأولياءه ، ويعطيهم القوة والقدرة ليحكموا ، ولا يستطيع أحد أن يهزمهم أو يتغلب عليهم وهكذا تسود العدالة فى الأرض قهراً .

الايمان بالاختيار

ولقد اعطى الله لسليمان ملكاً لن يؤتيه أحداً بعده ، وكان كل مافى الأرض من قوة مسخراً لخدمته وكان يستطيع أن يفرض قهراً ما يريد ، وعندما أرسل الى ملكة سبا يدعوها الى الاسلام ، وكانت ملكة ذات بأس وقوة ،لم يخش بأسها ولا قوتها ولكنه كان يعلم انه يستطيع أن ياتى بجنود لا قبل لملكة سبا ، ولا لجيوشها بمقاومتهم ، وهو معه قوة الدنيا كلها .. ومعه الريح ومعه جيوش من الانس والجن ومعه الغلبة وقوة الله سبحانه وتعالى .. إذن فقد كان من الممكن بدلا من هذا الصراع الدائر فى الدنيا أن يرسل رسولا يعطيه من القوة والقدرة ما يخضع الناس للايمان . بل إن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز :

« إن نشأ ننزل عليها من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين » الشعراء ٤ .

أى أن الله يستطيع أن ينزل من السماء آية تخضع كل هؤلاء البشر للايمان ولكن الله لا يريد ذلك .. إنه يريد أن ياتى الانسان إليه مختاراً لأنه ميز الانسان دون سواه بالعقل وهو محل الاختيار بين البديلات . يريد أن يقول الانسان (ياربى) اخترت طاعتك واخترت الايمان وهنا يريد الله من عباده أن يقبلوا على منهجه وهم فى مقدورهم الا يقبلوا عليه ،

فالله يريد طواعية الايمان واختيارية اليقين به .

رزقنا الله العمل بكتابه الكريم وسنة نبيه الامين.

التسامح والتواضع

الانسان هو أولا وأخيرا غاية كل الاعمال وغاية الدولة وغاية الأمة وغاية البشرية فى توقها الى السعادة ، ولكنه لا يسعد ولا يستقيم له أمر ولا يقر له قرار إلا إذا كان هو نفسه يستحق ذلك وكان شديداً مع نفسه وفى مستوى اخلاقى مرض ويعمل فى جهره وسره لوجه الله ووفقاً للواجب والمصلحة العامة ، لا كما ورثها أو كما قيل له عنها بل كما اهتدى اليها بعقله وضميره ، وهو دائماً يراجع رأيه ويحث ويتوق الى الحق ، والحق ليس شيئاً مطلقاً أبداً ، الحق هو ايضا شىء نسبى . ويجب التواضع لأنه شرط التسامح الذى لا يستقيم العيش الجماعى من دونه .

محمد مزالى

رئيس وزراء تونس والمفكر العربى المعروف

دولة سعد الحداد

الخنجر الذي زرعته إسرائيل في ظهر العرب

بقلم: عصام شريح

يوم ١٨ ـ ٤ ـ ١٩٧٩ ، أعلن سعد الحداد ـ وهو ضابط سابق فى الجيش اللبنانى برتبة رائد ـ عن قيام « دولة لبنان الحر » فى منطقة الشريط الحدودى الذى تسيطر عليه الميليشيا الانعزالية التى يقودها ، وقال الحداد ، أن قيام « دويلته » بدعم من « اسرائيل » هو السبيل لما أسماه بانقاذ لبنان وتحريره من « الاجانب » (الفلسطينيين وقوات الردع العربية) .

ومنذ ذلك اليوم ، ودويلة سعد الحداد هذه التى لم يعترف بها احد سوى اسرائيل وتقوم بدور « كلب الحراسة » بالنسبة للكيان الصهيوني ، فهى تقوم بعمليات المواجهة المباشرة مع القوات اللبنانية ـ الفلسطينية المشتركة فى جنوب لبنان من جهة ، وتتلقى فى نفس الوقت اللطمات من هذه القوات ، والتى كان مفترضاً أن تتلقاها اسرائيل

ومما يعزز هذا الرأى ، أن السلطات الاسرائيلية منحت «رئيس» هذه الدويلة «سعد الحداد» منزلا فى مستوطنة «المطلة» الصهيونية ، القريبة من بلد القليعة ، وقد زاره مراسل أجنبى مرة فى منزله هذا ، وطرح عليه سيلا من الأسئلة لكن المراسل دهش وهو يسمع ضابط استخبارات اسرائيلى كان موجوداً فى المنزل ، يجيب على أسئلته ، بينما كان سعد الحداد يلوذ بالصمت إلا فيما ندر .

ومن الأدلة على تبعية الحداد لاسرائيل ، أنه أعلن بتاريخ ١٩٨٠/٩/٨ عن نقل «سفارة لبنان الحر» من بلدة «متوله» الواقعة فى منطقة الشريط الحدودى ، الى القدس المحتلة ، وذلك بناء على قرار ما يسمى «باللجنة الخارجية» فى دويلته .

وفى ١٩٨٠/٩/١٩ ، اجتمع الحداد فى بلدة القليعة ، مع عشرات من رؤساء البلديات وأعضاء المجالس البلدية الاسرائيليين ، وخلال الاجتماع وجه الحداد ، بعد حديث عن «الجبهة المشتركة» بين اسرائيل وميليشياه ، وجه نداء لهؤلاء الاسرائيليين ، لكى يساندوا القرى الواقعة فى منطقة الجيب الانعزالى ، وذكر أن هذا التأييد قد يتعزز عن طريق ربط الشبكة الكهربائية للقرى الواقعة فى المنطقة التى يسيطر عليها ، بشبكة الكهرباء الاسرائيلية ، وطلب الحداد كذلك مساعدة اسرائيلية لاقامة خطوط تليفونية وتحسين الطرق ، وشبكات المياه فى المنطقة .

أما من الجانب الاسرائيلى ، فقد تحدث المعلق «زئيف شيف» فى صحيفة هارتس بتاريخ ١٤ ـ ٣ ـ ١٩٧٩ ، عن تبعية الانعزاليين فى منطقة الشريط الحدودى للكيان الصهيونى ، فقال : «... إن عبء إعالة الجيوب (المسيحية) ، من الناحية المالية ، قد ألغي منذ ذلك الحين (منذ عملية غزو جنوب لبنان فى عام ١٩٧٨) ، على عاتق الحكومة الاسرائيلية ، بما فى ذلك دفع رواتب كافة المستخدمين الرسميين (ملايين الليرات الاسرائيلية) .

وتقيم القيادة الاسرائيلية مراكز ثابتة لها فى منطقة الجيب الانعزالى ، وفى كل مدينة أو قرية فيها ، يوجد ضابط استخبارات اسرائيلى ، هو الحاكم الفعلى فيها ، وهناك ضباط اسرائيليون آخرون مكلفون بشئون كل قطاع من قطاعات الشريط الحدودى ، أما الحاكم الاسرائيلى الأعلى للشريط كله ، فهو الكولونيل «بورام هامزراحى» الذى يطلق عليه سكان المنطقة اسم «العقيد جعفر» ، وهو مشهور جداً فى المنطقة ، ويتقن اللغة العربية ، ويستدل من اسم عائلته ، على أنه يهودى من أصل لبنانى ، فعائلة مزراحى من العائلات اليهودية المعروفة فى بيروت .

غزو جنوب لبنان

قد يكون من نافل القول ، ان نذكر أن الصهاينة كانوا يطمعون بالاستيلاء على جنوب لبنان لما يزخر به من مياه وانهار ، قبل قيام اسرائيل على أرض فلسطين المغتصبة ، وانطلاقاً من هذه المطامع كانت اسرائيل منذ قيامها فى عام ١٩٤٨ ، تشن العدوان إثر العدوان على منطقة الجنوب اللبنانى ، تمهيداً لتحقيق



اطماعها فيه . وكان اول اجتياح اسرائيلى واسع لجنوب لبنان قد وقع فى عام ١٩٤٨ ، حيث ارتكب الصهاينة خلاله مجزرة رهيبة فى قرية «حولا» الحدودية ، ذبحوا خلالها سبعين مواطناً لبنانياً بين طفل وامرأة وشاب دفعة واحدة ، تماماً كما فعل النازيون خلال الحرب العالمية الثانية .

وابتداء من عام ١٩٦٧ ، بلغت الاعتداءات الاسرائيلية على منطقة الجنوب اللبنانى مبلغاً يفوق الوصف سواءفى عنفها او اتساعها .

إنما حسبنا هنا أن نقف عند أكبر عملية غزو اسرائيلية لمنطقة الجنوب فى عام ١٩٧٨ .

ففى فجر الخامس عشر من آذار (مارس) من تلك السنة ، اجتاحت اسرائيل جنوب لبنان بثلاثين الف جندى من قواتها النظامية ، وشمل الهجوم البر والبحر والجو ، وامتد على مدى ثمانية أيام متوالية ، وكان من نتيجة هذا الهجوم سقوط أكثر من الف شهيد ، واصابة ما يزيد على ثلاثة آلاف شخص بجروح ، وتهجير ما ينوف عن ربع مليون مواطن لبنانى وفلسطينى عن قراهم ومدنهم ومخيماتهم ، وتدمير ١٣ مدينة وقرية تدميراً كاملا ، وأكثر من سبعة آلاف منزل ومدرسة ومعبد ومؤسسة اقتصادية واجتماعية وثقافية .

ثم كان الاحتلال الاسرائيلى السافر لما يقارب نصف مساحة الجنوب اللبنانى ، الموضوع منذ زمن بعيد على خارطة المطامع الصهيونية ، وانسحبت اسرائيل بسبب المقاومة الشجاعة ، للقوات المشتركة ، التى واجهت بها العدوان الاسرائيلى ، رغم التفاوت الهائل فى العدد والمعدات بين الطرفين ، وتحت ضغط الرأى العام العالمى ، وبعد القرارات العديدة التى أصدرها مجلس الأمن الدولى ، بادانة العدوان الاسرائيلى ، ومطالبة اسرائيل بسحب جميع قواتها العسكرية من الأراضى اللبنانية فى الجنوب ، وبعد تمركز قوة مؤقتة من القوات الدولية من اجل تاكيد الانسحاب الاسرائيلى انسحاباً كلياً وفعلياً من أرض الجنوب ، فقد ابقت اسرائيل فى حوزتها شريطاً عريضاً من الأرض ، وعلى امتداد الحدود الجنوبية للبنان مع فلسطين المحتلة ، ومن باب التمويه نصبت على هذا الجزء المحتل نفراً من عملائها المحليين بقيادة سعد الحداد .

وكان الهدف واضحاً منذ البداية ، ان الدعم العسكرى والمالى والسياسى للانعزاليين فى منطقة الشريط الحدودى إنما يهدف الى بسط النفوذ الاسرائيلى والهيمنة الاسرائيلية على لبنان كله ، تحت شعار زائف هو حماية المسيحيين فيه .

ومن هنا فان ما جرى ، وما يجرى فى منطقة جنوب لبنان ، هو فى الواقع جزء من مخطط يستهدف لبنان ككل، وتمتد آثاره لتشمل المنطقة العربية المجاورة .

ومن وحى هذا المخطط ، أعلنت «اسرائيل» فى أعقاب مرابطة القوات الدولية فى جنوب لبنان ، وفى الثالث عشر من حزيران (يونيو) ١٩٧٨ ، انها حققت اهدافها من عملية غزو الجنوب اللبنانى، والتى تطلق عليها اسم «عملية الليطانى» ، وانها ستنسحب من المنطقة بعد تسليمها الى القوات الدولية .

ولكن ما حدث فعلا هو أن اسرائيل سلمت ١٤ موقعاً للقوات الدولية معظمها فى القرى الخلفية البعيدة عن الخط الحدودى مع فلسطين المحتلة ، مقابل ٢٣ موقعاً سلمتها للميليشيا الانعزالية وتقع جميعها على امتداد الشريط الحدودى وقد جرت عملية التسلم والتسليم بين الجنرال الاسرائيلى «افيغدور بن غال» والرائد اللبنانى المنشق سعد الحداد فى احتفال رسمى نقله التلفزيون الاسرائيلى ومراسلو الصحف ووكالات الأنباء الاسرائيلية والعالمية . وبعد انزال العلم الاسرائيلى ورفع العلم اللبنانى مكانه ، جرى تبادل القبلات والخطب بين الطرفين ، وقال «بن غال» فى كلمته «إننا من جهتنا سنفى بالتزاماتنا لحماية الاقلية المسيحية ، واتمنى كل الخير لأصدقائنا» وقد شكر سعد الحداد السلطات الاسرائيلية على المساعدات التى قدمتها للميليشيا التى يقودها . ولم تكتف اسرائيل بذلك ، وإنما اعطت للميليشيا الانعزالية قبل انسحابها الشكلى خمسين دبابة وناقلة جنود مدرعة مع طواقمها الاسرائيلية ، وعشرين مدفع ميدان ، وذلك لتمكن الانعزاليين من إحكام سيطرتهم على منطقة الشريط الحدودى الذى تطلق عليه اسم «الجدار الطيب» .

حجم الدويلة

تمتد دويلة الحداد فى منطقة الجيب الانعزالى من مرجعيون شمالا الى الناقورة فى الجنوب ، على طول الخط المحاذى لمنطقة عمليات القوات الدولية التى دخلت المنطقة بموجب قرار مجلس الأمن الدولى رقم ٤٢٥ ، لتفصل بين القوات الفلسطينية ـ اللبنانية المشتركة من جهة والقوات الاسرائيلية من جهة اخرى ، ولتساعد السلطة اللبنانية على استعادة سيطرتها على منطقة الجنوب حتى خط الحدود المعترف به دولياً . ومع الوقت أى منذ الاعلان عن قيام الدويلة الانعزالية فى الجنوب ، أخذت الميليشيا فى التمدد والتوسع على الطريقة الصهيونية عينها ، فاحتلت حتى كانون

دولة سعد الحداد

الثانى (يناير) ١٩٨٠ ، أكثر من ١٢ قرية وتلة ، بطول ثلاثة كيلو مترات وعمق وسطى قدره خمسمائة متر تقريباً ، اضافة الى قيام اسرائيل بمؤازرة الميليشيا الانعزالية باحتلال أراضى نبع ومزرعة «الوزانى» ، ومرتفعات قرية «كفر شوبا» وخراج قرية «علما الشعب» و «عيترون» وغيرهما .

وبشكل اجمالى فان «دويلة لبنان الحر» تمتد على طول ٨٠ كيلو متراً ، وبعمق يتراوح ما بين ٥ ـ ١٦ كيلو متراً ، وتقدر المساحة الاجمالية للدويلة بثمانمائة كيلو متر مربع . وفى تقدير المراسلين الأجانب العاملين فى منطقة لبنان الجنوبى ، أن تعداد عناصر الميليشيا التى يقودها سعد الحداد ، يبلغ حوالى ألفى عنصر ، بينهم ٨٥٠ جندياً سابقاً فى الجيش اللبنانى ، كانوا أصلا تحت امرة الرائد المنشق ، عندما تولى القيادة العسكرية فى المنطقة الحدودية ، بصورة شرعية ، كضابط فى الجيش اللبنانى ، وقبل أن تقرر قيادة هذا الجيش طرده بسبب تعامله مع العدو .

أما العدد الحالى لسكان الشريط الحدودى ، فيتراوح ما بين ٥٠ ـ ٦٠ ألفاً (٣٥ ألفاً منهم من المسلمين (الشيعة) ، و ٢٥ ألفاً منهم من المسيحيين) . وكان العدد الاجمالى لسكان هذه المنطقة قبل أن يهاجر القسم الأكبر منهم الى الضواحى الجنوبية من العاصمة اللبنانية بيروت ، فى أعقاب الغزو الاسرائيلى لجنوب لبنان فى عام ١٩٧٨ ، يبلغ ١٥٠ ألفاً . وتضم دويلة سعد الحداد حالياً «قضاء مرجعيون» بكامله ، وحوالى نصف مساحة «قضاء بنت جبيل» ، وربع «قضاء صور» .

أما موارد الدويلة الانعزالية فتأتى أولا من اسرائيل ، ثم من عمليات التهريب الناشطة ، حيث ذكرت صحيفة «يديعوت احرونوت» أن أصواتاً كثيرة فى اسرائيل بدأت تتحدث عن أن «الجدار الطيب» قد أضحى بوابة للتهريب على نطاق واسع وقالت ان رجال أمن اسرائيليين وضباطاً وجنوداً من القوات الدولية ، بالاضافة الى عصابات اجرام محترفة من المدنيين، يشاركون جميعاً فى عمليات التهريب هذه ، واشارت الصحيفة الى أن المواد والبضائع المهربة عديدة ، وهى تضم بصورة رئيسية : المخدرات (الحشيش) والمشروبات الروحية (العرق الزحلاوى) والسجائر والأجهزة الكهربية المسروقة من الحوانيت التى نهبها الاسرائيليون خلال غزوهم الأخير لجنوب لبنان ، وفوق هذا وذاك ، فهناك كميات هائلة من الأسلحة والمتفجرات بين المواد التى يشملها التهريب مما دفع بالجيش الاسرائيلى الى المشاركة فى عمليات التفتيش ونصب الكمائن بحثاً عن الأسلحة .

أما المصدر الثالث فيأتى من الرسوم الجمركية التى تفرضها الميليشيا الانعزالية بايعاز من الاسرائيليين ، على جميع البضائع التى يستوردها التجار فى المنطقة من المناطق اللبنانية الأخرى، فالتاجر المقيم فى «بنت جبيل» أو «العديسة» أو «ميس الجبل» ، عليه اذا أراد استيراد بضائعه من صور أو صيدا أو بيروت ، أن يدفع رسوماً عنها

وترمى السياسة الاسرائيلية من وراء فرض هذه الرسوم على البضائع اللبنانية المستوردة ، الى تشجيع وحماية البضائع الاسرائيلية التى يمكن ادخالها الى قرى الشريط دون فرض رسوم عليها .

الاضطهاد والذل

والسؤال الذى يطرح نفسه فى سياق الحديث عن «دويلة لبنان الحر» هو : كيف يعيش اللبنانيون العاديون الذين كتب عليهم أن يبقوا فى مدنهم وقراهم داخل منطقة الجيب الانعزالى ؟

إن شهادات الذين تسنى لهم أن يخرجوا من منطقة الجيب الانعزالى ، بعد أن دفعوا جزية بلغت خمسة آلاف ليرة لبنانية ، أفادوا أن الاهلين هناك مغلوبون على أمرهم ، وانهم يقاسون من الاضطهاد والاذلال من قبل رجال الاستخبارات الاسرائيلية ونفر من أعوانهم . ففى عام ١٩٧٨ عندما توجهت قوة من الجيش اللبنانى الى منطقة الجنوب ورابطت فى بلدة كوكبا ، جرت اتصالات بين عشرات الجنود (السابقين) ، والعاملين مع ميليشيا سعد الحداد ، واتفقوا على الفرار والالتحاق بالجيش النظامى فى «كوكبا»، لكن عندما علم الاسرائيليون والحداد بذلك ، قاموا باعتقال عشرات من الجنود «المتمردين» ، ولايزال عديد من هؤلاء مجهولى المصير .

والاضطهاد الاسرائيلى داخل الجيب الانعزالى قد يكون بسبب «الصليب» الذى يعلقه المسيحيون عادة على صدورهم ، ويبدو أن عقدة الحقد والانتقام من المسيحيين ، تستفيق فى صدورهم لدى مشاهدتهم للصليب ، باعتبار المسيحية العدو الأساسى لليهودية ، لأنها هى التى قضت عليها فى العهد الرومانى ، إذ حصلت حوادث قتل وإهانة وتعذيب لعديد من المسيحيين فى دويلة الحداد ، بسبب تعليقهم الصليب فى صدورهم أثناء توجههم الى العمل داخل الكيان الصهيونى .

وقد روى أحد أفراد الميليشيا ، انه بعد نقله الى مستشفى اسرائيلى للعلاج من جرح أصيب به فى كتفه ، أقدمت احدى الممرضات على نزع الصليب المعلق فى عنقه ، ثم صفعته وراحت توجه اليه الشتائم وقد عالجت الاستخبارات الاسرائيلية هذه الحالة بأن أوعزت الى سعد الحداد بأن يوحى للمسيحيين من سكان دويلته ، بعدم تعليق الصليب على صدورهم لدى توجههم الى العمل فى اسرائيل ، كما لجأ الاسرائيليون الى فرض استبدال الملابس على كل من يعبر بوابات «الجدار الطيب» الى داخل اسرائيل ، بملابس خاصة رسمت عليها نجمة اسرائيل ، وعند العودة يستعيد هؤلاء ملابسهم الأصلية .

وفى أواخر سنة ١٩٧٨ وصل زهاء ثلاثمائة مسلح الى دويلة الحداد قادمين من جونيه التى تعتبر حالياً عاصمة «الغيتو الانعزالى» الذى يحكمه بشير الجميل ، وكان مقرراً أن يمضى هؤلاء فترة شهرين لدى الحداد ، لكنهم بعد أقل من أسبوع من وصولهم قرروا العودة الى «جونيه» عن طريق البحر ، بسبب

المضايقات التى واجهـــوها مـن الاسرائيليين .

ويتعرض كل من يتقدم بطلب لمغادرة «الدويلة» للتنكيل والتعذيب بعد تحقيق مضن ، أما إذا قدم «المغادر» أسباباً مقنعة لخروجه من الدويلة ، فعليه قبل كل شيء أن يدفع ضريبة تبلغ خمسة آلاف ليرة ، ثم يغادر ، متحملا بنفسه مسئولية هذه «المغامرة» .وكم من هؤلاء «المغامرين» من أطلقت عليه النار من كمين نصبته لهم عناصر الميليشيا فقتل أو جرح وهو فى سبيله الى الخروج من المنطقة .

يضاف الى هذا النزاع المستشرى بين بلدتى القليعة ومرجعيون بسبب الصراع على النفوذ ، فأهالى «القليعة» ـ القرية المارونية يرفضون زعامة سعد الحداد المفروضة عليهم فرضاً من قبل الاسرائيليين ، باعتباره «كاثوليكياً» وليس «مارونياً» ، كما يرفضون جعل مرجعيون التى يسكنها خليط من الطوائف المسيحية غير «الموارنة» ، عاصمة لـ «دولة لبنان الحر» ، ويطالبون بجعل «القليعة» العاصمة بدلا منها .

● ينبغي أن تتحد جهود العرب لدرء هذا الخطر قبل استفحاله وانتقال عدواه إلى أجزاء أخرى من الوطن العربي

وفى شباط (فبراير) الماضى ، وقع ما يشبه التمرد فى بلدة «عين إبل» القريبة من بلدة «بنت جبيل» ، حيث رفضت أكثرية أهالى هذه البلدة التجنيد الاجبارى والانخراط فى سلك الميليشيا بعد أن قرر الاسرائيليون تحويلها الى جيش نظامى ، وقد حاول المعارضون من أبناء «عين إبل» لهذه الخطوة الحصول على مباركة بشير الجميل القائد العسكرى لحزب الكتائب فى منطقة «الغيتو الانعزالى» فى الشمال ، لكن الجميل أبدى امتعاضه من هذا الطلب أمام أشخاص قدموا الى جونيه خصيصاً لهذا الغرض ، وطلب اليهم بلهجة الأمر الامتثال لأوامر الاسرائيليين وسعد الحداد ، ويخشى كثيرون من «المتمردين» الانضمام لجيش سعد الحداد خوفاً من أن يلجأ الاسرائيليون الى الانتقام منهم.

دويلة تتحدى العرب

لقد اتضح من سياق هذا البحث ، أن دويلة سعد الحداد ، إنما هى مجرد دمية يلعب بها العـــدو الصهيونـــى ، ويستخدمها «كحصان طروادة» ، لتحدى العرب وضربهم فى عقر دارهم ، والخطر الذى تفرضه هذه الدويلة ليس خطراً لبنانياً بحتاً ، بل هو تهديد يمس الدول العربية مجتمعة ، لأنه يهدد أمنها الداخلى بالذات ، وإن بدا ذلك على المدى البعيد بالنسبة لبعض الدول العربية ، فيما هو خطر راهن أو قريب بالنسبة لدول عربية أخرى .

و «دولة لبنان الحر» تشكل خطراً على مستقبل كل دولة عربية لأنها تشكل فى الواقع النموذج المطلوب بالنسبة للفئات الشعوبية ، كما تشكل فى نفس الوقت أداة تحريض للاقليات الطائفية والعرقية فى الوطن العربى ، من أجل السعى الى الانفصال واقامة دويلات تلعب دور «مخلـــب القـط» فى الاستراتيجية الاستعمارية والصهيونية ضد العرب .

نقول ذلك لأن دويلة سعد الحداد تجد امتداداً فعلياً لها فى وسط وشمال لبنان فى منطقة «الغيتو الانعزالى» الذى يحكمه حزب الكتائب . ولم يخف بيير الجميل رئيس حزب الكتائب ونجله بشير الجميل رئيس «المكتب الحربى الكتائبى» تأييدهما لسعد حداد ودويلته كما أن كميل شمعون رئيس حزب الأحرار الانعزالى جدد تأييده لسعد حداد أكثر من مرة ، وصرح فى ١٩٧٩/٤/٢٥ بقوله: «إننى أؤيد سعد الحداد فى حركته لتحرير لبنان»

وانطلاقاً من الخطر الكامن أو الخطر المحدق بكل دولة عربية والذى تسببه دويلة سعد الحداد فى منطقة الشريط الحدودى بجنوب لبنان ينبغى أن تنصب جميع الجهود العربية لدرء هذا الخطر قبل استفحاله وللقضاء على هذا السرطان قبل انتقاله الى أجزاء أخرى فى الجسد العربى .

عصام شريح

من هـــو ســـعد الحـــداد؟



تشير سيرة حياته ، الى أن جده « مخايل الحداد » استوطن بلدة مرجعيون فى جنوب لبنان مع أوائل القرن الحالي ، وأن أباه كان يعمل « مكارياً » ـ اى يقوم بنقل البضائع أو الخضار والفواكه على ظهر دابة يملكها ـ وفي فترة الحرب العالمية الثانية ، ولدى دخول الجيش البريطانى بلدة مرجعيون بجنوب لبنان في عام ١٩٤١ ، عمل « سعد الحداد » وكان ما يزال طفلا ـ مع والده فترة ، ثم عمل لدى إحدى الدوائر العسكرية البريطانية ، ثم دخل مدرسة تابعة لدير الكاثوليك في مرجعيون ، حيث نال الشهادة الابتدائية ، وقد ارسله الدير على حسابه للدراسة فى بيروت ، فنال شهادة البكالوريا (القسم الأول) فى عام ١٩٥١ ، ودخل المدرسة الحربية (الكلية الحربية) فى العام التالى ، بعد ان حظى بدعم من كميل شمعون الذى كان بدأ يبرز على ساحة العمل السياسى فى لبنان ، كما توسط له لدخول المدرسة الحربية ، مطران مرجعيون للروم الكاثوليك ، وقد تزوج سعد الحداد من مدرسة فى المرحلة الابتدائية تدعى « مارى » ولسعد الحداد ، اربعة إخوة ، توفى احدهم ، ويقع المكتب العسكرى لسعد الحداد حالياً ، الى جانب « بوليفار كميل شمعون » بين بلدتى « القليعة » و « مرجعيون » .

هموم ثقافية

شاعر دارين بين الحضور والغياب

علي عبدالله خليفة

إبراهيم الغدير بين الحضور والغياب

يقول الشاعر العربي :

يمررن بالدهنا خفافاً عبابهم
ويخرجن من (دارين) بجر الحقائب

و «دارين» جزيرة صغيرة فى أقصى الطرف الشرقى للجزيرة العربية المطل على الخليج العربى ، وإلى أواخر القرن الميلادى الماضى كان بها حوالى مائة بيت . ومنذ أزمان غابرة اسهمت فى الدور الاقتصادى والثقافى لمنطقة البحرين القديمة الى ما قبل النفط حيث كانت محطة استراحة وتزود بالمؤن لسفن صيد اللؤلؤ ، لكونها المنفذ البحرى لمنطقة « تاروت » الزراعية الغنية بغابات النخيل وعيون الماء العذبة .

ومن قول الشاعر يمكن استقراء شيء عن المكانة الاستراتيجية لهذه الجزيرة ، فقوافل التجارة القديمة والمسافرون القاصدون والعابرون يمرون بصحراء الجزيرة العربية المعروفة بالدهناء بحقائبهم فارغة خفيفة الحمل وصولا الى القطيف (وتاروت) ويغادرون (دارين) بحمل ثقيل من البضائع والمؤن تنتفخ به حقائبهم .

وقد سكنت « دارين » أعرق القبائل العربية ، وما زالت بها آثار بيوت كريمة وأحفاد أسر عريقة كان لها شأن لا يستهان به ، فقد سكنتها قبائل (بنى خالد) و (الجنيدات) و (السادة) ، ورحل اليها المرحوم السيد راشد بن فاضل البنعلي واقام بها ، وهو شاعر ورجل علم وثقافة وفكر ، كما كانت مقراً لسكنى وأعمال المرحوم السيد محمد بن عبد الوهاب الفيحانى جد الشاعر القطرى المشهور محمد الفيحانى ، وبها الآن أعرق وأهم رواة الشعر الشعبى وممارسى فنون البحر الغنائية .

يربط هذه الجزيرة باليابسة طريق قديم قبل أن تجتازه تمر بـ (حمام تاروت) وهو أشهر نبع ماء عذب كانت له مكانة خاصة فى المنطقة كحمام شعبى خلده شاعر مجهول فى أبيات من الشعر تحولت الى اغنية شعبية مشهورة ، تقول :

حمام تاروت عليك اليوم طيرين
طير محنى وطير أريش العين
نصبت فخ الهوى باصيد الاثنين
صدت المحنى وخطانى أريش العين

زرت دارين مرتين ، مرة عام ١٩٧٢ فى جولة ميدانية لجمع نصوص الموال الشعبى الخليجى ، وكان دليلى الى (دارين) ومن فيها الشاعر الشعبى (ابراهيم الغدير) أحد ابناء دارين الذين ورثوا اصالة ونبل تلك الجزيرة الصغيرة المعتقة العابقة بحكايا التاريخ ، المثيرة لخيالنا نحن أبناء الخليج من هذا الجيل المشدود بعواطفه الى ما قبل النفط ، بما توحيه من جو البساطة والألفة والقدم ، وابراهيم الغدير شاعر أصيل موهوب بكل ما تعنيه هذه الكلمات من معان وابعاد . ولقد سمعت منه وقتها أرق وأعذب شعر حديث سمعته بلهجتنا المحكية ، وخلال فترة بقائى معه فى دارين محاطين بكرم وعناية أهل تلك الجزيرة كنت استزيده شعراً ولا أبدى له كل إعجابى ، بل كنت أقسو عليه فى نقد الهفوات وهو يساعدنى فى ذلك بظرفه وروحه المرحة فيلغى تلك القصائد جملة وتفصيلا ، ويحجم جاداً عن قراءة أى منها أكثر من مرة واحدة لأنها حسبما يقول صادقاً ودون ادعاء للتواضع لا تستحق أن تسمع أكثر من مرة واحدة .

لقد شدتنى أشعار الغدير ببساطتها وعمقها ونبضها الساخن المعبر عن معاناة مشحونة بالقلق والتوتر والانفجارات الداخلية ، وتمثل لغتها الشفافة مرحلة متقدمة من تطور لهجة الخليج الحديثة وارتقائها حتى لتكاد أغلب مفرداتها أن تكون نقية فصيحة ، والغدير كانسان ، عفوى بسيط يقول الشعر كما يتنفس الهواء وكما تحضره الطرفة ، لكنه دائم القلق والتوتر وفى اغلب الأحيان على غير وفاق مع العالم من حوله بصراحة ووضوح .

وقتها كانت بداية حركة الشعر العامى الحديث فى الخليج ، وقوة زخمها الجدى في التعبير عن الهموم المعاشة لانسان هذه المنطقة ، وكان صوتها الدافىء العميق يمتد وصولا ويلقى تجاوباً ويمارس فعل التأثير ، وكان من الممكن أن يكون لأشعار هذا الشاعر مكان بارز ومذاق خاص في تلك الحركة . ولأني ساعتها كنت واثقاً بأننى سأقرأ تلك القصائد فى ديوان أو اسمعها مسجلة على شريط فاننى لم احتفظ بشيء منها . وهذا الشاعر السعودى كانت وما زالت متاحة أمامه كل فرص النشر فى الجرائد والمجلات ، ولم يكن يعدم وسيلة ما لطبع أشعاره فى المملكة أو خارجها ، لكنه شاعر مهمل كسلان يتحكم المزاج الشخصي وعدم الاكتراث لشيء بكل

تصرفاته ، في وقت يتهافت فيه صعاليك الشعر والادعياء على نشر ترهاتهم ومشاركة عوامل اخرى على افساد الذوق الفني لجمهور الشعر العامي ، وتهديم كل ما بنته المحاولات الشعرية الجادة للارتقاء بلغة الشعر العامى الى درجة قريبة من اللغة الأم وتضييق الشقة فيما بينهما .

لا أدرى ان كان هذا الشاعر قد استمر أو توقف ؟ ابدع جديداً أم تقهقر ؟ فكل الطرق الموصلة اليه مقطوعة ،لكننى موقن بأن صمت وغياب شعراء مجيدين من أمثال الغدير وإهمالهم نشر اشعارهم وتطويرها ما يقرب من عشر سنين دون مبرر فنى يعتبر اسهاماً فى تشجيع السلبيات التى انحرفت بهذا الفن الى الاضحاك الفارغ والاسفاف فى استعمال المفردة العامية عند أوائل السبعينات ثم الى النبطية المصطنعة فى أواخرها وحتى الآن ، وهى المرحلة التى يحاول فيها الشعراء الشباب المتعلمون على امتداد الخليج والجزيرة العربية استعارة لغة الشعر النبطي القديمة لصناعة اشعار حديثة بعيدة عن روح العصر ومعاناته بنفس الادوات الفنية

القديمة التى استهلكها شعراء النبط خلال ما يقرب من عشرة قرون للتعبير عن ظروف وهموم زمانهم الذى مضى .

إن ايقاع حياتنا المعاصرة السريع مستمر وسيزداد سرعة ولن يلتفت أبداً الى من يتهاون فى حق نفسه . واذا كان الجيد لا يطرح جودته ولا يهتم بابراز جوانب قوته وتمايزه ويثبت حضوره باستمرار فان الفاسد والردىء سيغرق كل شىء فى غياب البديل .

مركز التراث الشعبي
الحلم والواقع

« ينبغى أن نحلم ، والخلاف بين الحلم والحقيقة لا يسبب اى ضرر ، على ان يكون الحالم صادق الايمان بحلمه ، وعلى أن يتأمل الحياة بانتباه ويقارن بين ملاحظاته والقصور التى يبنيها فى الهواء ، وعلى أن يعمل بوجه عام وبصورة وجدانية على تحقيق حلمه ، فعند وجود التماس بين الحلم والحياة تسير الأمور على ما يرام » .

تذكرت ذلك القول الحكيم لاحد المفكرين بعد ان انهيت اللمسات الأخيرة لدراسة تفصيلية متواضعة من حوالى مائة صفحة عن مرحلة التخطيط والتأسيس لانشاء مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية ، الذى كان يوماً ما حلماً من الأحلام الثقافية التى يتمنى المرء أن تتحقق على أرضه ومن أجل أهله وتراث قومه .

فمنطقة الخليج تعتبر من أجزاء الوطن العربى التى تأخرت كثيراً فى رعاية وحماية تراثها الشعبى والعمل على الاستفادة منه بالرغم من اكتساح التغيرات لكل مناحى الحياة ونفاذها إلى أعماق الانسان بسرعة مذهلة فى هذه المنطقة الاستراتيجية من العالم بحيث طغى الجديد الوافد على اصالة القديم وطمر منابعه واخذ يعمل فيه تغييراً وتحويراً يبعد به عن الأصول .

وقبل مائة عام من الآن ـ تقريباً ـ ادركت الشعوب المتقدمة بأنه اذا كانت هذه هى سنة الحياة وهذا هو قانون التطور ، فلابد من رعاية وحماية جذورها وأصولها من الضياع والتلف فسنت القوانين وانشأت المراكز والهيئات والجمعيات الوطنية المختصة برعاية وحماية التراث الشعبي وبذلت من اجل ذلك المال والخبرات والتضحيات ، واستطاعت أن تصل ماضيها بحاضرها .

وعندما تتنبه منطقتنا الآن الى أهمية التراث الشعبى بعد قرون من الاهتمام والعمل الدولى بهذا الموضوع فان ذلك يعنى أن اشياء كثيرة قد ضاعت أو حورت واختلطت معالمها أو طمرت بفعل تقادم الزمن ، ولكنه بالتأكيد لا يعنى أن الوقت قد فات وضاعت الفرصة .

فما زالت اغلب معالم تراثنا الشعبى باقية فى ذاكرة الحفاظ والرواة والمسنين وبين ايدينا كل الوسائل والطرق الحديثة وتجارب الشعوب الأخرى فى الانتفاع بها ، وما علينا إلا أن نأخذ هذا الأمر بأقصى درجات الجدية والبذل والتخطيط والتنظيم وادارة العمل .

وقرار وزراء الاعلام بدول الخليج العربية بانشاء مركز التراث الشعبى فى الدوحة بدولة قطر يأتى فى ظرف سياسى واجتماعى ملائم يخدم التوجه العام للفكرة واهدافها .

فدول المنطقة الآن فى اقصى درجات التقارب والتفاهم والتنسيق فيما بينها ، اضافة الى ان أغلب مجتمعات الخليج تدرك مدى أهمية تراثها الشعبى كاحد مكونات الثقافة للشخصية الخليجية ، وهى فرصة ممتازة لدولة قطر يمكن ان تعمل من خلالها على تغذية المشروع بكل عوامل النجاح من اجل ان يكون هذا المركز أنموذجاً وقدوة فنيةوادارية تحتذى لتجني شعوب المنطقة ثمار التعاون الخليجي فى المجال الثقافي .

علي عبد الله خليفة

كلمات

● إذا لم يستطع المرء أن يقاوم العنف أو العدوان أو الظلم عن طريق البعد عن العنف بأسلوب ذوى الشجاعة والاقدام .. فمن الواجب عليه مقاومته عنوة إذا اقتضى الحال .

« غاندى »

● إن الجرائم والمؤامرات وفساد الأخلاق .. كلها انحرافات لا تنبت إلا في الظلام .

« الروائى الفرنسى مارسيل إيميه »



هنرى جيمس ناقداً

رسائل هنرى جيمس ـ الجزء الثالث ١٨٨٣ ـ ١٨٩٥ ـ دار ماكميلان للنشر .

● تغطى هذه الرسائل الفترة التى كان فيها «هنرى جيمس» ، الروائى الأمريكى ، فى الأربعين من عمره ، وقد ذاع صيته ككاتب ناجح تحتفى به الدوائر اللندنية الموسرة .

وهى ايضا الفترة التى عانى فيها عدداً من الاخفاقات والصدمات العاطفية التى اثرت فيه لدرجة لم يستطع التغلب على جراحها طيلة حياته . ولئن كان موت اخته « اليس » قد حررها من حياة تعيسة ، فان « هنرى » لم يهنأ بعدها لشدة تعلقه بها . وقد زاد فى عمق جراحه العاطفية موت صديقه الكاتب البريطانى « روبرت لويس ستيفنسون » .. كما ان انتحار صديقته « فينمور » قد آلمه بشكل مروع .. وفوق ذلك كله فشله الذريع فى النجاح ككاتب مسرحى .

وتظهر الرسائل أن « هنرى جيمس » لم يعجب إلا بكاتبين من كتاب انجلترا وقتهما .. هما « روبرت ستيفنسون » والشاعر «كيبلنغ» الذى كان فتى صغيرا آنذاك . وكان اعجابه بالكاتب « و . د . هاولز » صديقه ، يشوبه نوع من التحفظ ، كما أن « جيمس » كان قليل الحماس للكتاب الأمريكيين .

وقد قرأ للروائى « ترولوب » وخاصة سيرته الذاتية . وكان يعتبرها واحدا من أكثر الكتب غرابة وطرافة فى الأدب كله . وقد وجد فى « كارليل » ، حين قرأ مجلديه ، كاتباً له تاثير كبير ، وقدرة على الاثارة .. وقال انه ذو نفس قاسية ، ناقمة ، غيورة ، لئيمة .

اما عن الكاتب « فرانسيس مارلون كروفورد » الذى كان مشهورا فى امريكا آنذاك ، فهو يقول : « ان ما تحدثنى به من نجاح روايته الاخيرة يثير تقززى ويكاد ان يصيبنى بالشلل . فهى عندى رواية رديئة بشكل .. ولا ارى كيف يمكن لكل هذا العدد من الناس أن يصبر على قراءتها ..»

ولم يكن رفيقاً بـ « توماس هاردى » الذى اجمع النقاد على قدرته ورصانة وجمال اسلوبه . والغريب أن روايات « زولا » كانت تعجب « جيمس » ، ولكنه عندما التقى بزولا نفسه ، وجده رجلا متعقلا ، عادياً ، تعوزه الخبرة والتجارب .. كما قال عنه .

اما عن المسرحى « إبسن » فقد كتب الى صديق له قائلا : « اظنك تجعل منه ظاهرة اغنى مما هو فى الواقع .لقد اصابتنى قراءة « الاشباح » بالصدمة ، وخذلتنى جدا ..

وقد راجع «جيمس» موقفه من «إبسن» فى وقت لاحق .. ولكن فشله فى تفهم وإدراك القدرات الدرامية فى أعمال « إبسن » هو الذى قد يفسر فشله هو نفسه فى كتابة مسرحيات ناجحة .

عندليب النيـــل

● ربما بدا هذا القول غريبا ـ يقول « راسل هاريس » فى صحيفة « الجارديان البريطانية » وهو يستعيد ذلك الصوت الذى سحر الملوك وبهر جيلا كاملا ، واوقف الحروب فى الشرق الأوسط . صوت نجمة الشرق ، كوكبه ، وعندليبه الذى غاب ـ ولكن الموسيقى العربية وتلك الغربية تشتركان فى امور كثيرة ، وان لم يظهر ذلك من الوهلة الأولى . والفارق الوحيد بينهما ، والذى به يتمايزان ، هو ربع النغم فى الموسيقى العربية والذى يجعل السامع الغربى يظن أن المغنى قد اخطأ فى أداء اللحن الذى قصد اليه وما عدا ذلك فان الاغانى الاخيرة لأم كلثوم هى قريبة جدا فى تركيبها وبنائها . كما ان الموسيقى العربية تستخدم الى حد كبير زخرفة الالحان وتوشيحها كما تفعل الغربية ، فالتزيين الصوتى هو الذى يفسح أمام الفنان رخصة اظهار براعته الصوتية . ولذا فان الفرق ليس كبيرا بين مقطع تؤديه أم كلثوم فى انطلاقة مبدعة وغناء ألحبيبات المهجورات فى أوبرا « دون جيوفانى » لموتزارت.

وقد ادركت أم كلثوم مدى قوة الكلمة



العربية وابعادها ، والاسلوب الصحيح للوصول الى المستمعين ، وذلك عن طريق المزج بين جمل موزونة مختارة فى عناية وموسيقى ممتازة من وضع خبير بها ، وحس مرهف ، حاد ، لكيفية جذب المستمع وتقييده الى أن ينتظر كل مقطع ، وتذوقه ، ثم المطالبة به ، فهى تغنى السطر ، ثم تعيده كلمة كلمة بدلا من إعادته مقطعاً مقطعاً .. وبعد أن تستنفذ اماكنيات الكلمات مفردة ، تعود لتغنى مجموعة من الكلمات منتزعة منها كل تغيير ممكن الابراز ، وكل ظلال للمعانى كامنة بها .. ثم تنفخها حياة جديدة بسطر من الشعر جديد .

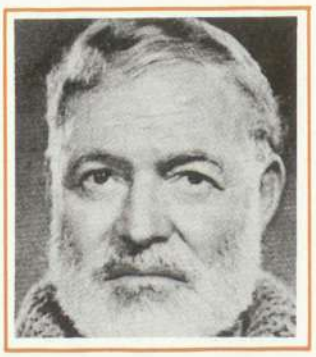
والموضوع الأساسى لكل اغانى أم كلثوم هو « الحب » وكل ما يرتبط به . وكانت كوكب الشرق بمثابة الكتاب الدال الى كل العواطف المرتبطة بالحب . وربما كانت افضل كلمات وصفت غناءها .. بعد موتها .. هى كلمات عبد الوهاب الذى كتب معظم الحانها . فقد وصف صوتها بانه كاللون الأخضر بين الألوان . فقد وهبها الله صوتا .. وكانت رائعة مجودة لنطق الكلمات ، إذ تعلمت تلاوة القران (الكريم) منذ سن مبكرة .. وكانت حريصة جدا على جمال الموسيقى ، ومدققة فى ما تغنيه » .

إن الغرابة التى تصيب الغربى حين يزور الشرق الأوسط ويسمع اهله يتحدثون عن نجمتهم المحبوبة ليست فى إسرافهم وغلوهم فى تقديرها ، وانما هى وليدة ذلك الاخلاص والتفانى الذى يوقظه ويبثه الصوت فى سامعيه العرب ، فما الذى دفع قرابة المليون شخص فى مصر وحدها ليخرجوا زاحمين شوارع القاهرة فى مقتبل عام ١٩٧٥ فى مظاهرة حزن جماهيرى عفوية لم يدبرها أحد ما الذى فقده العالم العربى .. واحس بانه لن يعوض .. لانه يعتز به ويكنزه فوق كل ما يزخر به من ثروات ؟

ذلك هو العلم المتوج بالحرير : أم كلثوم .

رسائل مختارة لـ : همنجـــواى

● لا تمثل الستمائة ونيف رسالة التى جمعها وحررها البروفيسور « كارلوس بيكر » من بين خطابات همنجواى فى الفترة ١٩١٧ ـ ١٩٦١ سوى نذر يسير من إفرازات نهم الروائى القاص فى حياته العريضة للحياة والكتابة والاتصال والذى كان يعتبر كتابة الخطابات يومياً لمعارفه واصدقائه واقاربه ومنافسيه ، الوسيط الذى يحرره ويسمح له بالتبسط . ولم يكن فى تلك الرسائل ليهتم بشيء .. وكان



نهمه واندفاعه لكتابتها نوعاً من الكبح لنفسه عن مزاولة الكتابة الجادة .. او ربما كان نوعاً من الهرب من الكتابة الجادة .

ويمكن لقارىء رسائل همنجواى أن يلاحظ انه يتخذ فيها اقنعة مختلفة وفقاً لمن يراسل ، وانه كان يمارس هوسه فى التلاعب بالالفاظ فقط حين يكتب الى رفاقه فى الشراب وصيد الأسماك ، ولكنه يركن الى الرصانة والجدية حين يكتب الى والديه ومن يكبرونه سناً .

وهناك أيضاً عادته فى طمانة من يريد التاثير عليهم ـ بادعائه أن ما كتبه اليهم هو اطول رسالة كتبها لانسان .. والغريب حقاً أن اكثر رسائله رقة ولطفاً هى تلك ـ التى كتبها الى اناس كان قد ـ اغلظ فى الهجوم عليهم .. مثل « إدموند ويلسون » ، و « وليم فوكنر » و « سنكلير لويس » و « جيمس جونز » .. وكلهم من خيرة النقاد والادباء .

اما اشاراته الى المراة فلم تخل من وقاحة .. وكانها ليست سوى نوع مفضل من الحيوانات ! ومع ذلك لا يمكن لقارىء تلك الرسائل أن يتجاهل الحب الذى يسبغه همنجواى فى صراحة وبلا حساب على كل الناس الذين اهتم بهم فى حياته ، رجالا كانوا أم نساء .. وهناك كمثال واحد فقط اعجابه المفرط بالروائى «ف . سكون فتزجيرالد» ، وولاؤه الراسخ لذلك الاحساس .. بالرغم مما كان يكدر صداقتهما .

ويمكن القول بانه بعد تعرفه الى «ماكسويل بيركنز» قد وجد المعلم الذى يخلص له النصيحة .. ولذا كان يكتب اليه الكلمة دون التواء . ورسائله اليه تمثل العمود الفقرى لهذه المجموعة المختارة .

وخلاصة القول ، فان رسائل همنجواى تزخر بالتنوع ، والسفوح ، والقمم ، والترهات واللحظات الجليلة .. تماماً مثل حياته .. وتعتبر ترجمة لحياته تفضل اى كتاب حاول تسجيل تلك الحياة .

ومع ذلك فان الرسائل هذه لا تضيف جديداً لمن يعرف عن همنجواى ، لأن جامعها ومحررها «البروفيسور بيكر» كان قد نخلها مستفيداً منها فى كتابة مؤلفه عن حياة همنجواى .

ولكن المجموعة ، رغماً عن قولنا هذا ، اكثر كشفاً من الترجمة الحياتية ، إذ نجد فيها همنجواى المفاخر بنفسه ، والمغتر بشهرته ، والغيور ، والعبيط المغالى الذى يتحدى اسلافه التاريخيين لمنازلته عشر جولات !

صامويل بيكيت فى عيد ميلاده الخامس والسبعين



الوضوح لدى الجمهور لم يكن يوماً شاغله .. فالذى يهمه هو أن يثير عمله اعصاب الجمهور . ومنذ أول عرض لمسرحيته « فى انتظار جودو بباريس عام ١٩٥٣ أثار ضجة كبرى ، وفتح صفحة جديدة فى تاريخ الدراما الغربية ، ومن سخرية الاقدار أن بيكيت وهو اكثر كتاب المسرح فى القرن العشرين اطلاعا ومعرفة قد قضى بضربة اخيرة على الافكار الجمالية لارسطو ، واكد خروجه على تقليد المسرح الغربى القائم على تلك الأفكار بكل عمل قدمه لاحقاً . ويمكن القول دون حرج أن كل الحركات الجديدة فى عالم التجريب والخروج المسرحيين تدين لهذا الكاتب المسرحى الايرلندى الذى احتفل ببلوغه الخامسة والسبعين فى الثالث عشر من أبريل الماضى . ومهما ابتعدت حركات المسرح الجديدة عنه ، فهو الذى فتح بعمله وحياته باب تغيير مفهوم المسرح الغربى تغييراً كبيراً .

ويمكن مقارنة أثر مسرحيته « فى انتظار جودو » بذاك الذى خلقته قصيدة ت.س.اليوت «الأرض اليباب» التى عبرت عن معاناة وضياع جيل ما بعد الحرب العالمية الأولى فى أوروبا . فقد أمسكت مسرحية بيكيت على روح عصرها ، عصر الغربة الوجودية والكآبة الميتافيزيقية ، المتمخضة عن الحرب العالمية الثانية ، ويمكن اعتبار هذين العملين معاً تلخيصاً للتجربة الانسانية الغربية فى القرن العشرين ، وعلامتى طريق فى التعرف على تلك التجربة وهما حجرا أساس لمعرفة معنى ان يكون المرء حيا فى ايام الفوضى والتمزق الغربى . فلا غرابة اذن فى أن يشير كثير من مؤرخى الثقافة الى الفترة الواقعة بعد الحرب الثانية فى العالم الغربى بانها « عصر جودو .. عصر العبث الكونى » .

وقد نفى بيكيت من المسرح كل ملامحه التقليدية من عقدة وشخصية وحوار .. لأن جماليته كجمالية الفنانين التعبيريين لم تقم على الموضوعية او التمثيل . وبالرغم من أن (موضوع) مسرحياته لا يتغير أبداً ، فان مسرحه يلتزم النظر فى المركز الخاوى للوجود الانسانى . وقد صار أسلوبه عبر السنوات محيراً اكثر فاكثر . فهو يجرد المسرح من كل حشو كيما يكتشف الدراما فيما هو غير درامى .. كما يقتصد فى استخدام اللغة ليكتشف الشعر فيما هو نثر .

وربما كانت المسرحية التى تعبر عن جوهر بيكيت هى مسرحية (تنفس) التى لا تدوم سوى ثوان معدودات .. ولا تتكون إلا من اصوات وصرخة يتيمة .. وتنفس . لكنها مبنية بشكل يقدم رمزاً سمعياً عن قصر دورة حياة الانسان .. التى تبدا بصرخة ، وتنتهى لا بحشرجة الموت ، وإنما باهة ارتياح .

اما مسرحية «لست انا» فهى فى نظر كثير من النقاد فى الغرب قمة براعته الفنية الفائقة . ولا يرى المشاهد شيئاً سوى فم وشخص مظلل لا يمكن استبانته ، هو أقرب الى الصوت المستقل عن صاحبه ، والذى يرتفع من أعماق الوعى وهو يواجه فراغ العالم المظلم . وبالرغم من أن اللغة تبدو محطمة ، فانها تعطى الفم اتصاله الوحيد بالعالم الخارجى .. وبنفسه . وهنا يقف بيكيت كجسر بين الوجودية والبنيوية ، بين مارتن هايديغر ، الفيلسوف الوجودى الالمانى وفيتغنشتاين ، وهو أيضاً فيلسوف المانى ، بين سارتر وليفى شتراوس . فالفم يبحث عن «أنا» وجودية خالصة ، ومع ذلك فان اى جزء عن «ذاته» يبدو موجوداً إنما هو مسجل فى نظام لغوى .

وقد صرح بيكيت نفسه بأن الفم هو «عضو للفظ .. ولا يمكن لشىء أن يسيطر على ما يخرج منه .. لا العقل .. لا القلب .. لا شىء» .

هذا الولع بالأسلوب هو الذى جعله يجرب كل انواع التعبير الدرامى .. فكتب للاذاعة والتلفزيون والسينما ، مستغلا امكانيات كل وسيط للاتصال اقصى استغلال. فمثلا (كاسكاندو) التى كتبها للاذاعة لا يمكن اداؤها إلا اذاعياً لخلو اللغة فيها من الصور والأخيلة ، اما عمله الجديد الذى كتبه لتلفزيون شتوتجارت والذى قد يبث فى يونيو الحالى ، فانه يخلو من الحوار تماماً . فهو تلاعب درامى باللون والحركة والصوت .

مهرجان الاسكيمو الثقافى !

لمن تقوده الظروف هذه الأيام الى الشمال الغربى من كندا . موعد مع الدهشة الرائعة ، إذ أن منطقة خليج فروبيشر تحيا اللوحات الثلجية الأخيرة لمهرجان الاسكيمو الثقافى والذى بدأت كرنفالاته وولائمه ـ فقيرة الحال ـ مع بداية الشتاء القطبى .

والمهرجان عبارة عن مباريات ومنافسات وحفلات ومسيرات وبناء منازل جليدية ، وصيد فى الثلوج ورواية حكايات الاسكيمو الخرافية واساطيرهم .

وقد نبعت فكرة هذا المهرجان قبل سنوات عندما افاق الاسكيمو الكبار قلقين من جهل شبابهم لثقافتهم . والحياة فى شمال كندا تغيرت كثيرا بعد دخول المصنع وتدفق النفط فى الاسكا . وصار الشباب يعيشون فى منازل حديثة ، ويركبون السيارات وعربات الثلج . ولم يبق منهم من يقدر على الصيد فى الجليد ، كما أن غالبيتهم لم تخرج يوما الى صيد حيوان المنطقة . وكثير منهم فقد موهبة بناء (الايقلو) بيت الاسكيمو الثلجى الذى ينقذه من الموت تجمدا .

وطيلة أيام الشتاء يولم الاسكيمو ، حيث يقدم لحم عجل البحر ، ولحم ـه ، والناس تقتعد الأرض الثلجية ، ويفتح الرواة ذاكرة الزمن الاسكيمى العجيب .

وبالطبع لا يمكن لهذا المهرجان أن يجتذب اعدادا هائلة مثل مهرجانات « نيس » أو « كان » او كرنفال « ريو » ويمكنك دون ضجيج أو تدافع أن تسرق الكاميرا زمنا وتصبح نجما أن نزلت ثلج الاسكيمو .. لأن كل وجه غريب يظهر هنا يلقى استقبالا ضخما من العدد القليل الذى يحتفى بزمن صراع الانسان مع البيئة والطبيعة لاصراره على البقاء .. رغم صحراء الثلج .

ولا يبدأ موسم السياحة إلا فى أواخر شهر يونيو ، حيث تحمل الطائرات فى رحلاتها الجماعية ، الراغبين فى رؤية شمس منتصف الليل والاستحمام تحتها .. فيأخذون صورا تذكارية ويشترون أشياء للذكرى ، ويعودون الى مدينة تورينتو ليوم الأحد .

ولا يتوقع المرء أن تكون معرفة أهل كندا وأمريكا الشمالية كبيرة بهذا الكرنفال المنفى . لأن « خليج فروبيشر » لا قدرة له على الاعلان عن نفسه فى شارع مادیسون كى تدرجه العائلات فى قوائم كيفية قضاء العطلات .. ولا يمكن لصيد الأسماك فى الثلج أن يكون هواية رياضية ، جديرة بمشاهدة الجمهور الكبير ، ولا يسمح الصبر والصمت والسكينة الداخلية بوضع المراهنات وتصخابها عليه .

ومع ذلك .. فان المحتفين بهذا الكرنفال والمهرجان يعرفون أنهم قد نجحوا .. لأنهم يذكرون انفسهم بأن للاسكيمو الحق فى الفخر بانفسهم .

ممنوع تصوير فانيسيا رد جريف !

● رفضت كلية ناشفيل بولاية تنيسى ، السماح بتصوير الممثلة التليفزيونية والسينمائية « فانيسيا رد جريف » فى حرمها الجامعى . وذلك لمساندتها منظمة التحرير الفلسطينية .

والمعروف أن هذه الكلية الخاصة بها عدد كبير من أبناء اليهود البالغ عددهم ٦٨٠ طالبا . وقد تعلل مديرها المستر « هارفى . د . سبيرلنج » بانه ليس من الحكمة السماح بتصوير أى جزء من الفيلم بالكلية ، لأن ذلك يحدث وقيعة فى صفوف طلابه ومجتمعه .

وقال المسئولون انهم كانوا قد وافقوا على السماح بتصوير المناظر فى الكلية ، لكنهم رفضوا ذلك بعد أن اختيرت « فانيسيا رد جر » للقيام بدور البطولة فى فيلم «موسم الليلك»



تخليدا لذكرى الناشر

● الناقد والشاعر الأمريكى « لينيث بيرك » الذى بلغ الرابعة والثمانين فى الخامس من مايو الماضى .. منح الميدالية القومية للأدب ، فى حفل تقديم جوائز الكتب الأمريكية ، الذى اقيم فى قاعة كارنيجي الشهيرة بنيويورك .

والجائزة البالغة ١٥ الف دولار ، والتى وضعت لتخليد ذكرى هارولد جينزبرج مؤسس دار نشر فايكنج ، تقدم للكتاب الأمريكيين الأحياء تكريما لجهودهم فى انتاج أعمال بارزة وذات تأثير باق على الأدب فى أمريكا .

وكان «بيرك» قد ترجم الى الانجليزية أعمال كتاب المان من أمثال « اوزفالد اشبنجلر » و « هوغو فون فمنستال » .. وعمل ناقدا موسيقيا ، ثم بالتدريس



عالم « عزرا باوند »

● لئن كان « رامبو » قد أدرك فى سن العشرين أن الشعر لا يمكن أن يغير العالم ، واستطاع أن يوجه طاقاته الى ضروب من النشاط أكثر عبثية ، فان « عزرا باوند » الذى كان يريد بكل سذاجة الأمريكى ونفاذ صبره ، أن يبنى حضارة قبل موته ، قد وصل الى نفس النتيجة التى الهمها رامبو ، ولكن فى سن الخامسة والسبعين .

وما ذلك إلا لأن « عزرا باوند » كان يفتقر الى التأمل ، وخاصة تأمل ذاته . وكانت قراءاته ومعرفته بالكتب مليئة بالفجوات الفظيعة . فهو ، مثلا لم يقرأ «فاو بيست» للألمانى النابغة ، جوته . فهل وجد فى اسطورة الشاعر الألمانى ما أنذره ؟

لا يحق لامرىء أن ينكر انسانا حقه فى ركوب المخاطرة بحياته فى سبيل توكيد آرائه ، ولكن « عزرا باوند » قد دفع ثمنا باهظا لاصراره على اعجابه بموسولينى وهتلر . ويبدو أن الرجل لم يستطع طيلة حياته العملية الفكاك من ربقة آرائه المراهقة

ذاك بعض مما يقدمه « بيتر اكروید » عن عالم الشاعر الأمريكى « عزرا باوند » فى كتابه الصادر عن دار تيمس وهدسون .

جون ميرو فى الثامنة والثمانين

● بعيدا عن الأضواء ، احتفل الفنان الاسبانى « جون ميرو » بعيد ميلاده الثامن والثمانين مع زوجته وابنائه ، واحفاده ، فى بيت ابنه المطل على البحر الأبيض المتوسط فى جزيرة « مايوركا » والتى ظل يعيش بها لأكثر من ٢٥ عاما .

قال الفنان السيريالي الكبير انه سعيد بالعيش فى هذه الجزيرة ، لهدوئها . وهو لأمانته واستقامته وحبه للعمل ، لا يستطيع إنجاز ما يريد فى مدينة برشلونة ، او باريس .

د. محمد عمارة

الإسلام والطائفية

إيمان هذه الأمة بالوحدة الوطنية والقومية إيمان راسخ لا شك فيه .. بل لقد رأت ، ببصيرتها النافذة وحسها الفطرى ، أن الشقاق الطائفى كان ، على مر تاريخها ، الثغرة التى يحاول أعداؤها النفاذ منها ، بحثا عن الركيزة التى تضمن لاستعمارهم واستغلالهم الفعالية والاستمرار ! ..

وأوضح ما كانت وتكون يقظة أمتنا لهذه الحقيقة فى لحظات المحن والمواجهة مع الأعداء ! ..

ففى مصر ، مثلا ، أثناء الثورة العرابية (١٨٨١ ـ ١٨٨٢ م) كانت أوربا الاستعمارية ، وانجلترا بالذات ، تسعى لشق وحدة الصف الوطنى الذى ارتفع متينا وشامخا خلف أحمد عرابى (١٢٥٧ ـ ١٣٢٩ هـ ١٨٤١ ـ ١٩١١ م) .. وفى مواجهة هذا المسعى الاستعمارى كانت يقظة الشعب والثورة ، التى تجلت فى وحدة طوائف الأمة ، على نحو لا مثيل له فى غير مجتمعاتنا العربية التى تنعم بسماحة دين الاسلام !..

● فعندما انحاز الخديوى توفيق (١٢٦٩ ـ ١٣٠٩ هـ ١٨٥٢ ـ ١٨٩٢ م) وأعوانه الى الانجليز الغزاة ، رفض الشعب الاستسلام ، وخلع عن سلطة الخديوى شرعيتها ، وتجسدت ارادة الشعب يومئذ فى «برلمانه» الذى سمى بـ «المجلس العرفى» .. وفيه تجسدت وحدة الشعب الوطنية والقومية كأروع ما تكون .. فمع عدد من الأمراء ، ورجال الدولة ، والادارة ، والتجار والأعيان ، كان علماء الاسلام ، بمذاهبه المتعددة ، وكذلك قضاة الشرع ، ونقيب الأشراف .. وأيضا كان بهذا المجلس العرفى : مرخص الأرمن الكاثوليك ، ووكيل الأقباط الكاثوليك ، وحاخام باشا اليهود ، وبطريرك الأقباط ، ووكيل بطريركية الموارنة ، ووكيل بطريركية الروم الكاثوليك ، ووكيل بطريركية الروم الأرثوذكس ... كان جميع هؤلاء أعضاء فى برلمان عرابى أو ـ «المجلس العرفى» ـ يجسدون وحدة الأمة الوطنية والقومية ، على اختلاف مذاهبها وأديانها وشرائعها ...

فأين .. فى غير اطار أمتنا العربية الاسلامية ، اشتركت الأقليات جميعا فى صنع مصير الأمة عند الملمات ؟! .. إن تاريخنا لم يعرف «الحروب الدينية» التى لطخت تاريخهم فى أوربا .. بل عرف هذه الوحدة الوطنية والقومية التى تعدت اطار التسامح والاخاء الى دائرة المشاركة فى صنع المستقبل وتقرير المصير ! ..

● وفى ذات الأحداث العرابية .. عندما حاول الانجليز تشويه سمعة العرابيين ، دوليا ، بالزعم أن لهم مواقف طائفية معادية لغير المسلمين .. كان رد (الحزب الوطنى الحر) ـ الذى كان يقود مصر ضد العدوان الخارجى ـ هو نشر برنامجه الذى يدحض هذا الافتراء .. ويزيد الأمر أهمية أن هذا البرنامج قد صاغه الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ ـ ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥ م) ـ وهو أحد قادة الأمة فى تلك الفترة ـ وفى المادة الخامسة كتب الشيخ فى البرنامج عن الموقف من الوحدة الوطنية والقومية يقول :

«الحزب الوطنى : حزب سياسى ، (غير طائفى) فانه مؤلف من رجال مختلفى العقيدة والمذهب ، وجميع النصارى واليهود ، وكل من يحرث أرض مصر ويتكلم بلغتها منضم اليه لأنه لا ينظر لاختلاف المعتقدات ، ويعلم أن الجميع إخوان ، وأن حقوقهم فى السياسة والشرائع متساوية . وهذا مسلم به عند أخص مشايخ الأزهر الذين يعضدون هذا الموقف ، ويعتقدون أن الشريعة المحمدية الحقة تنهى عن البغضاء ، وتعتبر الناس فى المعاملة سواء» .

هذا هو صنيع أسلافنا الأقربين مع الوحدة الوطنية والقومية للأمة تجاه أعدائها ، وعن هذا الصنيع نقول للغير :

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم
اذا جمعتنا يا جرير المجامع !

ونقول عنه لأنفسنا وأبناء أمتنا : إنه من الحق والواجب علينا أن نكون خير خلف لهؤلاء الأسلاف العظام ! .


محمد عبده


أحمد عرابى

المرأة لغوياً واجتماعياً

محمد العدناني

دون جريمة .. وقفت المرأة فى قفص الاتهام على مدى التاريخ ! والقاضى هو الرجل !

فى الجاهلية ، هو الذى حكم عليها بالدفن « روحاً » قادمة لتوها إلى الحياة ! وفى العصور المختلفة ، هو الذى أهدر كل حقوقها بدعوى تفوقه عليها ، وإلازراء بها !

ومع أن الاسلام وقف بجانب حقوق المرأة . ومع أن المرأة نفسها كسرت القضبان ، وأدلت بكل طاقتها من أجل أن تحقق إنسانيتها ، ونجحت ، وتفوقت ، وأعطت ، وتجاوزت أقصى معطيات الرجل ..إلا أنها ستظل تحمل بداخلها تلك الندوب السوداء التى وصمتها بها اللغة العربية ، على لسان الرجل ، وقلم الرجل وصحائف الرجل !!

لا يكاد الطفل يرى عند ولادته غير أمه ، التى تعنى به فتغذيه بلبنها الذى هو خلاصة الحياة التى تجرى فى عروقها . وعندما يشب عن الطوق ، لا يرى قلباً يعطف عليه ، ويغمره بحنانه غير قلب المرأة ؛ فأمه تدفعها عاطفة الأمومة الخالدة الى مواصلة رعايته وحمايته ، وشقيقاته الأكبر منه سناً يساعدن أمه فى إغداق المحبة الصادقة عليه ، كما تفعل خالاته وعماته وقريباته أول الأمر ، ثم زوجه وبناته بعد أن يتزوج وتتقدم به السن . وهكذا تواصل المرأة رعايته وحمايته وتمريضه من المهد الى اللحد ، فلا يتدفق عليه الخير إلا من كفيها السخيتين ، ولا يشرب الهناء إلا من كؤوسها المترعة بالسعادة والحب والايثار .

ولاتزال المرأة فى هذا العصر ، الذى نالت فيه قسطاً كبيراً من الانصاف ، وأصبحت فى كثير من بلدان العالم تنافس الرجل فى الاختراع والطب والهندسة والعلوم والآداب والقضاء ، وتمارس حق الانتخاب فى عدد كبير من البلدان ، وتجلس مع الرجل فى بعض المجالس النيابية ، واحدة من الأعضاء ، الذين يمثلون الأمة ، ويبنون مجدها ، ويثبتون قواعد حضارتها ، وتصبح رئيسة للوزراء كما هو الحال الآن مع أنديرا غاندى فى الهند ومرغريت تاتشر فى بريطانيا .

ومع ذلك ، لايزال حق هذه المرأة مغموطاً فى الضلاد ، التى تظلمها ظلماً شديداً يجدر بنا أن نعالجه بحكمة وأناة، لنقتلع الكلمات التى تسيء الى حواء فى معاجمنا من جذورها ؛ اعترافاً بفضل من غذتنا بدمها تسعة أشهر كاملة ، بصدر رحب ونفس كريمة ، ومن سهرت علينا صغاراً لننام ، وتعبت لنستريح ، وجاعت لنشبع ، وظمئت لنروى ، وشقيت لنسعد وقلقت لتطمئن قلوبنا ، وتدرعت بالشجاعة والصبر لحمايتنا والدفاع عنا .

هالنى أن أرى اللغة العربية تسيء الى نسائنا الفاضلات ، نصف الأمة العربية ، إساءة لا تغتفر ، بجعلها المرأة ، التى تصيب كبد الحقيقة برأيها الثاقب (مصيبة) ، وعضوة البرلمان (نائبة) ، تاركة الرجل المصيب فى رأيه ، والنائب فى المجلس النيابى يتمتعان بالفخر برجحان الرأى ، ومجد عضوية المجلس النيابى (النائبة تعنى المصيبة) ، فبدأت أدافع عن المرأة بأضعف الايمان ، باللسان ؛ وأناقش من يتحامل عليها بابداء آراء غلام يافع أولا ، ثم حجج شاب لا بأس بها ثانياً ، وأخيرا حجج دامغة لرجل نضجت الفكرة فى راسه كهلا وشيخاً ، فراح يسجل على جذاذات من الأوراق كل ما يعن له من آراء ، خلال السنوات الستين الأخيرة من عمره ليجمع شتاتها الآن وهو فى الخمس الأول من ربع القرن الأخير فى حياته الطويلة الحلوة ، التى قضاها فى القراءة والكتابة والنظم والتدريس الجامعى

والتفكير العميق .

فى العصر الجاهلى

من يحاول أن يرى كيف كانت المرأة تعامل فى العصر الجاهلى يجد أن بعض القبائل كانت تئد البنات عند ولادتهن ، خوفاً من أن تشذ الواحدة منهن عن سبل الخلق القويم ، وتجلب لقبيلتها العار . قال أحد شعراء الحماسة ـ وهو جاهلى ـ :

إن النساء وإن ذكرن بعفة
فيما يظاهر فى الأمور ويكتم
لحم أطاف به سباع جوع
ما لا يذاد فانه يتقسم
اليوم عندك دلها وحديثها
وغداً لغيرك كفها والمعصم
كالخان تسكنه ، وترحل غازياً
ويحل بعدك فيه من لا تعلم

وقال الشاعر الجاهلى التميمى علقمة ابن عبدة الفحل الذى عاصر امرأ القيس وكانت له معه مساجلات :

فان تسألونى بالنساء ، فاننى
عليم بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء ، أو قل ماله
فليس له فى ودهن نصيب

يردن ثراء المال ، حيث علمنه
وشرخ الشباب عندهن عجيب

وقال امرؤ القيس :

أراهن لا يحببن من قل ماله
ولا من رأين الشيب فيه وقوسا
(قوسا : انحنى ظهره) .

ولست أفهم كيف يطلب هذان الشاعران الأنانيان من المرأة الشابة الحسناء ، التى تفتن أنوثتها وجمالها وخفة دمها الألباب ، أن تحب الرجل الفقير الطاعن فى السن ، المقوس الظهر ، مادامت تستطيع الحصول على زوج



المرأة
لغوياً واجتماعياً

● لم ينفرد بعض شعراء العرب بالحملة على المرأة والحط من قدرها .. بل شاركهم في ذلك عدد من أدباء الغرب وفلاسفتهم

وسيم ؟! فهل يؤثر هذان الشاعران العجوزالشمطاء على الكاعب الحسناء التى يبهر جمالها الأنظار ، أم يقبلان على طبق الحنظل ويهملان طبق الشهد إذا وضعا أمامهما ؟

ولدي عشرات الأمثلة مما قاله الشعراء فى المرأة ظالمين ومنصفين ، ذكرتها فى كتابى المخطوط عن المرأة ، الذى سأخص مجلة الدوحة الغراء ببعض فصوله .



حادثة واحدة

أما وجهاء العرب الذين أنصفوا المرأة التى تنفر من الشيب يلم برؤوس الرجال، فاننى أكتفى بذكر حادثة واحدة ، رواها كهل من وجهاء العرب ، وخط فوديه الشيب ، قال :

«خرجت الى ناحية الطفاوة ، فاذا أنا بامرأة لم أر أجمل منها فقلت: أيتها المرأة! إن كان لك زوج فبارك الله له فيك ، وإلا فأعلمينى . فقالت : وما تصنع بى وفى شيء لا ترتضيه ؟ قلت : وما هو ؟ قالت : شيب فى رأسى . قال فثنيت عنان جوادى راجعاً . فصاحت بى : على رسلك أخبرك بشيء . فوقفت ، وقلت : وما هو يرحمك الله ؟ قالت : والله ما بلغت العشرين بعد ، وهذا رأسى . وكشفت عن عناقيد كالحمم ، يصدق فيها قول الشاعر دوقلة المنبجى :

فالوجه مثل الصبح مبيض
والشعر مثل الليل مسود
ضدان لما استجمعا حسنا
والضد يظهر حسنه الضد

ثم قالت : والله ما رأيت برأسى بياضاً قط ، ولكن أحببت أن تعلم أننا نكره منك ما تكره منا ، وأنشدت :

أرى شيب الرجال من الغوانى
بموقع شيبهن من الرجال

قال : فرجعت خجلا كاسف البال ،،

هذا نموذج من الأجوبة المفحمة التى تتفوه بها بناتنا العربيات النابهات .

وفى الغرب أيضاً

ولم ينفرد بعض شعراء العرب بالحملة على المرأة ، والحط من قدرها ، بل شاركهم فى ذلك عدد من أدباء الغرب وفلاسفتهم ، فعالم النفس الأميركى الأستاذ ليرد يؤكد أن المرأة أقسى من الرجل وأشرس منه ، وأن وراء ما ينسدل عليها من أستار الرقة والوداعة كائناً ضارياً مفترساً . ويورد الأستاذ ليرد أمثلة كثيرة تؤيد رأيه ، منها :

(١) ذكر بلوتارك ، المؤرخ الرومانى أن امرأتين دخلتا احدى المعارك الحربية ، وحاربتا حرباً وحشية ضارية ، حتى انهزم عدوهما بعد أن باد جل رجاله . ولما لم تجد المرأتان من تقتلانه ، قتلت إحداهما الأخرى ، ثم شدت القاتلة جديلتيها حول عنقها ، وخنقت نفسها .

(٢) ورد فى تقرير أحد معامل تجفيف اللحوم فى شيكاغو أن عدد النساء اللواتى يزرن مذبح المعمل ، ليشاهدن ذبح الأبقار والأغنام والطيور أربعة أمثال من يزوره من الرجال ، ويجدن فى هذا تفريجاً عن الغريزة الوحشية المكبوتة فيهن تحت مظاهر الرقة والوداعة .

(٣) كانت الآنسة موبان ، احدى ممثلات الأوبرا بباريس ، تتنكر فى ثياب الرجال وتتحرش بهم فى الطرق والمجتمعات ، حتى إذا استفزت غضب أحدهم ، طلبته الى المبارزة لكى تتمتع باراقة دمه . وقد خاضت غمار ثمانين مبارزة ، قتلت فيها عشرة رجال .

(٤) كانت النساء أيام الثورة الفرنسية يذهبن كل يوم الى الميدان الأحمر فى باريس ، ويجلسن على المقاعد المصفوفة فى أرجائه ، ليمتعن أنفسهن بمنظر الرؤوس المتساقطة تحت المقاصل، وفى الوقت ذاته كن يتسلين بشغل الابرة أو بالحديث مع صاحباتهن .. أما الرجال فكانوا يتفادون المرور بالميدان الأحمر .

بعد الاسلام

أما وأد البنات (دفنهن بعد ولادتهن ، مخافة العار والحاجة) ، فقد مارسته قبيلة كندة فى الجاهلية . وعندما جاء الاسلام منعه ، ونزل قوله تعالى فى الآية

٣١ من سورة الاسراء : «ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ، نحن نرزقهم وإياكم» . وقال أيضاً فى الآية ٥٨ من سورة النحل : «وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم» . وفى الآية ٥٩ من سورة النحل أيضاً : «يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ، ألا ساء ما يحكمون» .

وافتخر الفرزدق بجده صعصعة بن ناجية ، الملقب بمحيي الموءودات ، فقال :

وجـــدى الذى منـــــع الوائـــدات
وأحيـــا الوليـــــــد ، فلم يوأد

أما تعدد الزوجات عندما ظهر الاسلام فكان شائعاً بين الاثينيين ، والفرس ، والعبرانيين ، وعرب الجاهلية . يقول سيد أمير علي الهندى ، قاضى الهند ، وعضو مجلس ملك الانكليز الخاص إن هذه العادة كانت شائعة فى العالم المسيحى أيضاً ، على الرغم من نهى جستنيان عنها ، ولم يك شيوعها مقصوراً على الطبقات الارستقراطية من المسيحيين .

ولم يكن هناك حد يقف الرجال عنده ، إذ كان الرجل من العرب يجمع بين عشر نساء ، كغيلان بن سلمة الثقفى ، وكان شاعراً جاهلياً أسلم يوم الطائف ، فأمره النبى بأن يختار أربعاً ، ففعل ، وصارت سنة .

إن استشهاد كثير من الأزواج فى الغزوات الاسلامية ، كان يفرض على الرجال التزوج بأكثر من واحدة ليعولها ويحميها ، ويحول دون انتشار الفجور بين الأرامل . ومع ذلك فقيد الاسلام تعدد الزوجات بقيود ثقال ، إذ فرض فيه العدل الشامل ، واجتناب الانسياق مع النفس فى ميلها وهواها ، واتقاء كل ما من شأنه أن يستثير الحقد بين الزوجات . وكم من الناس يستطيع ذلك ؟ وكم منهم يستطيع السيطرة على غريزته وهواه ؟

وقد وضع الاسلام شروطاً شديدة ، عندما أباح تعدد الزوجات ، وهذه الشروط يعدها المنصفون من المفكرين والمؤرخين تحريماً . قال تعالى فى الآية الثالثة من سورة النساء : «أحل لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة» . وقال جل شأنه فى الآية ١٢٩ من سورة النساء أيضاً : «ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم» . وليس العدل الذى ذكر فى الآيتين الكريمتين هو المساواة فى المسكن والنفقة فحسب ، وإنما هو المساواة التامة فى الحب والميل والاحترام ، مما يخرج عن نطاق استطاعة البشر .

ومن أسباب السماح بتعدد الزوجات هو وجود رجال ، لا تمكنهم طبائعهم وتكوين جسومهم من الاكتفاء بزوج واحدة . ومنها حاجة المسلمين ، الى الاكثار من النسل ، ليستطيعوا السيطرة على جميع الأراضى الواسعة الفسيحة ، التى احتلوها ، ونشروا الاسلام فيها .

ويذكر غوستاف لوبون فى كتابه «حضارة العرب» سبباً وجيهاً آخر ، هو أن النظام العضوى للمرأة ، وما يصيبها من الحمل والولادة وما أشبه ذلك ، يضطرها الى اعتزال فراش الزوج أمداً غير محدود ، هذا عدا تأثير الاقليم الحار المثير للغريزة الجنسية ، الذى كان المسلمون يعيشون فيه عندما ظهر الاسلام .

تعدد الزوجات

وقد ذكر سيد أمير علي فى كتابه «روح الاسلام» ما أكتفى بايراد بعضه ، قال ما خلاصته : لقد ذاع تعدد الزوجات والأزواج بين الهنود ، والآشوريين ، والميديين ، والبابليين ، والاسرائيليين قبل عهد موسى ، وفى أيامه ، إذ أقر تلك السنة ، ولم يضع لعدد الزوجات حداً ولا قيداً .

أما عند الفينيقيين فقد فشا تعدد الزوجات بصورة مزرية جداً . وكانت الزوجة عند الاثينيين القدماء سلعة تباع وتشترى . وكان الخطبـــاء اليونانيون يفتخرون بأن فى أمتهم ثلاث طبقات من النساء ، طبقتين منها زوجات شرعيات ، والثالثة مؤلفة من زوجات غير شرعيات .

وكان الرجال فى إسبارطة لا يباح لهم الزواج بأكثر من امرأة واحدة ، بينما كان لنسائهم الحق فى أن يتزوجن أكثر من رجل واحد .

والقديس أوغسطين نفسه لم يكن يرى فى تعدد الزوجات شيئاً من الاثم ، أو العيب ، أو مخالفة نواميس الآداب .

والمصلحون الدينيون من الجرمان قرروا فى القرن السادس عشر صحة الزواج بامرأة ثانية أو ثالثة لأسباب كثيرة ، منها العقم ، وقلة النسل .

وقد أصدر الامبراطور فالنتيان الثانى قانوناً ، أباح به لرعاياه الزواج بعدة نساء ، دون أن يعترض أساقفة ذلك العصر ، ورؤوس الكنيسة على ذلك .

وكانت عند عرب الجاهلية واليهود عادة أخرى غير تعدد الزوجات ، هى عادة زواج المتعة .

والفتاة اليهودية كانت فى بيت أبيها فى مكان الخادم ، وكان لأبيها الحق أن يبيعها فى السوق ، إن كانت قاصرة ، ولأبنائه الذكور من بعده أن يتصرفوا فى أمرها كما تشاء أهواؤهم . وكانت الفتاة لا ترث أبويها إلا إذا كانت وحيدة ولا ذكور معها .

هذا غيض من فيض ، والى اللقاء فى كلمة أخرى عن حواء .

محمد العدنانى بيروت

كلمات

● لقد رسم الآخرون ، وعن عمد تفاصيل حياتك ورموزها حتى تؤمن بما يقوله البيض عنك . أرجو أن تتذكر إذن أن ما يعتقدونه ، وما يفعلونه ، وما يسببونه لك من عذاب ، كل هذا لا يدل على أنك أدنى مستوى ، وإنما يدل على أنهم يفتقرون إلى الانسانية ، ويدل على أن الخوف يستبد بهم .

« الكاتب الزنجى جيمس بولدوين »

جمال كنافي

جين أوستن

الفنانة التي تجاهلت نابليون وأعطت ظهرها لأمجاده!

● عندما تقرأ روايات الكاتبة الانجليزية « جين أوستن » تشعر بأنها تركض عبر الحقول وتقفز فوق الأسوار .. وذلك رغم اعتقاد الكثيرين بأن هناك ألفة وشبهاً كبيراً بين رواياتها ومسرحيات شكسبير وموليير ! ●



جين أوستن

لم يقس النقاد فى حكمهم على «شارلوت برونتى» يوم وجهت اللوم الى أحد أصدقائها ج . هـ . لويس ، لأنه كان قد أبدى اعجابه «بجين أوستن» ، وقالت «برونتى» إن الشخصيات التى ترسمها «جين أوستن» لا تعيش فى هواء طلق ولا تنعم برحابة الريف ولا بزرقة التلال .. فهى لذا تكره أن تعيش أو تعاشر أمثال تلك الشخصيات .

على أن «برونتى» لم تكن حينذاك قد قرأت رائعة أوستن «بين الفخار والتحين» ، التى كان أول عنوان لها «الانطباعات الأولى» ..

وهذه الرواية بدورها لم تسلم من النقد لأنها لا تعكس صورة المجتمع الذى عاصر صدورها . ففى العقد الذى صدرت فيه ١٨١٠ ـ ١٨٢٠ (صدرت الرواية عام ١٨١٣) كان نابليون يغير وجه أوروبا ، فاذا بالقصة تتجاهل ذلك وتدور أحداثها حول رجل عدل من أخلاقه وفتاة غيرت رأيها .. أما الجنود البواسل فلا تلعب فى الرواية غير أدوار ثانوية ، إذ يعبث الضابط أو ذاك فيغرى فتاة على الهرب ..

والانطباع العام الذى يخرج به القارىء هو أن قسماً صغيراً من المجتمع أغلق نفسه فى حاضر لاينتمى الى زمن معين ، لا يجوز ـ أو لا يمكن ـ أن يطرأ عليه تغيير . فالناس فى الغالب مسمرون مثبتون يكررون أنفسهم كما يتكرر الروتين وتتكرر الطقوس الاجتماعية التى تتحكم فى حياتهم .. المال قد يجر بعض المشاكل ولكنه لا يكون أبداً مشكلة فى ذاته .. العلاقات البشرية لا تخلو من الدراما والمأسى ولكن كل شىء يتجه نحو تحقيق زيجات مقبولة وبهذا يضمن المجتمع لنفسه الاستمرار ويحد من امكانية أو احتمال حدوث تغيير عنيف .. فى الجزئين الأول والثانى من الكتاب نجد أن «المستر دارسى» ، «اليزابث بنيت» يعتقدان أن لهما نصيباً فى عمل لو أمكن ترجمته الى قصص خيالى لجاز أن نسميه «الوقار والادراك» .. ولكن سرعان ما يدركان أن القصة التى هما جزء منها اسمها «بين الفخار والتحين» وأنها تعالج فكرة الحكم المسبق وإعادة الحكم وأن دراما اعادة الحكم ، وهى عملية يستطيع العقل بها أن يعيد النظر فى أمر ما وأن يعيد مراجعته وتعديله إذا لزم ذلك ليرى الأمر على حقيقته . فالكتاب إذن ينتمى الى فصيلة الدراما المبنية على اعادة الادراك أو اعادة الحكم التى هى تقليد هام من تقاليد المأساة فى أدب الغرب كما تشهد بذلك «أوديب الملك» و «الملك لير» وغيرهما .

مشكلة المعرفة

رواية «جين أوستن» هذه ، تلمس فى معظم أجزائها ، أو لعلها تمسرح بعض أوجه مشكلة «المعرفة» ... وفلاسفة القرن الثامن عشر وجهوا التفاتهم الى ما أسماه «لوك» ـ ملكات الادراك فى الانسان ـ فلم يقصر بحثه على ما نعرف أو ندرك فحسب بل تعدى ذلك الى الكيفية التى نعرف أو ندرك بها ما نعرف أو ندرك وما تفرضه وسائل الادراك من حدود على هذه المعرفة . ثم قال «ليست مهمتنا هى أن نعرف كل شىء ، بل إن مهمتنا هى أن نعرف الأشياء التى تهم سلوكنا» وفى هذا من ناحية ما يلخص تصرف «اليزابث» تجاه «دارسى» ، أول الأمر .

ذكرنا أن أول عنوان اختارته جين أوستن لكتابها «بين الفخار والتحين» كان «الانطباعات الأولى» .. وفى هذا العنوان الذى عدلت عنه صاحبته ، نجد مفتاح روايتها . ونذكر فى هذا المجال أن كلمة «انطباعات» تحتل أهمية كبيرة فى فلسفة «ديفد هيوم» الذى يعتبر الانطباعات مصدراً هاماً للمعرفة ويقول «إن جميع مدركات الانسان تقسم نفسها الى قسمين متباينين : قسم أسميه «انطباعات» وقسم أسميه «أفكار» . «اليزابث» لها عقل حاد يحبب

«دارسى» فيها ويجذبه اليها ... وانطباعاتها حية نابضة يمكن أن تكون انطباعات وأفكاراً معقدة . ومشكلتها من وجهة النظر «الهيومية» هى أن أفكارها المعقدة لا تتشكل دائماً على أساس انطباعاتها المعقدة التى تحصل عليها مما يواجهها من مشاهد .. وبغير الانطباعات تنعدم التجربة .. ومن هنا كانت أهمية الانطباعات الأولى ، لأنها رغم حاجتها الى التصحيح والتعديل والتهذيب ، تشكل مبادىء التجربة وعلى هذا الأساس بنت «جين أوستن» أهم رواياتها لأنها تؤمن ، كما آمن هيوم ، بأن الانسان يجب أن يكون مجرباً مفكراً ، وأن الفكر والتجربة يعتمدان على الانطباعات وعلى ذلك فان الانطباعات الأولى تصبح هى الخطوة الأولى فى حياة انسانية كاملة .

وعلى الرغم من أن الانطباع الأول الذى تركه خطاب «دارسى» فى نفس «اليزابث» كان خاطئاً إلا أنها استطاعت بعد قراءة الرسالة ثانية بشىء من التمعن ، أن تغير رأيها وموقفها تجاه «دارسى» دون أن تدفع ما دفع «لير» من ثمن قبل تغيير رأيه فى بناته .. وكل الذى نالته من عقاب أو ما أنزلته بنفسها ، كان لومها لهذه النفس وتأنيب ضميرها على ما كان قد اعتراها من عمى القلب والتحيز . على أن محنة «اليزابث» هذه كانت من نوع قديم قدم الأزل إذ أنها واجهت للمرة الأولى تناقضاً بين الظواهر والواقع .. وتهتم «جين أوستن» بشرح العناصر التى تكون الأخلاق الحقيقية للانسان كما تنبه الى أنه من الممكن أن نخفى هذه الأخلاق عن الناس ... ولابد للكشف عن الأخلاق الحقيقية من اقامة الدليل .. ولقد أخطأ كل من «لير» و «عطيل» لأن كلا منهما طالب بأدلة من النوع الخاطىء فعرض نفسه لكيد كل من أراد تزييف الأدلة . ولكنا نجد فى مأساى شكسبير كما نجد فى «بين الفخار والتحيز» أن الأحداث تكشف فى نهاية الأمر عن أصحاب الأخلاق الحميدة وأصحاب الأخلاق السيئة .. بين «كورديليا» و «إياجو» .. بين «دارسى» ، و «وكام» .. على أن الثمن الذى يدفع لقاء هذا الكشف يختلف من حالة لأخرى .

الحوار والشخصيات

والصفة التى كتبت «لجين أوستن» ذلك الخلود فى الأدب الانجليزى هى براعتها فى صياغة الحوار بين مختلف الشخصيات .. فهناك من هذه الناحية الفة وشبه كبير بين روايات «جين أوستن» ومسرحيات شكسبير وموليير فالحوار يبلغ درجة عالية من الدرامية إذ يحدد الشخصيات عن طريق اللهجة التى تتكلم بها كل منها .. ثم إن فى بناء رواية جين أوستن من ثلاثة أجزاء ما يوحى للقارىء بأنه يقرأ تمثيلية مثلثة الفصول .. وتقدم «جين أوستن» فى رواياتها نوعين من الشخصيات على الأقل ، شخصيات تحددها وتعرفها الأدوار التى تلعبها هذه الشخصيات ، أو تذوب فيها هذه الشخصيات ، وشخصيات تدور حول الأدوار التى تلعبها دون أن تفقد الشعور والوعى بأدوارها أو تنسى ما تقوم به . ولقد فرق «هاردنج» بين هذين النوعين فاستعمل كلمة «شخصية» للنوع الأول وكلمة «كاريكاتور» للثانى ، وأشار الى نجاح «جين أوستن» فى إجادة عرض هذا المزيج من الشخصيات والصور الكاريكاتورية ، والى براعتها فى التعبير عما تريد أن تقول تلميحاً ، عن مجتمع يجوز أن يتواجد فيه هذان النوعان جنباً الى جنب .

أى نوع من المجتمعات تصور جين أوستن فى كتاباتها يا ترى ؟ ... هى تصور المجتمع الذى لا يعكس الحروب النابليونية ولا يتعرض لها ... وهو نظام تؤكد فيه سيادة المجتمع وإيثار هذه السيادة على المتعة الفردية .. سيادة الرسميات على غيرها ، سيادة الأناقة على «البهدلة» .. نظم العشيرة وخططها ـ الأسرة والجماعة والمجتمع ـ تميل الى التحكم فى أطماع الذات وإخضاع ارادتها . وهنا تؤكد الكاتبة التجربة اللغوية وتهمل أو تكاد تتجاهل التجربة الجسمية .. وقد يجمع الله الشتيتين فى حفل راقص ، ولكن المعاملات الأساسية (ومعظم المعاملات غير الهامة) تتم عن طريق اللغة .. عندما يتقدم «دارسى» باقتراح الزواج للمرة الثانية نقرأ أن «اليزابث» «بدت وكأنها عاجزة عن أن تنظر ، أو تنصت .. وعبر لها عن أحاسيس جعلت عاطفته تزيد قيمة فى كل لحظة» ... ولكن اذا حلت اللحظة الحرجة استحال «الحب» بكامله الى تجربة لغوية .. وهذا وضع معقول مرغوب فيه يعلي شأن الوعى والأخلاق .

وتهبط «جين أوستن» بالاتصال الجسمى والتجربة ، دون انكارها ، الى الحد الأدنى .. يجوز للأيدى أن تلتقى .. لكن الأفضل والأرجح أن يكون اللقاء لقاء العيون عبر الفراغ الاجتماعى .. وقد تدار الوجوه نحو غيرها أو بعيداً عنها .. واليزابث كما نرى فريسة لحمرة الخجل تصبغ خديها (وحمرة الخجل هى لغة الجسم يعبر بها عن أحاسيس معينة) والمحتمل أن نرى من الفساتين فى كتابات جين أوستن أكثر مما نرى من الأجسام ، ونشاهد من التحية العلنية أكثر مما نسمع عن عناق خفى .. وإذا نحن قارنا بين حفل راقص تصوره «جين أوستن» وحفل راقص يرسمه «تولستوى» وجدنا أن الرقص عند «جين أوستن» ، وكانت تحبه وتجيده ، فرصة تكرس بكاملها للحوار بين المتراقصين . والرقص من الطقوس الاجتماعية التى تسمح بحديث خاص يدور فى العلن .. و «اليزابث» تتبادل مع «دارسى» أثناء الرقص حديثاً هاماً .. والخلاصة ان الرقص عند «جين أوستن» يتجرد من كل أثر للناحية «الجسمية» .

فاذا انتقلنا الى رواية «أنا كارينينا» وجدنا فيها كل ما لا يجرى على لسان «جين أوستن» أو يخطه قلمها ..

«كيتى ترى «أنا» ، «فرونسكى» فى اللحظات التى يقوم فيها كيوبيد بغزو قلبيهما يغرز فيهما سهامه .. تراهما وكأنهما يقفان وحدهما منفردين رغم

شكسبير



موليير



جين أوستن

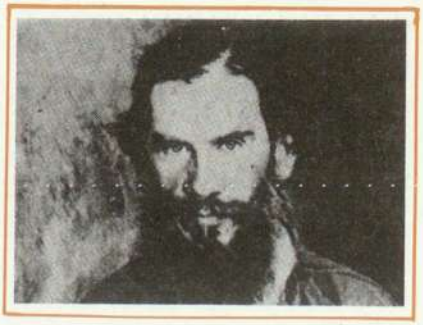
ازدحام الصالة .. وتتأثر بما يظهر على وجه «فرونسكى» من حيرة التسليم ، وهو القوى الحازم .. اذا ابتسمت «أنا» بادلها بالابتسامة .. فاذا استغرقت فى التفكير علت وجهه مسحة الجد» .

وتتأكد «كيتى» من أن السهم قد نفذ فى اللحظة الحاسمة التى يتقرر فيها المصير .. وتتلاشى كل اللغات وتتعطل الألسن .. جسم «أنا» وحده هو الذى يناغى «فرونسكى» بلغة تستطيع كيتى أن تقرأها .. ويغرق كل احساس عقلانى فى حدة جسدية خالصة : الحواس تدرك والحواس تجيب وتستجيب .

معنى الحب

لسنا هنا فى موقف المفاضل بين «جين أوستن» و «تولستوى» .. ولكن الشىء بالشىء يذكر .. ونحن مسلمون قد تعجبنا صوفية «جين أوستن» كما تروقنا عبقرية «تولستوى» .

جين أوستن تتشكك كثيراً وبصفة خاصة فى فورية الجاذبية الجنسية ، ويجدر بنا أن نسأل عن معنى «الحب» الذى تقره صاحبتنا وتصوره فى رواياتها .. هى أبداً تعنى وتهتم بالسلوك وقل أن تشير الى التجربة الدينية .. مجتمعها دنيوى مادى .. مجتمع يقدر الأشياء والدعائم التى يقوم بناؤه عليها .. مجتمع يركز اهتمامه على أفضل الوسائل التى تمكن الرجل من أن يعيش الى جانب المرأة فى وئام .. وبهذا كله



تولستوى

تاثرت فكرة «الحب» عند «جين أوستن» وتأثرت فكرة الزواج ... «مسز جاردنر» تشكو «لاليزابث» من عبارة «حب العبادة» .. فهى عبارة معادة مكدودة مشكوك فيها لا يمكن تحديد معناها ، فهى اذن لا تعطى إلا فكرة مهو شة ... فى الصفحات الأولى من الكتاب تبحث «شـــارلوت» مـــع «اليزابـــث» الاستراتيجيةالتى تستخدمها المرأة لتضمن وقوع الرجل فى شباكها .. و «شارلوت» نفسها تعتبر رمزاً لنجاح الخطط المرسومة وتفوقها على العاطفة التلقائية ، عندما تقرر الزواج من «المستر كولنز» وتصرح أنها لا تأبه بالرومانسية ولا تعترف بها ، ... كل ما تريد من دنياها بيتاً للزوجية مريحاً .. وعلى الرغم من أن «المستر كولنز» انسان ممل متعب إلا أن فيه «وقاية ضد الحاجة والعوز» .

والحب الذى تقره «جين أوستن» هو إذن ذلك الشىء الاضافى الخفى الذى يرقص بين حروف كلمات بطلة الرواية حاملا معه طاقة عاطفية ودلالة لفظية ... هو ذلك الشىء الغامض الذى يتوهج فى عينيها ويدفع الدم الى خديها ، هو ذلك الذى يجعلها تركض عبر الحقول وتقفز فوق الأسوار .....

ربت جين أوستن فى عصر الحركة الرومانسية ورضعت لبن الفكر السائد فى القرن الثامن عشر فكانت تلتزم الحدود والتعاريف والأفكار الواضحة ، فكانت من ناحية على نقيض جماعة المتحررين الذين نشروا مؤلفاتهم فى نفس السنة التى نشرت فيها «جين أوستن» «بين الفخار والتحيز» ومنهم اللورد بايرون ، وكولردج ، وسكوت ، وشيللى ومن بعدهم كيتس .

وتميزت مؤلفات جين أوستن بما فيها من انتقائية صارمة .. كانت تنتقى من ملاحظاتها وخبرتها ومن الأساليب الأدبية ما يعجبها وترفض ما لا يعجبها دون أن تتقيد بتقليد أو تلتزم بمألوف .. ولم يكن «ماكولى» وهو الأديب الفحل عبيطاً أو غفلة لما نسبها الى شكسبير وموليير .

ولدت «جين أوستن» فى اليوم السادس عشر من شهر ديسمبر ١٧٧٥ وكانت سابع أطفال القس جورج أوستن . وماتت فى شهر مايو ١٨١٧ وهى تسعى وراء دواء تستطب به .. ولسنا نعرف غير «جين أوستن» من بين أدباء العالم من يتعمد اختيار بطلة لاحدى قصصه لا تعجب غيره من الناس .. كما اختارت هى «إما» بطلة لتلك القصة ..

جمال الكنانى .

كلمات

● ليس هناك وجود بدون الاخرين . فان الانسان لا يكف مطلقاً عن الخروج عن ذاته والاتصال بالعالم وبالآخرين . ومثل هذا الاتصال يجعل من علاقته بالعالم والناس مناسبة للشعور بالاهتمام .

« الفيلسوف الفرنسى ميرلو بونتى »

● احجموا عن عنف اليد واللسان والقلب .

« مارتن لوثر كنج »

رؤية نيويورك ..

شعر: محمد إبراهيم أبوسِنّة

«الى الصديق محمد عبد الله الشفقى والكاتب الرومانى جورج بلاييزا ذكرى لقاء فى مدينة نيويورك» .

ـ شاعرة المدينة ـ

علامةٌ بيضاءْ
تَلوحُ فى سَحَابَةِ السَّمَاءْ
كالنجم بين الأرضِ والسمَاءْ
محرِّكاتُ الطائِرة
توقفتْ وانفتَحَ الفضَاءْ
على جزيرةِ الرياحِ والصراخِ والأَضْواءْ
مساحة شاسعة الأنحاءْ
من الزمانِ والمكانْ
وهذه نيويورك
تقرأ الطالعَ فى النّجُومْ
وهذه نيويورك
تمتد فى الغيومْ
ماكينة من الحديدِ والأسمنتِ والزجاجْ
تلتهمُ العالمَ القديمْ
وترسمُ الكواكبَ العذْراءَ فى السَّديمْ
تموجُ فى السوائِلِ الحمراءِ والخضراءْ
تراكماً من الأرقامِ فوقَ شاشةٍ زرقاءْ
جزيرة الشجر الاليكترونى والأحلامْ
مدينة الرَّصَاصِ والأنغامْ
تهتز فى الدخانِ والبروقْ
رأيتُ عند بَابها الشروقْ
مضرجاً على شواطىء الغروبْ
تشردت عيونىَ الشرقيةُ الأعماقْ
ما بين وجهِ البدرِ والمحَاقْ
سألت هذه النيويوركية البيضاءْ
عن الحدائقِ الخضراءْ
سألتها عن الربيعْ
فى أى شارع يقيمْ
أجابت الحسناءْ
فى فندقِ الشتاءْ
سألتها عن شاعر الجزيرة القديمْ
شاعر مانهاتن والتخومْ
سألتها عن وَالت وِيتمان العظيمْ
وابتسمتْ سخرية ناطحةُ السحابْ
على يمين الشاعر الذى يموجُ بالأغرابْ



وأخرجت ماكينة عالية الرنينْ
وريقة خضراء
من فئة الدولارْ
وقالت الحسناءْ
تلك هى الأشعارْ
وهذه يا سيدى
شاعرة المدينة

ـ مدينة القيامة ـ

سألت واحداً يسير فى الطريقْ
ما كل هذه الجدرانْ
كأنها الحريقْ
أهذه مدينة القيامة
ـ فقال لي بانها محاولة
لملء ذلك الفراغ بين الأَرضِ والسَّمَاءْ
تَمزقَ القناعْ
وانقطَعَ الشعاعْ
وقلت إنها القيامهْ
وجاء صوتُ وِيتمان العظيمْ
يقول إنها فقط علامة

ـ نصَب الحرية ـ

سألتُ هذه المرأة النيويوركية
عن نصب الحرية
رأيته هناك عند نهر هَدْسُنْ الحالم الحزينْ
مستسلماً لهذه التساؤلاتْ
تطرحُهَا العيونْ
عيونُ كلِّ السائحِين العابِرينْ
سألته هل سَئِمَ العِراكْ
من أجل حَق الآخرينْ
هل بَاتَ رمز اللامبالاةِ هنا
أم بات رمز الحائِرينْ
رأيته يخجلُ من أسئلتى
ودمعة تلوح فى الجفونْ
تركته يرنو بلا مبالاة
الى النهر القديمْ
منطوياً كأنه يتيمْ

د. فـــاروق حســـيب

الحصبة الألماني وخطرها على المرأة الحامل



الحمل ظاهرة طبيعية فى حياة المرأة .. لكنها قد تتعرض أثناءه لبعض المتاعب التى تعكس أثرها عليها شخصياً .. ومتاعب أخرى تعكس أثرها على الجنين .

من المتاعب الخطرة : الحصبة الألمانى !

فما هى طرق الوقاية منها ؟ وماذا عن العلاج ؟

الحمل والوضع هما وظيفتان اختص الله بهما المرأة دون الرجل لأنها نبع الحنان الذى لا ينضب . ولكن تمر بالحوامل أثناء الحمل حالات خاصة ، وتدور برؤوسهن خواطر معينة تجعلهن متشوقات الى العلم بالتغييرات التى تطرأ على أجسامهن وطريقة نمو الجنين وما ينبغى عمله استعداداً لقدم المولود .

ورغم أن الحمل ظاهرة طبيعية فى حياة المرأة إلا أنها قد تتعرض أثناءه لبعض المتاعب التى يجب التنبيه لها لأن بعضها يعكس أثره على الحامل شخصياً أما البعض الآخر وهو الأخطر فانه يعكس آثاره على الجنين . وعلى رأس المخاطر التى قد تصيب المرأة أثناء الحمل الاصابة بمرض الحصبة الألمانى.

والحصبة الألمانى مرض اكتشفه العالم ماتون عام ١٨١٥ وهو عادة يصيب الأطفال فى أعمار تتراوح ما بين الخامسة والرابع عشرة عن طريق الرذاذ .. وأحياناً يصيب المرأة الحامل من خلال المشيمة .

واصابة المرأة بفيروس الحصبة الألمانى فى الأوقات العادية لا يشكل أية خطورة عليها بعكس تعرضها للاصابة به أثناء الحمل حيث يزيد من احتمال وفاة الجنين أو على الأقل اصابته بتشوهات خلقية . وأول من تنبه لخطورة هذا المرض على الحامل هو طبيب العيون الاسترالى جريج وذلك عام ١٩٤٢ م .

عامل الزمن

واحتمال حدوث تشوهات بالجنين يتوقف على الفترة التى تصاب فيها السيدة الحامل بفيروس الحصبة الألمانى . فاذا حدثت الاصابة فى الشهر الأول للحمل فان نسبة حدوث تشوه بالجنين قد تصل الى أكثر من ٥٠٪ ، أما اذا كانت الاصابة فى الشهر الثانى للحمل فان هذه النسبة تقل الى حوالى ٢٥٪ ثم تنخفض فى الشهر الثالث الى ١٥٪ فقط . وبعد انتهاء الشهر الثالث ، فان اصابة الأم بالحصبة الألمانى فغالباً لا تؤدى الى تشوه الجنين إلا بنسبة ضئيلة جدا لا تتعدى ٤ بالمائة .

من ذلك يتضح أن اصابة الحامل بهذا المرض خلال الشهور الثلاثة الأولى من الحمل يستلزم بالضرورة اجراء عملية اجهاض نظرا لتزايد احتمالات حدوث تشوهات خلقية بالجنين . أما بعد ذلك فليس هناك خطورة تذكر على الطفل وعلى الحامل نفسها أن تكمل فترة الحمل .

والتشوهات الخلقية الناتجة عن الحصبة الألمانى متعددة وتؤثر على أجهزة الجسم المختلفة . فقد تصيب العين أو القلب أو الجهاز العصبى ، وقد تؤدى الى فقدان السمع ، كبر أو صغر حجم الرأس ، التخلف العقلى ، تضخم الكبد والطحال ومرض الصفراء اضافة الى بعض التغيرات فى الكروموزمات . وترجع هذه التشوهات أساساً الى انسداد الأوعية الدموية التى تغذى أعضاء الجسم أيضاً نتيجة تحلل الخلايا بواسطة الفيروس نفسه . وقد يحدث فى بعض الأحيان أن يولد الطفل وليس به أية أعراض ظاهرية ولكن التشوهات تظهر بعد عدة سنوات وغالباً فى سن التحاقه بالمدرسة . والجدير بالذكر أن هذا الطفل المولود مشوهاً ، يمكن أن يظل ولعدة شهور (١٢ ـ ١٨ شهر) مصدر عدوى لغيره من الأطفال بل والأشخاص البالغين الذين ليس لديهم مناعة ضد هذا المرض .

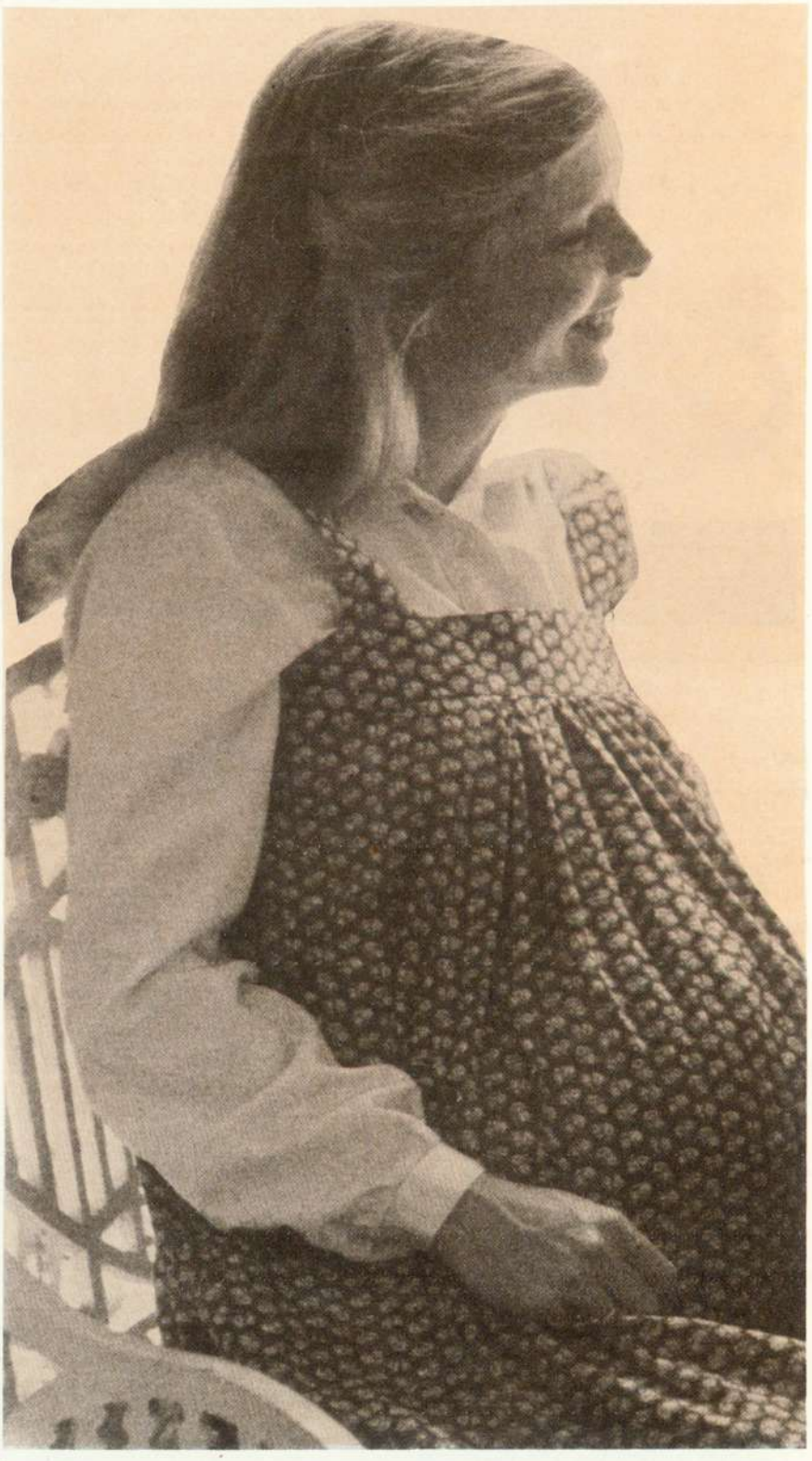
تشخيص المرض

وتشخيص مرض الحصبة الالمانى يعتمد اساساً على الفصل الذى ينتشر به الفيروس أو عن طريق التحاليل المعملية حيث يتم اكتشاف أجسام مضادة لهذا المرض فى دم الأم الحامل .. ووجود هذه الأجسام المضادة يدل بشكل قاطع على أن الأم قد تعرضت فعلا للعدوى حتى ولو كان ذلك فى صغرها أو قبل الحمل .. وعلى ذلك فليست العبرة هى مجرد وجود هذه الأجسام المضادة للحسكم بأن الاصابة حديثة إلا لو زادت نسبتها فى دم الحامل وهذا ما يهدد بحدوث تشوهات للجنين . أما لو كانت الاصابة قديمة أى قبل حدوث الحمل فهذا يدل على أن الأم قد اكتسبت مناعة ضد هذا المرض تحصنها من الاصابة به من جديد .

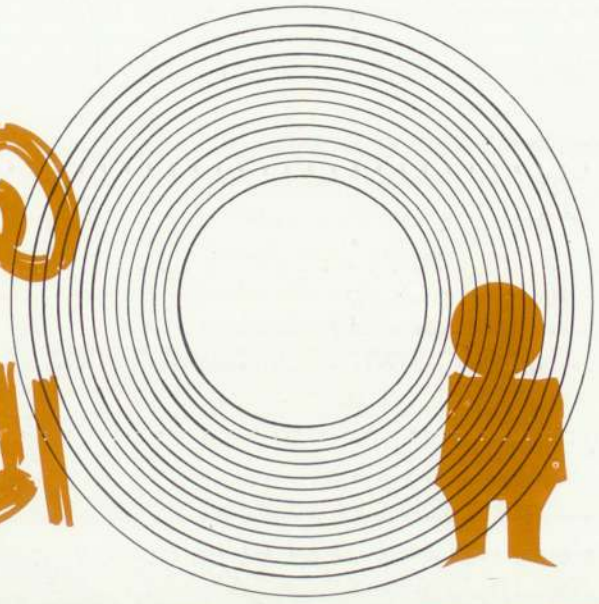
ولقد تزايدت فى السنوات الأخيرة أهمية التطعيم بمصل الحصبة الألمانى لمنع اصابة المرأة الحامل بهذا المرض وبالتالى تفادى وضع جنين مشوه .. والمصل عبارة عن فيروس ضعيف ينتج عن حقنة تكوين الأجسام المضادة التى تمنع حدوث أية عدوى بالمرض مستقبلا ، ولكن المناعة نفسها لا تكتسب إلا بعد شهرين من التطعيم .

ولقد تنبهت دول كثيرة الى تأثير هذا المرض على الحامل وبالتالى على الأطفال فوضعت كافة الاجراءات الصحية لتفادى الاصابة به .. ففى بلجيكا مثلا يتم تطعيم جميع الفتيات ضد هذا المرض عند سن الثانية عشرة . كما وأن بعض الولايات الأمريكية تمنع الموافقة على عقد الزواج بها إلا اذا كانت العروس قد اكتسبت مناعة ضد هذا المرض وذلك عن طريق تحليل عينة من دمها للتأكد من وجود الأجسام المضادة به أو على الأقل التطعيم بالمصل قبل عقد الزواج . أما فى انجلترا فإن جميع السيدات يفحصن مباشرة بعد ولادة أى طفل للتأكد من اكتساب الأم المناعة اللازمة فاذا تبين غير ذلك فانه يتم تطعيمها مباشرة بهدا الولادة . وهذه الطريقة لن تحمى بالتأكيد الطفل الأول ولكنها تحمى الأطفال .

د. فاروق حسيب



وتشخيص الاصابة بالحصبة الألمانى فى المرأة الحامل قد يصعب فى بعض الأحيان حيث تتشابه أعراضها مع أمراض أخرى ، كما وأن بعض الحالات قد لا تكون مصحوبة بأعراض اكلينيكية ظاهرة رغم أن الفيروس موجود بدم الأم ويؤدى الى اصابة الجنين بحيث يفاجأ الطبيب بولادة طفل مشوه رغم عدم شكوى الأم من أية اعراض مرضية طوال فترة الحمل .



هؤلاء المصابون بالصرع

ومشكلتهم مع الخلايا العصبية

د. عبد المنعم عاشور

المشهد مثير للفضول والشفقة !

إنسان ما .. فى الطريق العام .. يقع من طوله فجأة.يرتمى على الأرض .. يتخشب جسده .. يرتعش بلا توقف .. يفقد القدرة على الرؤية ، والتنفس ، والنطق ، واستعادة توازنه . وغالباً ما يعض لسانه حتى يدميه !!

هذه هى نوبة الصرع تفجأ الانسان على الرغم منه ! ماذا يقول العلم فى هذه الحالة ؟

وما هى علاقة الصرع بالخلايا العصبية للانسان ؟

ثم .. ماذا عن العلاج ؟

الجهاز العصبى لأى انسان مكون من بلايين الخلايا العصبية التى تنتظم فيما بينها فى مجموعات ، تعمل بصورة متناسقة ومتناغمة حسب قوانين غاية فى الدقة والتعقيد ..

وهذه المجموعات تؤدى الى قيام الانسان بوظائفه الجسدية والنفسية بكفاءة متناهية ، فاذا خرجت خلية عصبية أو مجموعة من الخلايا عن القانون العام ، فانها تؤدى الى اختلال فى التوازن الوظيفى الدقيق للجهاز العصبى كله !

ويظهر هذا الاختلال فى صورة حركة غير مطلوبة ، أو إحساس بشىء ليس له مصدر ، أو حركة زائدة فى الأحشاء زائدة عن الحاجة تؤدى الى خلل مفاجىء يعرقل الحركة أو الاحساسات الطبيعية ، ثم ينتهى فجأة كما جاء بصورة مباغتة !

والواقع أن الكيان الانسانى كله هو الذى يدفع دائماً ضريبة هذا الخلل ، وكلما اتسع نطاق الاختلالات الصرعية ، كان الاضطراب العام أكثر وضوحاً وبالغ الشدة !

ومن هنا يمكننا أن نقول ان الصرع يشبه الخروج على القانون .. فمثلا من قوانين الجهاز العصبى المعروفة ،أن بعض العضلات تنقبض ، بينما ترتخى عضلات أخرى فى نفس الوقت ، وبذلك يستطيع الانسان أن يحرك مفاصله حركة مفيدة ليقوم بكافة الأعمال كالمشى والأكل وخلافه .. بينما أثناء نوبة الصرع نجد مخالفة واضحة لهذا القانون ، تظهر على صورة انقباض جميع عضلات الجسم فى وقت واحد ، بحيث لا تصبح هناك ولو حركة واحدة نافعة ، ويصبح الجسم فى حالة من «التخشب» المستمر ، ويتوقف التنفس ، وقد يعض المريض لسانه ، وقد يرتمى على الأرض كلوح من الخشب فيصيب نفسه بكثير من الأضرار !

قصة من الواقع

وقد وصف أحد المصابين بالصرع ما يعانيه أثناء نوبة الصرع وبعدها فقال :

«استيقظت من نومى وأنا فى قمة الصحة والعافية ، وركبت سيارتى الى الجامعة ، وكان يوم شتاء خفيف ، وكنت قد اكتفيت فى الافطار بكوب من الشاى والحليب ، ودخلت قاعة الدرس ، وألقيت تحية الصباح ، ولعلي أمضيت نصف ساعة ألقي دروسي كالمعتاد ، وفجأة وبلا مقدمات وجدت نفسى جالساً على سرير بالمستشفى الجامعى ، وحولى وجوه غير مألوفة ، ولكنها بالتأكيد تنطق بالشفقة !

عرفت تماماً أنه قد فاجأنى دور الصرع ، وأستطيع أن أتصور ما حدث بدون أن أسأل ، لابد أننى فقدت الكلام ، وتراقصت المناظر أمامى ، وهويت الى الأرض صارخاً أتخبط ويهتز جسدى بالتشنجات المستمرة ، ولابد أن طلبتى فى القاعة قد تملكهم مزيد من الذعر والشفقة والحيرة أمام ما أصابنى فجأة ، ولابد أنهم رأونى أمر فى لحظات محدودة من الحياة الى الموت ، ثم الى الحياة مرة أخرى !

أعرف أن نظرتهم إلي فى الدرس القادم ستكون مختلفة ، وسيمتنع بعضهم عن حضور دروسى فى المستقبل ، وسيتهامس البعض عن مدى خطورة حالتى ، وسيسأل البعض أنفسهم لماذا أنا مريض وكيف لم أجد العلاج المناسب ؟!

والحقيقة أننى أخطأت فى حق نفسى ، فأنا مصاب بنوبات الصرع منذ عهد بعيد ، وقد خضعت للفحص الطبى ، واستجبت للعلاج شريطة أن يكون مستمراً ومنتظماً !

لم يطلب منى الأطباء سوى أن أتناول بضعة أقراص فى اليوم ، وأن أحترم مواعيد وجبات الطعام ، وأن أبتعد عن الاسراف فى كل شىء !

وتمتعت مع هذا النظام الطبى بحياة سعيدة غنية حتى سولت لي نفسى أن أتمرد على النظام الطبى ، وأمتنع عن بعض الأقراص ، ولم أكن أتصور أن العقاب سيحل بى سريعاً الى هذه الدرجة ، وأنا أسقط صريعاً أمام الطلبة فى المدرج !

وقد أدى هذا الدرس القاسى الى تصميمى على العودة الى النظام ، بعد أن حمدت الله على أننى مازلت قادراً على الحياة الطبيعية فى ظل مرض الصرع ، بتكاليف بسيطة ، وبغير تضحيات !

هل هو روح شريرة ؟

هذه حالة من حالات الصرع كما جاءت على لسان صاحبها المثقف الواعى ، المتمتع برعاية طبية سليمة ووعي صحى كاف ، والغريب أن هذه الحالة تمثل ٨٠ فى المائة من مرضى الصرع فى أى مجتمع متحضر راق !

ويقابل هذه الحالة ، حالة أخرى متناقضة ، رواها أب طيب القلب عن ابنه الذى تعاوده حالة الصرع فقال :

«يعاود الصرع ابنى عدة مرات فى الأسبوع ، وأحياناً يأتيه أكثر من مرة فى اليوم الواحد .. وقد انتظم فى العلاج أياماً ثم أهمله بسبب عدم الاستقرار مع طبيب واحد .. وأنا عن نفسى لا أعتقد أن الصرع مرض ، ولكنه روح شريرة تتقمص جسد ابنى وتجعلنى أهرع به الى الأضرحة أو أضع الأحجبة فوق صدره لعلها تشفيه .. وكثيراً ما استمعت الى بعض النصائح من الأصدقاء والجيران التى كان من بينها : الزار .. وكل ذلك لم ينفع .. وأصبحت مهموماً ليل نهار ، خاصة وأن ابنى ليس مصاباً بالصرع فقط ولكنه مصاب منذ ولادته بشلل فى أطرافه ، وكانت ولادته عسرة ، وتمت بعيداً عن أية مساعدة طبية» !

هذه قصة أب تصور أو اعتقد من خلال أحاديث الجيران أن ابنه مصاب بهذا المرض نتيجة عدم رضاء الأرواح عنه .. وهذا بالطبع كلام مضحك وساذج .. لأن العصر الذى كان فيه الناس يعتقدون فى الأرواح والشياطين ثبت زيفه وكذبه بعد تطور الطب والعلاج والوسائل الحديثة .. وهنا نقول لأمثال هذا الأب لو أنك اتبعت العلاج بانتظام ولم تيأس أمام حالة ابنك وأعطيته الرعاية الطبية اللازمة وأبعدته عن مجالات الخرافات ، لكانت ـ على الأقل ـ حالته قد شفيت أو تقدمت تقدماً ملموساً !

الانسان ودائرة الوعى

وقد يتساءل بعضنا : هل صحيح أن الوعى لدى الانسان يتغير فى دورات على مدى اليوم والليلة ؟

ونقول لهم : نعم .. فهذا قانون طبيعى يتغير أثناءه الوعى بين يقظة عالية ونوم عميق .. اليقظة العالية ضرورية لانجاز الأعمال التى تتطلب ذلك مثل الدراسة أو القتال أو قيادة السيارة أو تشغيل الآلة !

وهناك درجة أقل من الوعى هى المناسبة لأعمال من نوعية مختلفة مثل تناول الطعام أو ممارسة الحب أو مشاهدة السينما أو التليفزيون ..

ولا ينخفض الوعى الى أعماق بعيدة، إلا فى بعض مراحل النوم . يأتى الصرع بمخالفة صارخة لهذا القانون عندما ينخفض الوعى فجأة الى درجة من الغيبوبة العميقة ، تفاجىء المصاب بصرف النظر عن نوع العمل الذى يمارسه المصاب بالمرض !

فمثلا قد تفاجىء غيبوبة الصرع المصاب ، وهو يقود سيارته ، أو يحمل سلاحه فى أثناء نوبته ، أو أثناء طهى الطعام على النار ، أو أى اختلال شديد يصيب الحياة ، عندما ينتقل الوعى فجأة من الصحو المناسب ، الى درجة

● هل صحيح أن الوعي لدى الإنسان يتغير على مدى اليوم والليلة ؟

● غيبوبة الصرع قد تفاجئ المصاب وهو يقود سيارته .. أو يحمل سلاحه في أثناء نوبته أو أثناء طهي الطعام !

هؤلاء المصابون بالصرع

الغيبوبة الرهيبة ، فى ثوان معدودة !

احتضار الخلية

وفى السنوات الأخيرة ، وبفضل التقدم التقنى الذى سمح للانسان العالم أن يسبر أغوار المخ البشرى ، وضع الطب يده على مفتاح لغز الصرع وأنه وراء كل حالة صرع خلية فى المخ تحتضر ، وتخرج عن القانون !

قد تحتضر خلايا المخ بفعل التغذية الناقصة ، أو الهواء الفاسد أو نمو السرطان ، أو الاصابة الميكانيكية !

وبالتشريح يمكن العثور على بؤر من مثل هذه الخلايا فى مخ المصاب بالصرع .. وبرسم المخ الكهربائى ، يمكن أن نرصد النبضات المريضة لهذه الخلايا المحتضرة !

إنها مهمة الطبيب أن يختبر وظائف المخ ، ويحدد وجود هذه الخلايا المحتضرة ، وأسباب احتضارها ، وكيف السبيل الى تخليصها أو الخلاص منها ، وكم من حالة صرع تختفى تماماً اذا نجح الطب فى اعادة الحياة الصحيحة الى الخلايا المحتضرة ، أو نجحت الجراحة فى خلاص الجسم من الخلايا المحتضرة، خلاصاً تاماً !

فمثلا تستعيد بعض الخلايا المحتضرة صحتها التامة ، اذا أطعمت ببعض الفيتامينات المعينة ، وتختفى حالة الصرع بعد ذلك تماماً !

وأيضاً اذا أزيل من المخ ورم حميد ، أو تجمع دموى ، قد يزول الصرع المترتب عليه بزوال السبب !

فقدان السيطرة

وقد يتساءل البعض كيف يسمح الجهاز العصبى الدقيق المنظم لبعض الخلايا المحتضرة أن تخرج عن القانون ، وتزلزل كيان النظام كله ، ألا يوجد فى الجهاز العصبى والجسم كله ، وسيلة لاحتواء الخلايا المريضة ، أو المحتضرة ، أو عزلها ؟

والجواب على هذا التساؤل المنطقى ، توصل اليه الطب الحديث ، وهو أن العيب ، لا يكون دائماً فى وجود خلايا محتضرة ، تخرج عن القانون ، وإنما العيب أن النظام العام قد فقد قدرته على السيطرة ، وفرض القانون العام !

فالمعروف أنه فى الجهاز العصبى



السليم ، يوجد فعلا بين الثنايا عشرات من الخلايا المحتضرة ، المعزولة تماماً ، عن الفعل بتأثير هرمونات عصبية ، وظيفتها الأساسية هى مساندة التوازن العصبى .. فمثلا .. من المعروف أنه فى أية لحظة يحتوى مخ كل فرد منا على خلايا تحتضر بفعل السن ، وبفعل الاصابات البسيطة التى يتعرض لها الدماغ ، ولكن هذه الخلايا المحتضرة تعجز عن ايجاد حالة صرع فى الجسم ، لأن الهرمونات العصبية المضادة للصرع متوفرة بالكميات المناسبة فى مخ معظمنا !

ولكى تحدث حالة الصرع ، فلابد أن يتوفر النقص ، أو غياب هذه الهرمونات العصبية المضادة للصرع ، الى جوار الخلايا المحتضرة ، ومن هنا يمكن القول ان هذا النقص فى الهرمونات المضادة للصرع ، هو أحد الأسباب الرئيسية لحدوث حالات الصرع عند بعض الأفراد وهذا يشكل مدخلا الى العلاج ، لأن مثل هؤلاء الأشخاص محتاجون الى التناول الدائم المنتظم للأدوية التى تنشط هذه الهرمونات ، أو التى تقوم مقامها !

تجربة تراجيدية

ويتمتع مرضى الصرع أو معظمهم على الأقل بنظرة الاشفاق من الناس ، لأن المرض يثير فى الناس الشفقة ، ويدفعهم الى العناية بالمريض ، ولكن بعض الأمراض تحرم صاحبها من هذه الميزه ، وتدفع الناس الى تجنبه ، والخوف منه ، بدلا من العطف عليه ، فالناس مثلا يخافون من المجذوم والأبرص ، وكذلك مريض الصرع ، وقد احتار المفكرون فى تفسير هذه الظاهرة ، ولا أعتقد أن لها حلا كاملا حتى الآن !

وبالتأكيد ، فان خوف الناس من مريض الصرع ، ليس خوفاً من العدوى

فهو غير معد ، وقد يكون الناس معذورين فى خوفهم ، فهو تجربة تراجيدية مؤلمة لمن يشارك فيها مصاباً أو مشاهداً !

وتتميز تجربة الصرع فى أن الحوار ينقطع تماماً بين الممثل والمشاهد فيجد المشاهد نفسه فى حيرة ، وفزع شديد !

والمرضى بالقلب أو بالصداع أو حتى بالسرطان ، أو بالطاعون ينقلون شكواهم وأحاسيسهم الى المشاهدين ، ويسمح لهم بأن يأخذوا منهم موقفاً محدداً على أساس ما ، فاما أن يساعدوهم بالفعل ، والاسعاف أو يفروا منهم ، أو يكتفون بالدعاء لهم .. ولكن المشاهد لمريض الصرع لا يفهم ماذا يجرى للمريض ، ولا يستطيع المريض أن يعبر للمشاهد عما يحس به أو يحتاج اليه من اسعاف ، فنجد أن المشاهد يقف عاجزاً عن الفهم والتصرف ، ويحس بالعجز التام عن المساعدة أو تقديم العون ، وقد تنتابه مشاعر الذنب ، وفى النهاية يقف مريض الصرع فى هذا العالم وحيداً غير مفهوم .

وينعكس هذا الموقف على حياة مريض الصرع ، فلا أحد يحب أن يعطيه عملا ، ولا امرأة ترغب فى أن تتزوجه ، وتسود حياته معانى الوحدة والرفض ، وليس عذاب مرض الصرع نفسه !

هذا الواقع الاجتماعى ، هو الذى يظلل معظم مرضى الصرع فى بلادنا ، كما كان الحال منذ أجيال طويلة ، ولابد أن يتغير ، والتغيير المطلوب هو أن يفهم الناس مشكلة مريض الصرع ، وأن يتعلم كل طفل كيف يقدم الاسعاف الأولى اللازم لمريض الصرع ، اذا فاجأته النوبة ، وأن يكون لمرضى الصرع جمعيات أصدقاء تقدمهم الى المجتمع وتكسر حاجز العزلة ، وتقدم المجتمع اليهم .

● العيب في أن النظام العام قد فقد قدرته على السيطرة وفرض القانون العام

ومن التناقض المضحك والمبكى فى أن واحد أن مجتمعاتنا المتخلفة التى تسلب الحقوق الاجتماعية الأساسية من آلاف مرضى الصرع ، فانها تعزل بعض هؤلاء المرضى حتى الآن فى نجوع بعيدة ، ولسبب مرتبط بالتخلف الحضارى ينجح مريض الصرع فى أن ينشر حول نفسه خرافة مؤداها أنه ولي من الأولياء الصالحين ، وبهذا ينهال عليه الاحترام والتبجيل والعطايا ، ويسود قومه روحياً ومادياً !

الخيوط المتشابكة

ولمرض الصرع صلة وثيقة ببعض الأمراض النفسية الأخرى ، فقد يجتمع للمريض الواحد ، الصرع ، والاكتئاب النفسى مثلا ، أو الصرع والفصام ، أو الصرع والتخلف العقلى !

ولايزال الطب يشغل نفسه بدراسة الخيوط المتشابكة بين هذه الأمراض ، وبعضها البعض ، وليست الاجابة حتى الآن شافية كافية !

ومن باب الطرافة نذكر أن بعض مرضى الصرع حينما يفيقون من اغماءاتهم يحسون براحة نفسية شديدة وخلو من التوتر النفسى تجعلهم يشكرون نوبات الصرع على هذه الراحة النفسية .. يقابل هذا أن كثيراً من مرضى الصرع ينتابهم الضيق النفسى المتزايد ، قبيل حدوث نوبات الصرع ، ولا ينتهى هذا الضيق إلا بدخولهم فى نوبة الصرع الفعلية ، ومن هنا نجد صداقة مستترة بين بعض مرضى الصرع ومرضهم ، حتى أن المريض قد يعمد الى استحضار نوبة الصرع ليفرغ ما به من ضيق !

وبعض مرضى الصرع يتعلمون جيداً كيف يستحضرون النوبة عند الطلب .

وقد تكون هذه الظاهرة خلف امتناع بعض المرضى عن تناول علاج الصرع ، لأنه يحرمهم من نوبات الصرع والراحة النفسية القصيرة التى تتلو النوبة !

وكثير من مرضانا قصير النظر ، يفضل الراحة العاجلة على الشفاء البعيد المدى .

وهناك مجال كبير للعمل على اقناع هؤلاء المرضى ، وخطورة هذه السياسة ، فانه من المؤكد أن كل نوبة صرع تترك خلفها خلايا محتضرة جديدة ، تضمن استمرار المرض لفترة أطول .

وقد استفاد الطب من هذه الظاهرة بأن طوعها فى صورة علاج لبعض الأمراض النفسية ، فما العلاج بالصدمات الكهربية سوى تطويع محكوم للنوبات الصرعية ، والدراسات الطبية مستمرة لتطوير هذا النوع من العلاج بحيث يعطى أحسن النتائج بأقل الأضرار فى المريض المناسب وفى الوقت المناسب .

● ● ●

أما وقد عرفنا من هو الصارع ، ومن هو المصروع ، فلعلنا نتفق أن الصارع مشكلة للطب ، أما المصروع فهى مشكلة المجتمع .

د. عبد المنعم عاشور

كلمات

● الفكرة الوحيدة المصاحبة للفلسفة عند تأمل التاريخ هى الفكرة البسيطة للعقل ، أى أن العقل يحكم العالم ، ومن ثم فان تاريخ العالم هو عملية عقلية .

« هيجل »

● قد يسلم المرء مما قد يحاذره وقد يساق إلى المكروه بالحذر .

« أبو العتاهية »

دعـــــاء



إلهى : كل ما أقوله فأنت فوقه . وكل ما أضمره فأنت أعلى منه . فالقول لا يأتى على حقك فى نعتك . والضمير لا يحيط بكنهك . وكيف نقدر على شيء من ذلك وقد ملكتنا فى الأول حين خلقتنا . وقدرت علينا فى الثانى حين صرفتنا ؟ فالقول وإن كان فيك فهو منك . والخاطر وإن كان من أجلك فهو لك . من الجهل أن أصفك بغير ما وصفت به نفسك . ومن سوء الأدب أن أعرفك بغير ما عرفتنى به حقيقتك .

أسلمت لك وجهى سائلا رفدك . وأضرعت لك خدى طالباً فضل ما عندك . وهجرت كل من ثنانى إلى غيرك . وكذبت كل من أيأسنى من خيرك . وعاديت فيك كل من أشار إلى سواك .

« أبو حيان التوحيدى »

كرم على درب



● يا للعجيبة ! أزرع قلبى على الورق فينبت فى قلوب الناس .
● عجبت لمن يغسل وجهه مرات فى النهار ولا يغسل قلبه مرة واحدة فى السنة !
● عرفت جهلاء يدعون المعرفة . وحمقى يدعون الحكمة . ووضعاء يدعون الرفعة . وفقراء يدعون الغنى . لكنى ما عرفت بعد انساناً يدعي ولو بعض عظمته كانسان !
● إنكارك ذاتك تثبيت لها .
● من استهان بالغير هان للغير .
● اقتلنى إذا شئت . فلن يأخذ بثأرى منك غيرك .
● ابتعدت عن الناس لأقربهم منى .

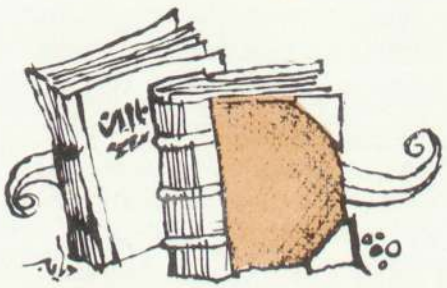
«ميخائيل نعيمة»

السكوت والكلام

إن كان يعجبك السكوت فانه قد كان يعجب قبلك الأخيارا
ولئن ندمت على سكوتك مرة فلقد ندمت على الكلام مراراً
إن السكوت سلامة ولربما زرع الكلام عداوة وضرارا

«ابراهيم بن المهدى»

خير الجلساء



كلما رأيت مكتبة تفلس أو قاعة قراءة تغلق أبوابها .. قلت : إن هذه هزيمة للروح .

«ديهاميل»

إن من يخدم الكتاب يخدم العقل ومن يخدم العقل يخدم العالم

«إرنست فون فلدنبروخ»

المكتبة هى الذاكرة الوحيدة المستمرة للفكر الانسانى .

«شوبنهور»

أيها الطفل ..
لا تلق بهذا الكتاب هنا وهناك .
امتنع عن ذلك السرور غير المقدس الذى تشعر به .
وأنت تقطع جميع الصور .
احفظه كأنه أعظم كنوزك .

«هيلير بيلوك»

إننا لا نزال أمة أمية ننظر الى الكتاب نظرة المتعظم الخائف المتقنع العازف . ومادمنا لا نرى الكتاب ضرورة للروح ، كما نرى الرغيف ضرورة للبدن .. فنحن مع الخليقة الدنيا على هامش العيش ، أو على سطح الوجود !

«أحمد حسن الزيات»
مجلة الرسالة عام ١٩٣٧

كلمـــات

● إن أكبر جانب من توازننا وسعادتنا موصول بالغفلة واللامبالاة .
● المروءة أن لا تفعل فى السر ما تستحى منه فى العلانية .
● ينظر الناس فلا يبصرون . أما الفنان فقد يبصر دون أن ينظر .
● من دعاء لبعضهم : «أذاقك الله حلاوة السجود للرب .. وبشع اليك الركوع للعبد»
● ما أقرب الناس الى بعضهم بعضاً لولا حجاب الظن والشك ، وتبذل معدن الكلام والرهبة من الألم ، كما لو كان بوسع الحياة أن تعرى من الألم !
● ما أنبل الشعار : أن تجعل من الأمل ديناً ومن الثقة بالنفس ايماناً .
● تباركت الغربة على ما فيها من ضيق وقلق ، وأسى وتمزق . لولاها لما عرفنا بعضاً من حقيقة أنفسنا ، ومكان أوطاننا منا ، ومدى تأصل البشرية فينا .
● ما الحياة ـ بالنظر الى ما فينا من قوى هائلة سجينة وأشواق لاهفة ظمأى ـ إلا فرصة جميلة ضائعة .

«البشير المجذوب»

الحق والعدل والتناسق



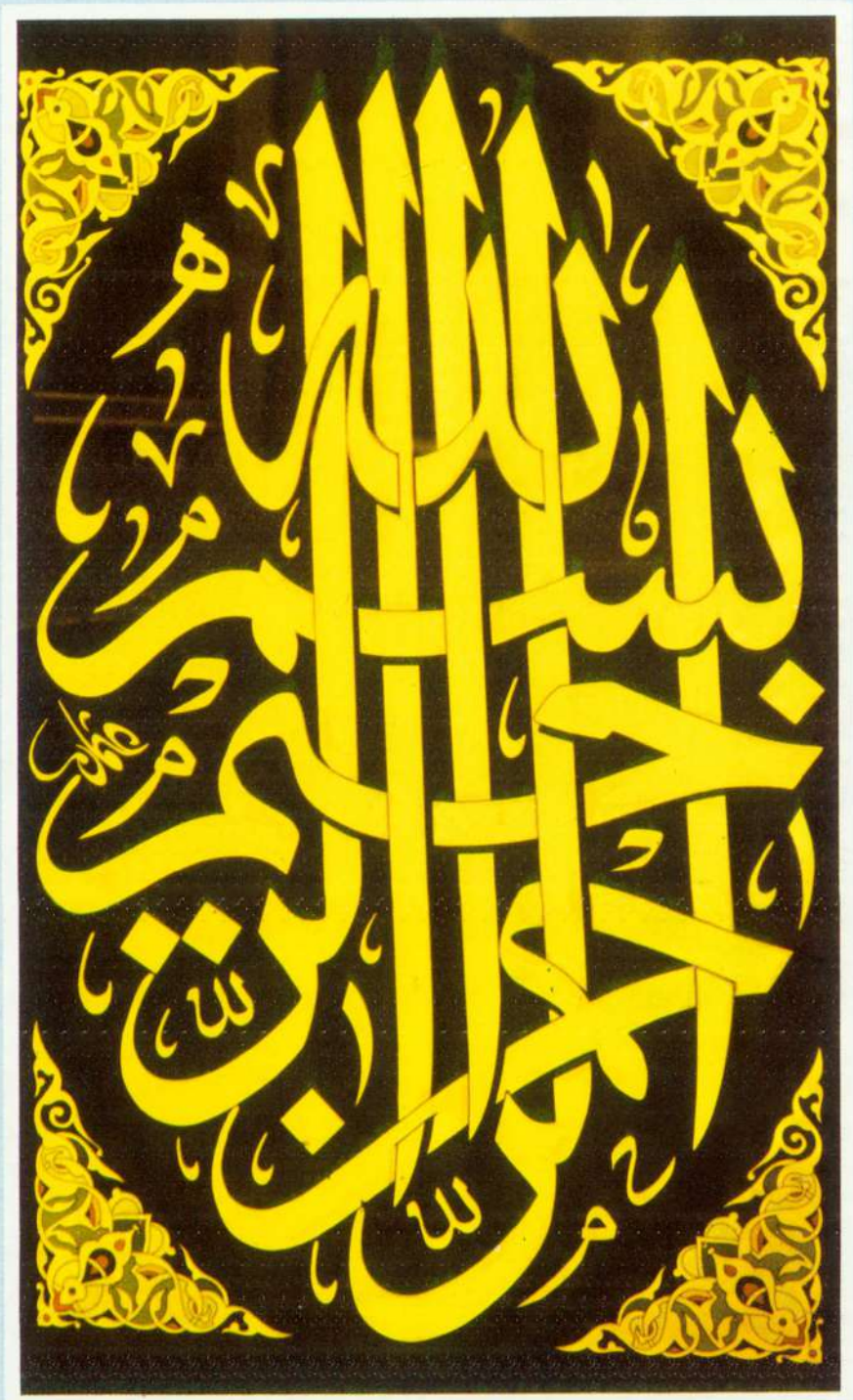
● معروف أن للشعراء ، ولكل الفنانين عموماً ، طبعاً سريع الاثارة الا أن سبب هذا المزاج الخاص يبدو مجهولا . إن الفنان ليس فناناً إلا بشعوره المرهف بالجمال الذى يصبح هكذا نبع متع بالنسبة اليه . إلا أن هذا الواقع يستتبع حساً بالبشاعة وانعدام التناسق لا يقل رهافة . لذا فان إساءة أو ظلماً يلحقان بشاعر يثيرانه الى درجة يمكن أن تثير النفوس العادية . أبداً لا يرى الشعراء ظلماً حيث لا يوجد ظلم ، لكنهم يكتشفونه غالباً حيث لا تراه النفوس المبتذلة . إن سرعة غضب الشعراء ليست إذن مزاجاً بالمعنى المبتذل للكلمة ، لكن فقط حدة ذهن رفيعة حيال الشر . ينجم ذلك عن كون الشاعر يحس بقوة بالحق .. والعدل .. والتناسق .

«إدجار ألان بو»

الحرف واللون في تشكيلات بديعة

في معرض الخط العربي بالدوحة

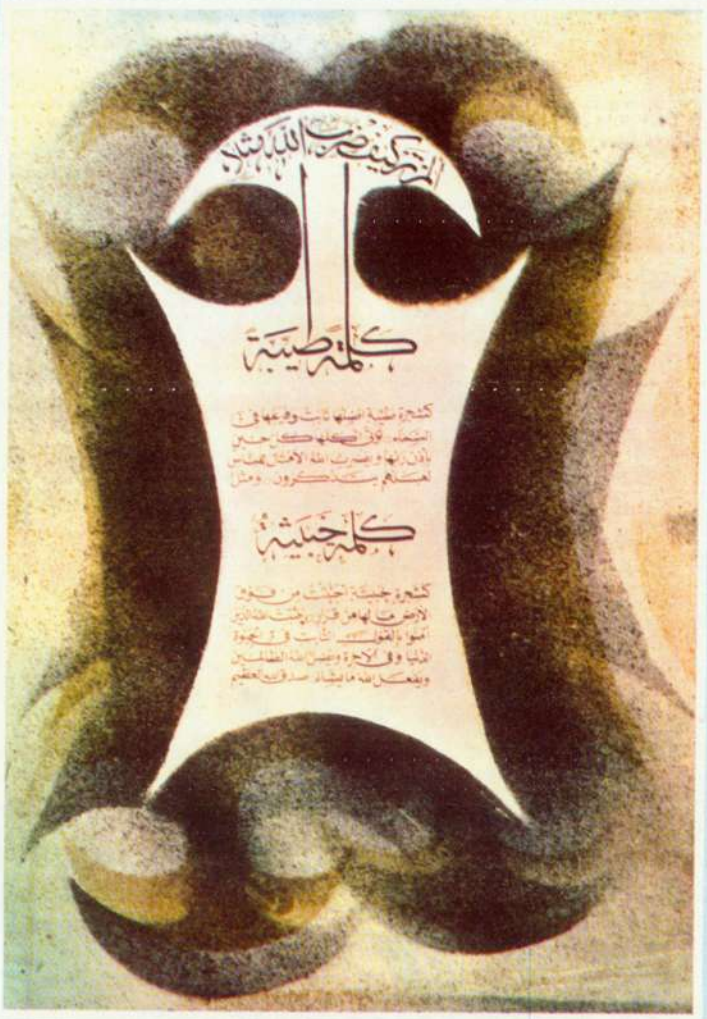
الغمري عقل



« بسملة » بخط الثلث للفنان عثمان حامد

- سياحة شاملة بين ألوان وأنواع الخطوط بأساليب مختلفة
- قدرة الخطاطين على استخدام الحرف العربي واللون في تشكيلات بديعة
- جاء المعرض فرصة للهواة من الشباب للإسهام بإنتاجهم .. فظهرت مواهب تبشر بالمستقبل





لوحتان الأولى تشكيل من الآيات القرانية للفنان الخطاط محمد السباعى والثانية « فعال لما يريد » تكوين جميل بخط الثلث للفنان عبد الله الجيلى .

الحرف واللون في تشكيلات بديعة

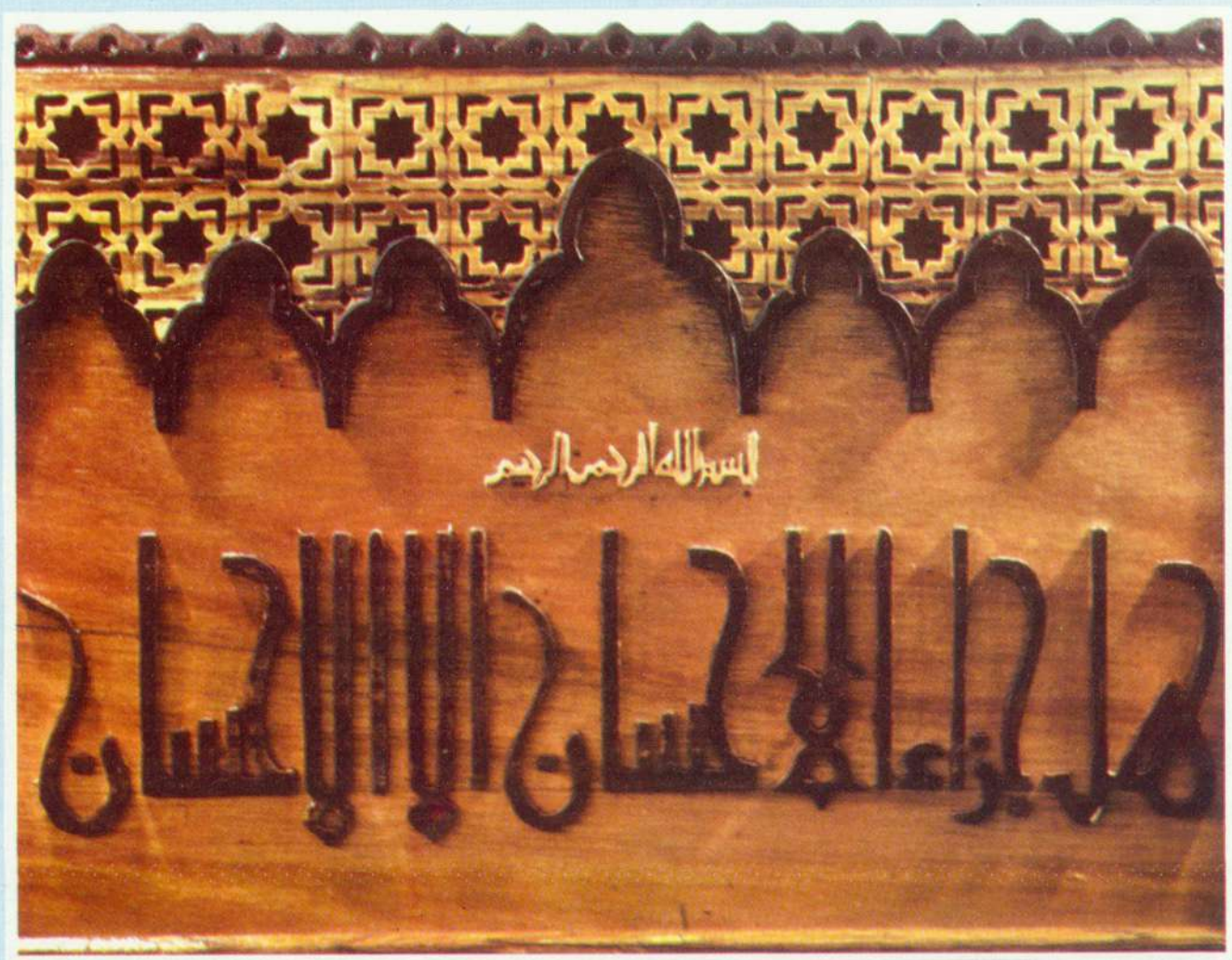
.. وكما هى عادتنا كعرب ومسلمين أن نهمل كل جميل وأصيل فى حياتنا ونطمس كل معالم تفردنا وتميزنا حضاريا وثقافياً ، فقد أهملنا وأسدلنا ستار النسيان على إحدى العلامات البارزة فى حياتنا .. نسينا الخط العربى ذلك الفن العربى الاسلامى الذى يعتبر قمة الابداع الفنى للفنان العربى فى ظل الحضارة الاسلامية .

فبعد أن جاء الاسلام بقوانينه وتعاليمه الجديدة وحرم الرسم التشخيصى وعمل التماثيل وكل مايدور فى هذا المضمار من فنون ، اتجه الفنان المسلم وجهة أخرى وأفرغ طاقته الابداعية فى تجميل الحرف العربي والكلمة والجملة ، وصب ذلك فى اشكال وتركيبات بديعة ، ووصل فى ذلك الى درجة عالية من الكمال والجمال ، وأحاط لوحاته برسوم مجردة عبارة عن تكويناتٍ زخرفية وحداتها الأشكال الهندسية وأوراق الأشجار وفروعها .

وكان التوجه والهدف دينياً خالصاً بلغ حد التصوف ، فقد جعل الفنان المسلم طريقته ووسيلته الى الله عن طريق إجادة الخطوط وتسخيرها لخدمة القرآن الكريم والسنة ، وقد حفظ لنا التاريخ مخطوطات رائعة بالغة الدقة والجمال للمصحف الشريف ، قام بكتابتها وزخرفتها فنانون كبار وهبوا حياتهم وفنهم وجهدهم كله لخدمة الدين فجاء عطاؤهم بلا حدود .

وانك لتقف حائرا أمام الآثار الخطية والزخرفية التى خلفها لنا الفنانون المسلمون الأوائل وتعجب كيف وصلوا الى هذه الدرجة من الاتقان والروعة .. وكيف أننا وبعد مرور سنوات طوال كان المفروض خلالها أن يتطور هذا الفن ، أو على الأقل يبقى على مستواه الرفيع الذى وصل إليه ، كيف أننا تخلفنا فى هذا المضمار وتقهقرنا ووصل بنا الأمر حد الأهمال ؟! .

هذه الخواطر جالت بفكرى وأنا فى طريقى لحضور معرض الخط العربى الأول الذى يقيمه نادى الجسرة الثقافى بالدوحة ، فأن يكون فى الدوحة ناد ثقافى





وأن يهتم الشباب المثقف فى هذا النادى ويفكر فى اقامة معرض للخط العربى ، شىء يدعو الى التفاؤل ويثير كثيرا من الافكار .

التفاؤل بالشباب العربى المثقف الذى يبحث بوعى عن أصوله الحضارية ويسلط ضوءا كاشفا على ثقافاته وفنونه بالشباب الذى يضيف الى اهتماماته ونشاطاته المعروفة من رياضة وألوان التسلية الأخرى بعداً جديداً هو الاهتمام بما يثقف العقل ويخاطب الوجدان ويرهف الاحساس والشعور .

لوحتان من الخشب المحفور بمنشار « الأركت » للفنان الهاوى المهندس سيد عبد العظيم .
الأولى:«هل جزاء الاحسان إلا الاحسان»
والثانية :جزء من لوحة كبيرة استوعبت أسماء الله الحسنى يتوسطها لفظ الجلالة .

يوم مثير

اليوم الأول للمعرض ـ يوم الافتتاح ـ كان يوماً مثيرا ، القاعة غاصة بالحاضرين ، بينهم عدد كبير من المسئولين والمهتمين بالثقافة والفنون بالدوحة ، ومندوبون عن الصحف والمجلات وأجهزة الأعلام الأخرى .

ولكن هل سيشهد المعرض إقبالا جماهيريا فى الأيام التالية ؟ هذا هو الأمل .

المعرض يعتبر سياحة فنية ممتعة ومفيدة بين أنواع وألوان الخطوط المختلفة ، وكل لوحة من اللوحات قطعة فنية مكتملة لها جوانب الجمال الخاصة والمميزة ، وتستحق وقفة تأمل ودراسة لهذه الجوانب ، من اختيار لنوع الخط وتناسق الألوان وانسجامها ، وما يجمع كل ذلك من دقة وبراعة فى التنفيذ .

اشترك بالمعرض عدد من فنانى الخط العربى المحترفين هم :
عثمان حامد ، عبد الله النور الجيلى ، حسنى متولى ، محمد الأمين محجوب السباعى ، والغمرى عقل .

واشترك بالمعرض أيضاً خطاط هاو يقف بأعماله الى جانب الخطاطين المحترفين هو المهندس سيد عبد العظيم الذى ساهم فى إثراء المعرض بلوحاته الخشبية المحفورة يدوياً بمنشار «الأركت» مستخدما ومستفيدا من ألوان الخشب الطبيعية وبالحرق أحياناً فى الأماكن التى يريد إبرازها بشكل مختلف ولوحاته جميلة تلفت النظر بدقتها والجهد الكبير والزمن الذى تستغرقه كل لوحة حتى تكتمل ، والهواية المتأصلة فى نفس هذا الفنان هى التى تجعله يستمر فى العمل مدة سبعة شهور ليقدم لنا فى

الحرف واللون في تشكيلات بديعة



لوحة بخط الثلث للخطاط الغمرى عقل .



وتشكيل جميل بالالوان لجملة «الله اكبر» للفنان الخطاط حسنى متولى .



لفظ الجلالة للفنانة الهاوية وفاء احمد الحمد

النهاية لوحته الكبيرة التى استوعبت أسماء الله الحسنى كلها .

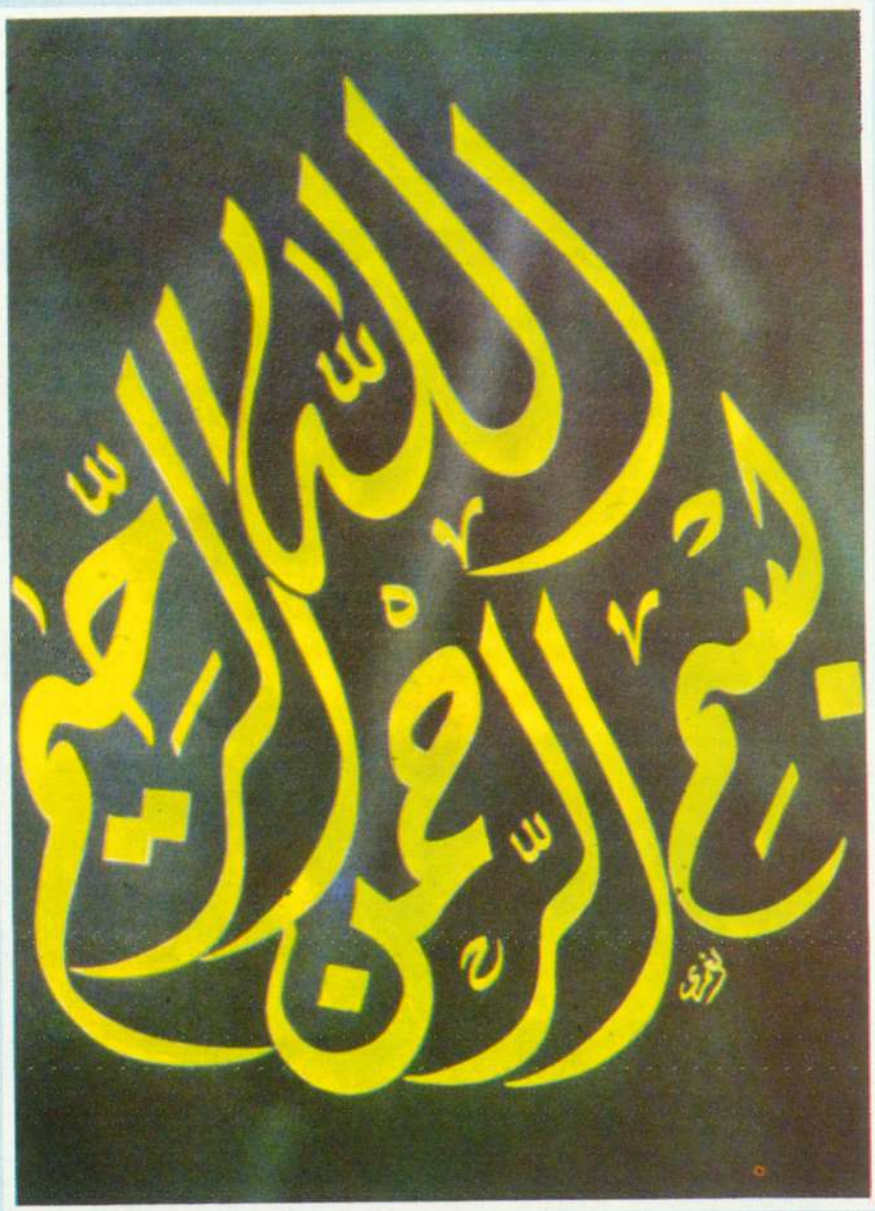
والمعرض فى مجمله تحفة فنية رائعة وكثير من اللوحات بلغ حدا كبيرا من الروعة والجمال ، وتميز كل فنان من العارضين بأسلوبه الخاص فى كتابة الخط وطريقة التنفيذ .

● عثمان حامد .. إلى جانب خطوطه الممتازة تميز بانتاجه الغزير الذى يغطى كل أنواع الخطوط تقريباً من الكوفى القديم ، والكوفى المزخرف ، والثلث ، والديوانى ، والتعليق «الفارسى» ، والرقعة والنسخ ، وقد جال الفنان عثمان حامد بفرشاته وقلمه بأساليب وطرق متعددة ليقدم لنا مجموعة من اللوحات ما بين مخطوط ومطبوع ومنفذ على الزجاج أو الخشب .

● حسنى متولى : استخدم لفظ الجلالة فى تشكيلات بديعة وقدم لوحات من الكوفى المعقود والمتشابك يظهر من خلالها تناسق الشكل مستفيداً من امكانية التشكيل التى يتيحها له الخط الكوفى بواسطة تقابل الحروف المتماثلة وتشابك الألفات واللامات . واشترك الفنان الخطاط حسنى متولى فى عدة معارض سابقة ، واقام معرضاً خاصاً للخط العربى فى باريس كان فرصة لألتقاء الأوروبى بالخط العربى كفن تشكيلى والتعريف بتاريخ هذا الفن الجميل .

● عبد الله النور الجيلى : فنان متمكن أثرى المعرض بلوحاته ذات المستوى الممتاز ، وقدم لوحات خطية جميلة ، وله تجارب تلفت النظر وتثير الاهتمام فى عمل لوحات « الأركت » من الخشب والبلاستيك . وهو بارع فى استخدام بعض الكلمات أو الجمل معكوسة ومتقابلة ، ومن بدايات الحروف ونهاياتها المتشابهة والمتداخلة تتكون أشكال زخرفية جميلة هى فى الاساس خط جميل .

وللجيلى خبرة سابقة فى مجال العرض فقد أقام معرضه الأول للخط العربى بالسودان علم ١٩٧٤م .



ونسملة بالخط الديوانى للخطاط الغمرى عقل .

● وفى سلاسة وعذوبة وتناسق وانسجام فى الألوان قدم الفنان الخطاط محمد الأمين السباعى لوحاته الخطية مستخدماً الحروف والكلمات فى عمل تشكيلات غاية فى الجمال .. وما قدمه السباعى للمعرض جهد كبير يستعد به لاقامة معرض مستقل خاص بانتاجه .

● واشترك الغمرى عقل ببعض اللوحات من خط الثلث والديوانى والتعليق « الفارسى » .

● وإلى جانب الهاوى المهندس سيد عبد العظيم الذى بهر الجمهور بأعماله الفنية من لوحات « الأركت » ظهرت موهبتان شابتان تبشران بمستقبل إذا صقلا موهبتهما بالدراسة والتدريب . هاتان الموهبتان هما : الطالبة وفاء أحمد الحمد والطالب سلمح عبد العال .

بقيت هذه الخواطر

وفى النهاية اتوجه بكلمة شكر عميقة الى كل من فكر أو ساهم بجهده فى إخراج هذا المعرض الى النور وإلى رئيس نادى الجسرة الثقافى وأعضائه من الشباب المثقف الذين أتاحوا لنا فرصة هذا اللقاء الفنى الخصب والممتع والمفيد .

بقيت بعض الأفكار التى أثارها هذا المعرض فى ذهنى ، وهى جميعاً تتصل بفن الخط وكيف نحافظ عليه ولا نتركه يضيع ، وكيف نطوره ونوليه من العناية والاهتمام ما يجعله يحتل مكانه بين سائر الفنون ، وفى هذا المجال أقدم بعض المقترحات :

أولا : يجب جمع وتدوين كل تراث الخطاطين الأوائل وطبعه فى كتيبات تكون فى متناول محبي هذا الفن ومتذوقيه ودارسيه ، وبذلك نحفظها من الضياع والاندثار .

ثانيا : إقامة معارض دائمة للخط فى كل وطن عربى باحدى قاعات العرض أو فى مكتبة من المكتبات العامة لتوعية الناس بقيمة هذا الفن العربى الأصيل ، والارتقاء بمستوى تذوقهم الفنى ، فمن الغريب أن العرب عامة والمثقفين خاصة لا يستطيع أحد منهم أن يفرق بين أنواع الخطوط ، أو يميز بين الجيد والردىء منها ، بينما يستطيع نفس الشخص أن يفلسف ويحلل لوحة تشكيلية ويكتب فى تقييمها الصفحات الطوال .

ثالثا : العمل على إنشاء مدارس لتحسين الخطوط أو تخصيص أقسام للخطوط بكليات الفنون الجميلة كما هو متبع فى كلية الفنون الجميلة بالخرطوم وهى الكلية الفنية الوحيدة ـ فيما أعلم ـ التى تخصص قسماً بها لدراسة الخط العربى .

رابعا : الاهتمام بتدريس الخط العربى فى المراحل الدراسية الأولى وإعطاؤه نفس الأهمية التى تعطى لباقى المواد ، ولا يخفى ما فى هذا الأمر من فائدة كبيرة ـ الى جانب الفائدة الفنية ـ هى تعويد الصغار منذ بداية حياتهم طريقة الكتابة الصحيحة .

خامسا : أن يعود الى حياتنا التقليد الجميل الذى كان يهتم به أجدادنا وتكون اللوحة الخطية جنباً الى جنب مع اللوحة التشكيلية على جدران منازلنا ومكاتبنا ودور الخدمة العامة .

ولعلنا بذلك نكون قد أدينا بعض الواجب علينا نحو فننا العربى الأصيل الجميل ، فن الخط ، وبدأنا بداية صحيحة للاهتمام به والعمل على نشره والارتقاء بمستواه ، واتحنا الفرصة كاملة للفنانين الموهوبين من الخطاطين أن يثروا حياتنا الفنية بما يقدمونه من فن جميـــل .

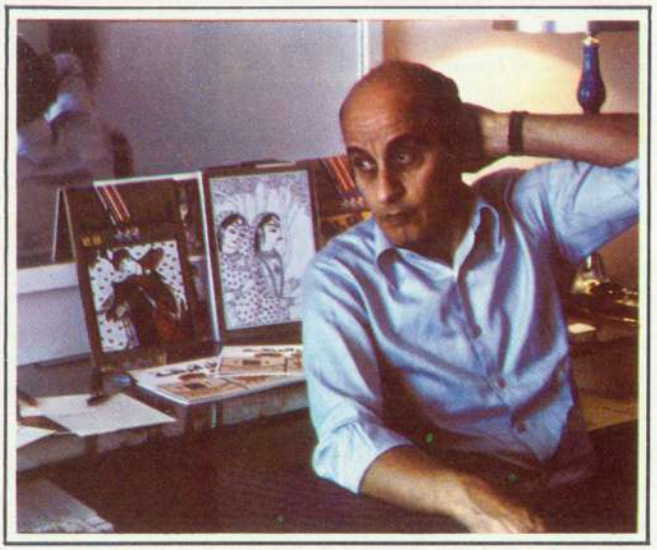
الغمـرى عقل

كمال سعد

لقاء مع الفنان حلمي التوني

واتجاه أصيل في الرسم للأطفال





الفنان حلمى التونى .. رحلة مع ثقافة الطفل



لأول مرة نرى الفن الاسلامى فى كتب الأطفال

كيف نربط الطفل العربي بتراثه ونحمي عقله من الثقافات الوافدة ؟

من الكلمات التى مازالت عالقة فى ذهنى ، تلك التى قالها الأديب العالمى «دستويفسكى» من واقع خوفه على كل طفل فى العالم : «أحب الأطفال بوجه خاص لإنهم أبرار وبلا خطيئة مثل الملائكة .. إنهم سبب سعادتنا ونقاء قلوبنا .. اللعنة على من تهفو نفسه الى أذى طفل» ..

فمن العبارة نرى أن الأديب العالمى لم يكتف باعلان حبه للاطفال ، بل رنا ببصره نحو السماء لتصب لعنتها على هؤلاء الذين يلوثون روح الطفل وعاطفته وعقله أيضاً !

وهذه العبارة بما فيها من احساس عذب نقى ، تذكرنا بأطفالنا الذين يولدون فى الحياة ولا يجدون من يأخذبأيديهم سواء فى المدرسة أو الشارع أو البيت أو حتى فى المؤسسات الثقافية التى مازالت – رغم جهودها – عاجزة عن العثور على الطريق الصحيح لتربية الطفل وتشكيل ثقافته فى عالم اليوم ..

ولأن طفلنا فى هذا العالم الكبير من حوله يواجه قدره ومستقبله ومصيره .. وحيداً .. حائراً .. ضارباً على غير هدى فى كل اتجاه .. كان اهتمامى دائماً بهؤلاء الذين يكتبون ويرسمون للصغار .. وفى مقدمتهم الفنان التشكيلى المعروف حلمى التونى الذى يضع نصب عينيه فى كل أعماله للطفل أن ينمى ميله للقراءة وتذوق الأدب والجمال ، ويعطيه دائماً رصيداً من المعلومات واللغة التشكيلية التى تأخذ بيده فى مرحلة الطفولة وتربطه بتراثه وحضارته العربية

لون وتعلم

هُدهُد سليمان

عليه السلام





قصص القرآن الكريم للفتيان والفتيات وأسلوب أصيل فى الرسم

لماذا أهملنا الفنون الإسلامية وبالغنا في الاهتمام بفنون الغرب ؟

الأصيلة ، حامية له ولعقله البكر من أية تأثيرات وافدة تحول بينه وبين أن ينهل من نبعه الحقيقى المليء بالفضائل والقيم والمثل والفن الرفيع ..

المنبع : كنز الحضارة

والفنان حلمى التونى بدأ رحلته قبل تخرجه من كلية الفنون الجميلة فى القاهرة عام ١٩٥٨ ، ومارس العمل الفنى فى الصحافة وتولى مسئولية الأشراف الفنى فى مجلة المصور عام ١٩٦٠ ، ثم تولى مسئولية المدير الفنى لمجلات دار الهلال حتى عام ١٩٧٣ ، حيث انتقل الى الاقامة فى بيروت ليساهم فى تصميم وإصدار عدة مجلات وصحف جديدة فى مختلف الأقطار العربية ..

وقد عمل فى الرسم لمجلات الأطفال وكتب الأطفال منذ التخرج ، وعمل فى التصميم الفنى لمسرحيات العرائس ، وتخصص لفترة طويلة فى تصميم ورسم أغلفة الكتب ، حيث قام بتصميم ما يزيد على ١٥٠٠ كتاب حتى اليوم ، كما قام بتصميم ورسم عدد من الملصقات لبعض منظمات الأمم المتحدة ، وفاز بعدة جوائز أولى فى مسابقات عربية لتصميم الملصقات ، وهذا بخلاف مشاركته بلوحاته الفنية فى عدد من المعارض العربية والدولية .. وهو بعد ذلك المشوار الطويل المليء بسنوات من الكفاح والعرق ، يتولى بجانب نشاطاته الفنية المتعددة مهام المشرف الفنى لدار الشروق للنشر والخبير الفنى والمستشار لعدة مؤسسات ثقافية ..



لوحات من الفن الاسلامى، ورسم للتلوين ، محاولة لتعريف صغارنا بتراثهم وحضارتهم .





وحلمى التونى فى رحلته الجديدة التى نراها أمامنا ، يركز على أصالة الفن وعلى ضرورة المساهمة فى تقديم الكتب التى تؤكد هوية الطفل العربى ، والتى لا تكتفى بأن تسد الفراغ الفنى الذى يعانى منه الكبار والصغار على حد سواء .. واتجاهه الى الأطفال ينبع من إيمانه بأن كل جهد يوجه نحو عالم الطفولة ، إنما هو استثمار جيد وواجب من أجل ضمان مستقبل أفضل لأبناء هذه الأمة ، فهو يعتبر أن العمل من أجل الطفل عمل استراتيجى ، يجب ألا يقتصر فقط على سد جوع الطفل للمعرفة والثقافة بأى شكل من الأشكال ، وإنما



ملكة سبأ على عرشها .. من قصة هدهد سليمان

يجب أن نملأ عقول الصغار بمعرفة أصيلة وثقافة عربية نابعة من ذلك الكنز الهائل الذى تركته لنا الحضارة الاسلامية والذى مازال مهملا ومجهولا

وبداية فان الاتجاه الجديد الذى يقدمه الفنان حلمى التونى للأطفال ، يلخصه فى أن هناك انقطاعاً تاماً بين المواطن فى بلادنا وبين تراثه وحضارته ، فاذا سألت أى مواطن متعلم عندنا عن معرفته بواحد من مشاهير الفن العالميين مثل بيكاسو ، لكانت اجابته فى أغلب الأحوال : نعم .. ولو قلت له هل تعرف رينوار ؟ لأجاب بأنه سمع عنه .. وهل سمعت عن ليوناردو دافنشى ؟ .. طبعاً وأعرف أيضاً لوحته الشهيرة الجيوكندا .. وربما أضاف أيضاً على اجابة السؤال الأخير : ولدي نسخة من هذه اللوحة الشهيرة فى صالة منزلى !

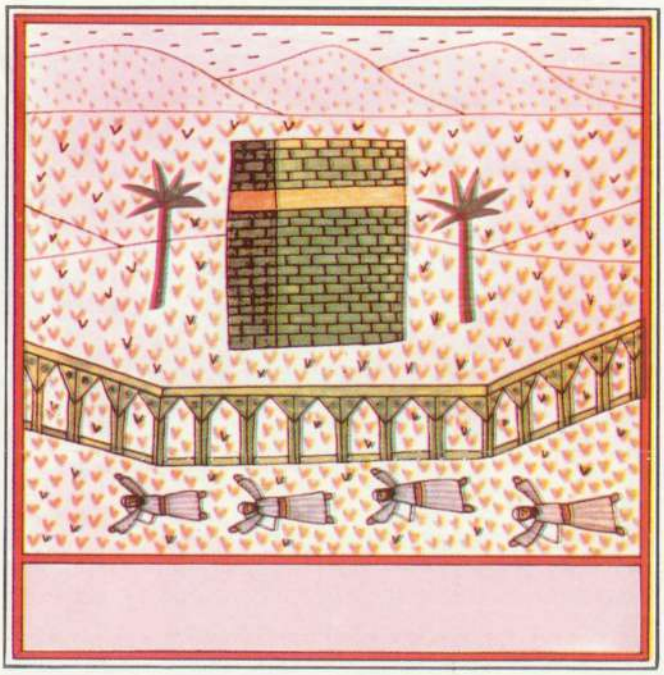
إن نفس ذلك المواطن الذى على دراية بالفن الغربى ومشاهير الفنانين العالميين لو رأى كنزاً من الكنوز الفنية الاسلامية ملقى فى الطريق العام ، فأغلب الظن أنه لن يعيره أى اهتمام ، لأنه لم يره من قبل ، وربما داس عليه بقدميه دون أن يدرك قيمته ودون الشعور بأنه يدوس على ماضيه وأصله وتراثه !

وذلك يحدث فى نفس الوقت الذى نجد فيه أن تصاوير المخطوطات العربية الشهيرة ، والتى تسمى فى عالم الفنون بالمنمنمات لصغر حجمها ـ وهى الشكل الوحيد تقريباً لفن التصوير الاسلامى ـ تعتبر اليوم من كنوز الفن فى العالم ، ولا يخلو متحف هام فى أى بلد من بلاد العالم منها أو من قسم خاص لعرض هذه الآثار الفنية الهامة والنفيسة !

ومعنى ذلك باختصار أننا أمام مأساة لم تحدث لأية أمة من أمم العالم كله .. إذن ما الحل ؟

قصص القرآن

لا حل أمامنا ـ كما يرى الفنان حلمى





التونى ـ إلا أن نبدأ بالطفل ، فمن المؤكد أن الطفل الايطالى تعطى له الفرصة كاملة لمعرفة آثار عصر النهضة الأوربية وفنون آثار روما القديمة ، وكذلك الطفل اليونانى يعلمونه كيف يميز فنون الحضارة الاغريقية عن غيرها ، ومعظم أطفال العالم على هذا الحال ، بينما يفاجأ أطفالنا بأن كل ما يقدم لهم لا صلة له بماضينا أو حضارتنا ، وهذا هو العجز الذى يجب أن ننتبه الى خطورته!

وأقول للفنان حلمى التونى : إذن كيف نبدأ بداية حقيقية لربط الطفل بتراثه وحضارته الاسلامية ؟

ويقول : الاجابة على هذا السؤال هى التى دفعتنى الى التفكير فى عمل شىء ولو متواضع لمحاولة سد هذا النقص بقدر استطاعتى المحدودة ، وحتى تألف عيون المواطن منذ طفولته فنوننا الاسلامية ، لذلك فكرت فى عمل سلسلة كتب باسم «المنمنمات» وهو اسم غير مألوف ، محاولا الاستفادة من شغف الفتيات والفتيان بالتلوين ، وقدمت لهم نماذج من فن التصوير الاسلامى المعروف بفن المنمنمات بدلا من كتب التلوين الأجنبية التى تقدم أشكالا غريبة عن بيئة الطفل وعالمه الأصيل .. وراعيت أثناء اختيار لوحات كل كتاب أن تكون على قدر من البساطة وأن تكون مختارة من مختلف الأقطار والبلاد الاسلامية حتى تتمثل فيها مختلف

كتاب الطفل سلاح خطير يجب ألا يترك فى يد الطامعين !

أغلب مشاهير الكتاب العرب يعتبر الكتابة للطفل شيئاً تافهاً لا يليق بمقامهم !

أساليب الفن الاسلامى ، وأن تصور هذه الرسوم مختلف الأنشطة كالحدائق والفروسية والحياة اليومية بما فيها الفلاحة والعلوم .. وكل هذه اللوحات اخترتها من مخطوطات قديمة وشهيرة وذات قيمة نادرة ثم أعدت رسمها بخطوط الأبيض والأسود مع تقديم نموذج للتلوين مع كل صورة ، وحرصت على وضع قدر من المعلومات تحت كل لوحة لأثير فضول الطفل فى معرفة المزيد عن حضارته ..

● ولكن لماذا اخترت أسلوب التلوين بدلا من تقديم الصور الجاهزة ؟

ـ لأن هذا هو الأسلوب الأمثل فى تثقيف الطفل وتعليمه .. إذ أنه من المعروف أن من أهم طرق التعليم هو مشاركة الطفل فى النشاط المطلوب ايصاله أو تعليمه ، فهناك فارق بين سماع الموسيقى ومحاولة عزفها .. العزف مشاركة فى العمل الفنى تسهل وتفتح الأبواب أمام المتلقى لكى يكتشف مواطن الجمال فى الموسيقى بصورة أفضل !

● وهل هذه هى المجموعة الوحيدة التى قدمتها فى المجال الاسلامى ؟

ـ قدمت سلسلة أخرى من الكتب للأطفال وهى أيضاً بعنوان «لون وتعلم» ومن قصص القرآن ، وأخرجت منها حتى الآن «سفينة نوح» . و «هدهد سليمان» و «فيل أبرهة» أى أن السلسلة مختارة من قصص الآيات الكريمة التى تثير خيال الطفل لاحتوائها على حيوانات وطيور .. كما أن هذه القصص مكتوبة بشكل بسيط ومراعى فيها عدم الوقوع فى المحاذير المتعلقة بتصوير الشخصيات الدينية .. وقد راعيت أثناء رسمها عدم اللجوء الى الأساليب الغربية فى الرسم مثل أساليب والت ديزنى وخلافه ، واعتمدت على أسلوب مستوحى من الفنون الاسلامية وأيضاً الفنون الشعبية ، لايمانى بأن هذه الأشكال موجودة ومستقرة فى وجدان المواطن المسلم العربى ، وأنه بتكرارها أمامه نوقظ فيه الوجدان الحقيقى والحس الأصيل ونقيم جسراً من الألفة والتعارف بينه وبين حضارته الاسلامية العظيمة !

أزمة المؤلفين

وتقودنا فكرة الفنان حلمى التونى



الفيل ، والكعبة ، والطير الأبابيل .. ثلاث لوحات من كتاب «فيل ابرهة» فى القران الكريم ، قصص عظيمة ورؤية فنية يجب أن يتعرف عليها فتياتنا وفتياتنا

لتقديم فنون الحضارة الاسلامية للطفل ، الى الحديث عن أزمة كتاب الطفل ، خاصة وأنه حتى سنوات قليلة كان هناك اهمال غريب لهذا الجانب الهام ..

ويقول حلمى التونى انه فى كل مناسبة نادى بضرورة انتاج كتب عربية واسلامية أصيلة للطفل ، حتى نشأت دار الفتى العربى وقدمت كتباً عربية أصيلة تقف فى وجه الكتب الأجنبية البعيدة تماماً عن حياة طفلنا ، وكان لنجاح كتب الفتى العربى صدى هام وكبير تنبه له الناشرون ، فأصبح كل واحد منهم يسابق الآخر فى انتاج مثل هذه الكتب ، وبالطبع أدى هذا السباق الى مزالق خطيرة وسلبيات كثيرة بسبب انطلاق معظم دور النشر من منطلقات تجارية بحتة !

وقد حدث ذلك نتيجة لتقصير معظم أجهزة الحكومات التربوية والتثقيفية عن الدخول فى هذا المجال بوعى وبمسئولية ، فكتاب الطفل سلاح خطير لا يجب أن يترك فى يد الطامعين فى الربح السريع !

● اذن فمازالت الأزمة مستمرة ؟

– وستظل مستمرة لفترة طويلة ، نظراً لأن انقطاعنا الطويل وتغيبنا عن انتاج كتب الأطفال جعلنا لا نملك القاعدة المطلوبة من الكتاب المتخصصين ، خاصة وأن أغلب الذين يكتبون للكبار من المشاهير يعتبرون أن الكتابة للطفل شىء صغير وتافه ولا يليق بمقامهم ، مع أن معظم الكتاب العالميين كتبوا للطفل ولم يأنفوا من ذلك ، فمثلا الكاتب المسرحى الشهير «يوجين يونسكو» ألف ثلاثة كتب للأطفال أثارت ضجة عالمية وثار حولها جدل شديد نظراً للتناول الجريء الذى اتبعه فى كتابة هذه الكتب .. وشاعرنا المعروف أحمد شوقى كتب شعراً للأطفال وأغانى للأطفال .. ونصل من ذلك كله الى أن هناك أزمة فى الكتابة للطفل مما يدعو بعض الناشرين المتلهفين الى السير فى الطريق السهل واصدار الكتب الأجنبية المترجمة .. وهذا بالطبع لا ينصب على دور النشر كلها ، لأن هناك دور قليلة مثل دار الشروق ودار الفتى العربى تهتم بتكوين وتأصيل ثقافة الطفل العربى المسلم على أرضية سليمة !

مشاكل فنون الطفل

وتتوالى أسئلتى على الفنان حلمى التونى وكلها تدور حول ثقافة الطفل وتنمية قدراته بصورة لا تعزله عن ماضيه العريق ، ونصل الى هذه الاجابات أثناء الحوار الذى تناول كل شىء :

● على الحكومات أن تشارك فى تقديم ثقافة الطفل وتعتبرها نوعاً من الخدمات العامة لبناء المستقبل ، ويمكنها أن تتعاون فى ذلك مع دور النشر المتخصصة ذات السمعة الطيبة ، تماماً كما تلجأ الى بيوت الخبرة الأجنبية عندما تشرع فى انشاء مشروع هام .

● اشتراك الدولة فى هذا المجال ، بروح بعيدة عن البيروقراطية ، سيؤدى الى تقديم الكتاب الى الطفل بسعر مقبول ويتمشى مع كافة القدرات الاقتصادية ..

● أكدت احصائيات الأمم المتحدة أن نسبة التعداد العام للصغار فى بلادنا أكثر من نسبة الكبار ، ورغم ذلك نجد نقصاً فى مجلات الأطفال ومبالغة فى اصدار مجلات للكبار .. وهذا من ناحية الكم ، أما من ناحية الكيف فالصورة محزنة لأن معظم هذه المجلات منقولة من نصوص أجنبية ، بل وبعضها ينقل بالحرف والنص عن مجلة أجنبية واحدة ويخاطب طفلنا بنفس المقاييس التى وضعها متخصصون لمخاطبة الطفل فى هذه البلاد الأجنبية !

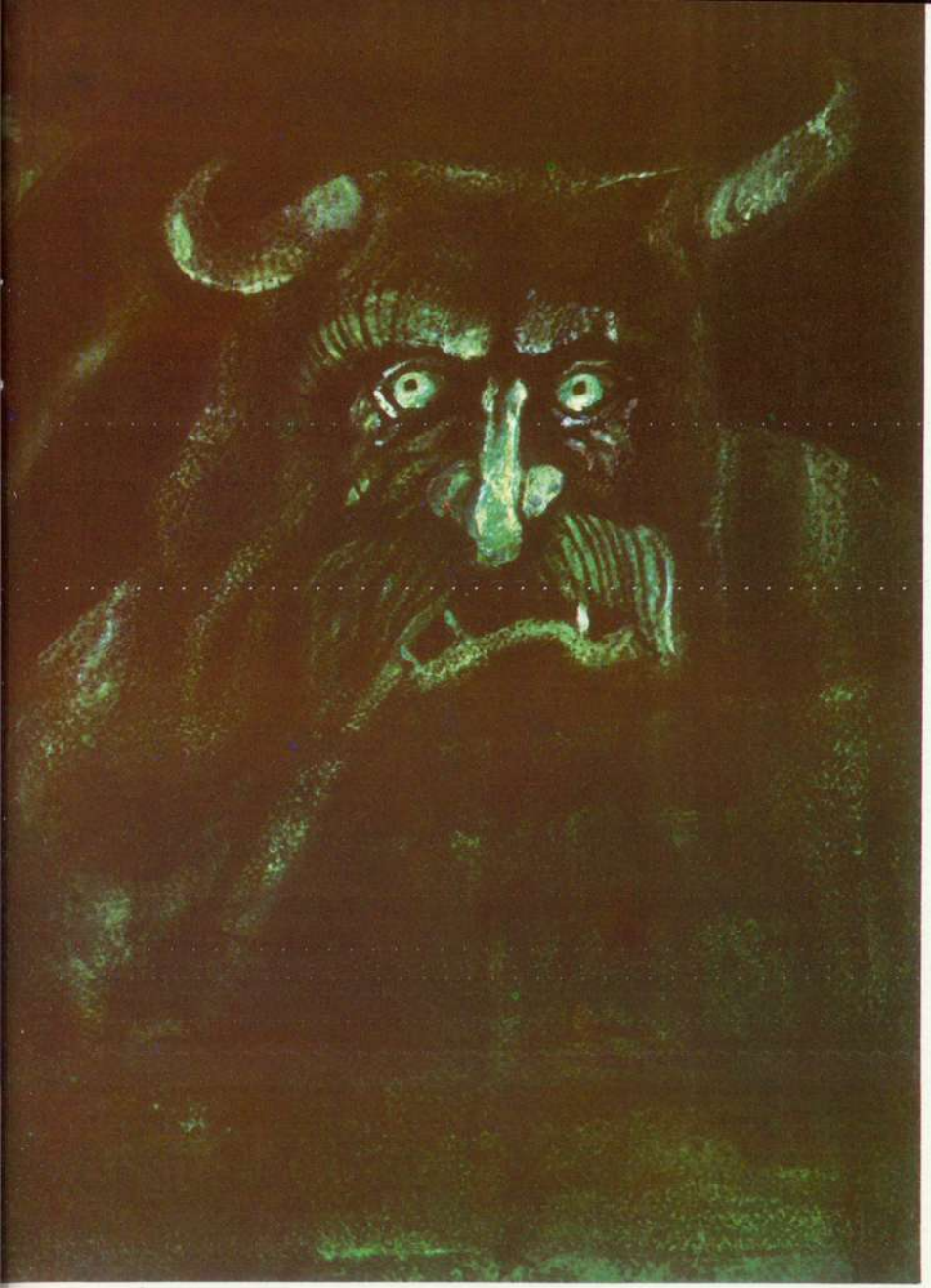
● الانتاج العربى للطفل فى التليفزيون مازال ضعيفاً ، وكل ما يقدم لطفلنا من هذا الجهاز الحساس لا صلة له بواقعنا ، ولن يحل ذلك إلا دخول الحكومات فى الانتاج التليفزيونى واعتباره خدمة من الخدمات الواجبة مثل الرعاية الصحية وتوفير الغذاء !

● مسرح العرائس هو أحد الوسائل الفنية لتقديم ثقافة الطفل والترفيه عنه وتنمية ما يسمى بالتربية الفنية .. ورغم أهميته فانه يعانى اليوم من الانحدار الشديد نظراً لعدم جاذبيته التجارية للمنتج ولحاجته الدائمة لدعم من الدولة ، والملاحظ أن الاهتمام الذى كان قد بدأ لهذا المسرح منذ أكثر من عشر سنوات قد بدأ يفتر ويتقلص ، وهذه ظاهرة تدعونا للأسف والحزن العميق !

● ● ● ● ●

من كل ذلك وغيره ، ندرك أن اللقاء مع الفنان حلمى التونى يجعلنا نتنبه الى حقل هام هو حقل ثقافة الطفل الذى يجب ألا نتركه لتسيطر عليه الثقافة الأجنبية ، فمن العبث أن نتوقع أن يكون مواطن الغد أصيلا ووطنياً ومحباً لبلاده وحضارتها وثقافتها ، ونحن نتركه ونهمله طفلا ، وندعه فريسة لحضارات وثقافات بعيدة عن وجدانه ، تضع حائلا بينه وبين حضارته الاسلامية والعربية بكل ما فيها من كنوز !

كمال سعد



■ قصة قصيرة ■

عبد الله الطوخي

ذو القرنين

وقع « الشيطان » فى حب رسامة جميلة ، فماذا يفعل كي يكسب قلبها ؟ ذهب الى «شيطان الفن» ورجاه باسم الأخوة الشيطانية أن يمنحه موهبة الرسم كي يرسم لها لوحة تدير رأسها ويفتح بها قلبها .. غير أنه فوجىء بشيطان الفن يضحك مقهقهاً ساخراً ويقول : أو تظننى شيطاناً بحق مثلك ؟ لا .. ياذا القرنين .حقاً إن عنصر النار هو الذى يجمع بيننا ، لكنك النار التى تحرق وتدمر . وانا الجذوة التى تضيء وتشع وتلهم . لقد اسمونى شيطاناً من باب التجاوز . من فرط دهشتهم لما أوحى لهم به من روائع . إنما أنا «ملك» (بفتح اللام) ملك عظيم أيها الشيطان .. تذكر هذا ! .

أحنى له الشيطان رأسه خشوعاً وولاء وعاوده رجاءه : اذن فتكرم علي أيها الملك وأعطنى من جذوتك . لسوف تفعل بهذا فعلا عظيماً .. ستقلل من عدد الشياطين شيطانا .. وتزيد من عدد المحبين .. محباً .. عاشقاً ! .

ابتسم الملك وقال له منبهاً : وماذا انت فاعل فى قرنيك ؟ اعلم انك تجيد اخفاءهما ، مثلما انت الآن فاعل . فماذا لو ظهر فجأة فى جبهتك وأنت واقف معها قال الشيطان وهو يدعك جبهته الناعمة اللامعة بشدة : لا .. لن يظهرا بعد اليوم فقد أجتثثتهما من جذريهما . اطمئن . سوف أبدأ بالحب حياة جديدة . فقط امنحنى هذه الموهبة ! .

قال الملك : ولكن لماذا موهبة الرسم بالذات ؟ ألأنها رسامة ، تريد أن تكون رساماً مثلها ؟ إن الناس لا يستهويهم إلا الأشياء التى لا يملكونها .

قال الشيطان بحماس وتوتر : هذا صحيح . فلتعطنى .. ماذا تعطنى ؟ .. آه .. اعطنى موهبة الشعر واصبح شاعرا . الشعر ساحر القلوب الأعظم !

ابتسم الملك ابتسامة ذات مغزى وقال له: اذهب .. فانت شاعر .. ولنرى !

● ●

للحظ كانت الرسامة قد اقامت معرضاً لرسومها فى إحدى صالات العرض المعروفة وسط المدينة ، واليوم يقيمون احتفالا بمناسبة افتتاح معرضها . وعلى الفور رسم خطته وشرع فى تنفيذها : انتظر حتى انتهت كل الكلمات التى قيلت تحية لها ولأعمالها ، ودخل هو مستأذناً .. خجولا .. بقصيدته ، فأحدث جواً رائعاً فى الحفل . ووجدت الرسامة نفسها مندفعة إليه لتشكره ، فقال لها إنه



هو الذى يشكرها .. فهو من زمن كان قد توقف عن قرض الشعر وجف احساسه بالجمال ، واذا بجمال خطوطها وألوانها ، وتعبيراتها ، يفجر فيه النبع الراقد الراكد ، والشعر يخرج منه بلا شعور ! ازداد انفعالها وامسكت بكفيه متأثرة . حينذاك نظر فى عينيها وقال بصوت مرتعش : إن قصيدة أخرى تولد الآن فى قلبى . فهل تتكرم الملهمة العظيمة بسماعها بعد انتهاء الحفل ؟ .

– ولماذا بعد الحفل ؟ تعال بعيدا عن هذه الضجة وأسمعنى اياها !

وخرجـا من صالـة العرض !

● ●

لم تمـض ايام حتى كانت قصة الحب بين الرسامة المشهورة الجميلة ، وهذا الشاعر الموهوب المجهول ، هى حديث أهل الفن .. فهى لم تنس فقط معرضها ، بل نسيت أيضاً اصدقاءها وصديقاتها ! فرح البعض لها ، لأنها وجدت الحب الذى يروى قلبها ، وحزن البعض الآخر لأن هذا الحب جاء على حساب فنها .. وصداقاتها . لكنها لم تكن تشعر بهؤلاء وهؤلاء . كانت تعيش الحب بكل ما تملك من صدق وحنين واشتياق مع هذا الذى يتفجر شعراً من مجرد لمسة من يدها ، أو من نظرة من عينيها . أبهجها هذا الشعور الذى لم تحس به من زمن طويل .. الشعور بالبهجة وحب الحياة .. وأن ثمة طاقات بداخلها تدعوها للجرى وللرقص والانطلاق ، وكأنها ارتدت الى أيام الطفولة : آه .. كم هى الحياة حلوة وجميلة معك ياشاعرى الحبيب !

أما هو ، فكان يمارس مع نفسه نشوة الشعور بالانتصار . لقد استطاع أن يحتويها الى الحد الذى نسيت معه كل شىء .. حتى فنها .. وراحت تتعبد فيه ! .

قال لها : أنت من زمن لم ترسمى . أوحشنى منظرك وأنت ترسمين !

احتضنته بحنان وقالت : سأعود الى الرسم . وسأبدأ بك . سأرسمك .

وبدأت تعد أنواتها بحماس .

بلا وعى ، رفع يده ومر بأصابعه على جبهته ، يطمئن لعدم وجود القرنين ، ثم قال منتشياً سعيدا : هذا مجد عظيم لي .

– أجلس هنا . أمام النافذة . فى الضوء .

ارتعشت اعماقه لكلمة «الضوء» . عاوده الخوف من أن تكشف الأشعة آثارا قديمة خفية لموقع القرنين فقال لها :

– عيناى تتعبان من الضوء .



ذو القرنين

(واستدار بوجهه عن النافذة) ارسمينى فى لوحة يكون عنوانها : الرجل فى الظل

قالت وهى تمسك برأسه وتدير وجههنحو النافذة :

ـ لا .. بل سيكون عنوانها « الحب فى الضوء» . ابق هكذا أرجوك .

جلس وكل وجهه مغمور بالنور . غمست ريشتها فى الوان الزيت وبدأت ترسمه . لكنها فوجئت باحساس غريب ينتابها . كانت تحس أن اصابعها تفتقد خفة الحركة وليونتها وانطلاقها . وجدت نفسها ترسم ببطء . ومشاعرها وهى تختار الألوان غير مؤكدة . أحست بالحزن .. أن يحدث لها ذلك مع أول لوحة ترسمها لحبيبها : يبدو اننى نسيت الرسم . وألقت بالفرشاة جانباً وبدا عليها الاحباط الشديد !

أحس بانزعاج هائل . واستدار سريعاً بوجهه عن الضوء . تراها أحست بشىء ؟ لقد سمع أحد المحتفلين بها يوم افتتاح معرضها يقول عن فنها : « انها لا ترسم ماترى . انها ترسم ماتحس . انها لا تتوقف بريشتها عند بشرة الانسان ، بل تدخل الى أعماقه وتكاد تحس بشرايين دمائه !»

تراها أحست بالقرنين اللذين أخفاهما فى اعمق أعماقه ؟!

قال لها وقد قرر أن يتخلص من حكاية رسمها له : فلنؤجلها عدة ايام .

قالت بحزن ممزوج بالغضب وبالتحدى : لا .. بل عدة ساعات فقط . هيا نخرج ونقابل بعض الأصدقاء والصديقات . ذلك ماسيحرك الريشة والألوان فى يدى . من يوم أن انقطعت عنهم ، وأنا لم أرسم شيئاً ! .

تجهم : أم من يوم أن أحببتنى ؟

ـ ماهذا الذى تقول ؟ أنت ايضاً منذ ان انقطعت عن اصدقائك الذين لم أرهم حتى الآن ، وقصائدك بدأت تقل . الفن يأخذ لهيبه من الاحتكاك بالآخرين !

ـ بدأت تضجرين منى !

ـ لاتقل هذا أرجوك . ،اياك أن أسمعها منك مرة أخرى . أنا أجدد حبى لك بالخروج الى الحياة . عندى اقتراح .

ـ ماذا ؟

ـ أن نزور بعضاً من اصدقائك أنت .. ليس ضروريا أن نزور اصدقائى . واصدقاؤك سوف يصبحون اصدقاء لي . ما رأيك ؟

أحس بضبابة تملأ رأسه .. قال مسرعاً .. راسماً على شفتيه ابتسامة حماس مفاجئة .

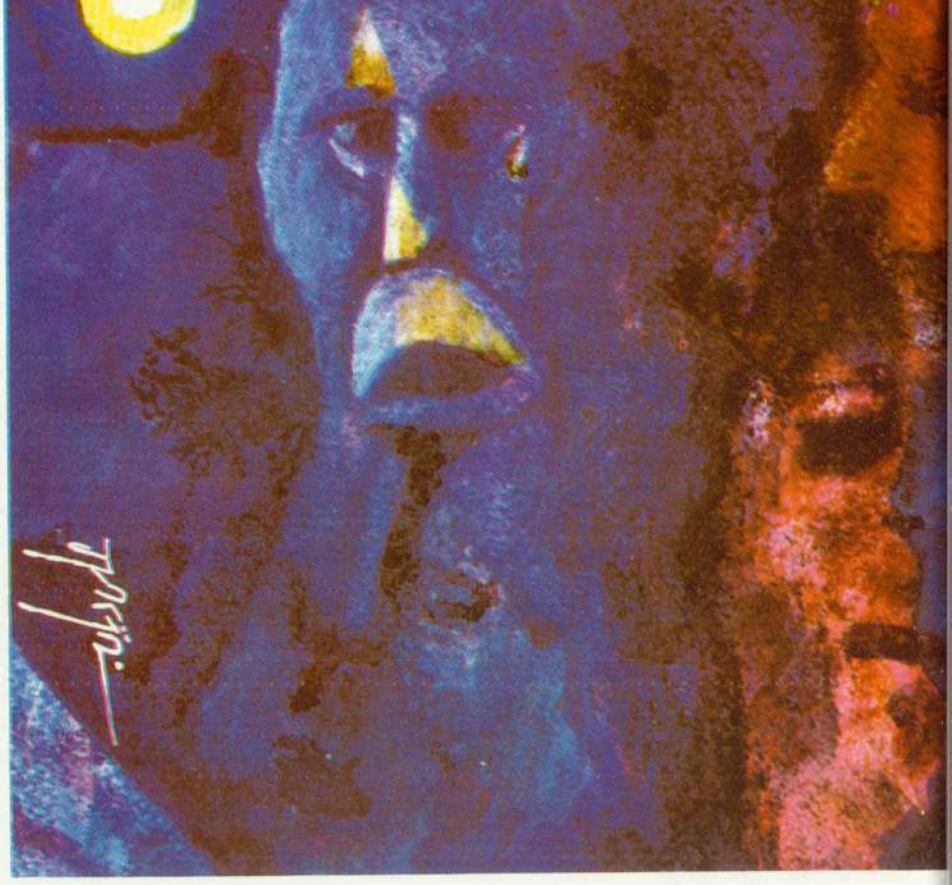
ـ لا أعرف مكاناً الآن لأحد من أصدقائى . فلنزر أصدقاءك أنت !

تهلل وجهها : سنزور استاذى الذى اكتشفنى وقدمنى للحركة الفنية ، لابد أن أعرفك عليه . أنا واثقة أنك ستحبه .

● ●

كان الاستاذ يعيش وحده فى بيته . كتب واوراق ولوحات واضواء هادئة مرسلة من «اباجورات» متناثرة فى الأركان . وحين رآها أول مافتح لهما الباب تندفع فى حضنه وتقبله ، ويقبلها هو ايضاً ، أحس بالغيرة تلسعه ، وبثمة صهد يخرج الى حلقة من جوفه . فرغم أن «الأستاذ» يكبرها بما يقرب من عشرين عاماً إلا أنه بدا له ، بشعره المفضفض الهائش ، وصدره المفتوح ، ووجهه المشع بالثقة والمرح والفرح ، بدا له كثور ضخم

كان يجب أن يعمل حساب وجودى فلا يقبلها أمامي .. حيوان ! .. وتزايد الصهد فى جوفه « هذه العلاقة الحميمة بينهما



يجب أن تنتهى».

وأحس فجأة بالنغز فى جبهته . نغزات أوشكت أن تتحول الى دقات ، فامتلأ بالفزع من أن يندفع القرنان ويظهران أمامها وأمام استاذها .. فأسرع بسحق مشاعره . انه يعلم جيدا أن ظهور القرنين مرتبط بتحرك الكراهية بداخله . رسم على شفتيه ابتسامة واسعة وهى تقدمه الى استاذها ، فسلم عليه بحرارة .. وقبله أيضاً .. ثم لم يلبث أن فوجىء بمجموعة من الأصدقاء والصديقات يأتون الى الاستاذ ويملأون البيت ضجيجاً وضحكاً ومرحاً وليس هذا فقط بل راهم كلهم يأخذونها بالأحضان ويقبلونها وتقبلهم ، وإذا بوجهها يتورد وحركتها تشع بالانطلاق والحيوية ! أحس بالخطر . أن تجد كل هذه السعادة والبهجة مع آخرين غيره . هو يريدها له هو وحده . لسوف يعيدها الى حظيرته من جديد . ولكن بعد أن تنتهى هذه الزيارة : « سوف أبدأ عملى » !

● ●

كان يدرك خطورة المهمة التى هو مقبل عليها . إنها مهمة بذر الكراهية فى نفسها نحو استاذها وأصدقائها وحتى ايضاً صديقاتها . كان كل نضاله أن يستثير فى نفسها الشعور بالكراهية نحو من تحبهم دون أن يتحرك القرنان فى داخله !

وبدا له أنه نجح فى ذلك حين وجدها تقول له ذات مساء باكتئاب : لم أعد استريح مع هؤلاء الناس . لم أعد أحس بأنهم يحبوننى مثلما أحبهم . خلاص . قررت ألا أرى أحدا منهم . يكفينى من الحياة أنت .. والرسم ، لن يكون لي عمل فى الحياة سوى أن احبك .. وأرسم .

هيا أرسمك !

رغم أن قلبه زغرد بالفرح لنجاح خطته ، إلا أنه أحس بالخوف وهى تقول له : اجلس كما كنت . فى الضوء ، أمام النافذة !

ـ ليس هذا وقت الرسم ياحبيبتى .

قالت مقاطعة ، وقد تلبستها شهوة عارمة لكي تضرب بفرشاتها وترسم .

ـ بل هو الوقت .. والضوء فى أشد حالات حدته . أريد أن أرى حتى أدق شعيرات انسجتك . كل ما بداخلك أريد أن أحسه . أريد أن اعوض فشلى فى رسمك . اجلس (وصاحت فيه الى حد الصراخ) اجلس ارجوك . واترك نفسك على طبيعتك . فقط انظر لي . اريد أن ارسمك وعيناك فى عينى ! .

وإذ مضت تضرب بفرشاتها بقوة على اللوحة ، راسمة فى البدء محيط الوجه الخارجى ، كانت تنظر فى وجهه وقد احتشدت كل طاقاتها الروحية . فجأة ، وهى تنظر فى عينيه ، إذا بها تحس بأن اصابعها تتوقفان منها ، واحساس غريب يداهمها . ثمة تموجات غريبة فى عينيه . ليس معنى واحدا ثابتاً مؤكدا ، ليس فقط فى العينين ، إنما ثمة تقلصات تحدث فى الجبهة . كأنما ارتفاعات وانخفاضات .. مرة تظهر ومرة تختفى .. واستنكرت مع نفسها ما ترى : أهي أوهام الفن ؟ .. أم انها فقدت لياقتها الفنية وانتهت كفنانة

وصرخت فى أعماقها : لا . لن انتهى كرسامة . الموت افضل لن أفشل أمامه وارتفعت يدها بقوة بالفرشاة وكأنها تشهر سيفاً تقاتل به ضد الفشل

ـ أرجوك .. اعطنى عينيك . خذ راحتك تماماً .

ـ أنا مستريح ! .

وراحت تضرب بألوانها بقوة .. كان خليطاً هائلا صاخباً من المشاعر . وأخافه منظرها وهى تنظر فيه . لا حب ولا كراهية . بل حالة غريبة . تراه شيطان الفن .. أو «ملكه» قد تلبسها ؟ هذا اللعين سأهزمه .. وأحس بنظراتها تخترق عينيه لترى الأعماق ! وعاودته المقولة «إنها لا ترسم ما ترى ، بل ترسم ما تحس» !

وجز على اسنانه : لا .. القرنان فى الداخل . فى أعماق الأعماق . استعملهما فى الوقت المناسب . لم اجتثهما كما قلت لك أيها الملك اللعين . أنا لا أرمى بسلاحى الوحيد الذى انتصرت به . لقد خلصتها من اصدقائها .. وأحبابها .. واصبحت لي أنا وحدى .. ولسوف انتصر أيضاً هذه المرة ! .

ورسم على شفتيه ابتسامة يدارى بها آلاما فى داخله .. أما هى .. فقد توقفت عن الرسم وراحت تنظر إليه وهى لا تصدق .. وأسرعت دقات قلبها كانت ترى شيئاً رهيباً يحدث . نتوءان يبرزان بلحظة من جبهته .. وهو لا يحس بشىء . ماهذا ؟ وكتمت شهقة : إنهما يكبران .. يكبران .. أصبحا قرنين ..

امتلأت بالهلع . رمت بالفرشاة وهى تصرخ . وولت هاربة .

« عبد الله الطوخى »

زهرة البرسيم

شعر: علي عبدالله خليفة



أخذتُ هواكِ قنديلاً ، وأوجعني سوادُ
الليل في عينيَّ ، والأبراجُ موصدة منافذها
على قلبي
تشدّ قوافلُ العشاقِ راحلة ، خيامي السودُ
ما برحتْ ، وجف النبعُ ، والوديان لم تكلأْ
بهذا العام ، والصحراءُ لم تشهدْ لنا عرساً .
يعذبني هديلُ حمائم الأسحارِ ، وجهُ الريحِ مغبرٌ
يباغتني ، ويخطف صحوةَ التذكارِ ، أحملها
تئن حبيبتي في القلب مجروحةْ ..
وتشكو زهرة البرسيمِ .. لا أحدٌ
يضمّد خدّها في الحقلِ ، كانتْ أعينُ الرقباءِ
من خلف السياجِ الشوكِ مفتوحةْ ..
ولا أحدٌ ،
سوى سبعٍ من السنوات مذبوحةْ ..
وضوء جاء من نجمةْ .

● ● ● ● ●

يدايَ تمرُّ فوق الصخر ، يطْلَع من مياهِ البحرِ ،
يعلو ، تشهق الأمواجُ ، يسعل في أعالي
البرجِ ناطورٌ تهدّل يرمق الأطرافَ مرتاحاً ..
لأن البحرَ ليس لديه مفتاحُ التوابيتِ
الحديديةْ ..
وأن الصخرَ مغروزٌ بقاع البحر ، والفقراءَ
مكدودون في الاغفاءة الأولى ..
تنادي زهرة البرسيمِ ، ترسل عطرها
من داخل الأسوارِ . صقرُ الصيد فكّ
قناعَه الجلديَّ ، روّعَ قلبَ سيّدهِ ،
وحلّقَ يضربُ الأبعادْ ..
تجرّأ في البراري . موسمُ الصّيادِ لم يأتِ
وأعطى البرقَ أشياءً
ونبّه في الحباري غَفْلةَ الميعادْ .

هـــامش :

● البرسيم من أقدم المحاصيل ــ ٢٠٠٠ ق . م . ــ التي تتحمل الأجواء المختلفة ، له زهر جميل ، يعد من أحسن النباتات لنحل العسل ، ويزرع بالأرض لزيادة خصبها وتحسين خواصها .. إضافة إلى أنه محصول علف رئيسي .

استعمل اليونانيون البرسيم في صناعة الأكاليل ، وقدسه الايرلنديون واتخذوا منه شعاراً دينياً .

اعتـــذار :

نشرت الدوحـــة هذه القصيدة فى العدد الماضى ، وقد وقعت فيها أخطاء مطبعية غيرت معناها ، لذلك نعيد نشرها فى هذا العدد مع الاعتـــذار للشـــاعر والقراء عما وقع من أخطاء سابقة ..

القيام

صلاح عبد السيد



كنت أنا وأبى فى بطن عربة الموتى ، مع الصندوق ، وكانت العربة تهتز ، تصطك على الطريق ، وتكاد تتفتت ..

وكان أبى يتلفع بالحزن الثقيل .. مطبق الفم .. وشفتاه تبرزان للأمام .. كان الليل بارداً .. وحديد العربة بارداً .. والصندوق الذى .. ـ ولامسته ـ بارداً .. ووجه أبى كان مملوءاً بالتجاعيد والحفر ..

همهم أبى :

ـ لا إله إلا الله .

أخذت أنظر للصندوق فى أسى .. أمسحه بعينى ..

«كان كأنه يعرف .. قبل أن يسافر .. احتضننى طويلا .. ثم مشى خطوتين واستدار طويلا ..

وظل مستميتاً على جسدى ..

كانت عظام كتفيه تحت يدى .. وسلسلة ظهره ..

كان مهزولا كخرقة .. وكنت أحسه يرتعش على صدرى ..

أوصانى على العيال .. وشدد على الولد الأهبل

ـ الولد الأهبل خذ بالك منه ..

« الولد الأهبل يجرى عارياً فى البيت .. ويصرخ عليك فى المساء ويكاد يجن ..»

ـ والعيال خذ بالك منهم .

«والعيال يتخبطون فى الأرجل .. ويبحثون عنك فى كل الوجوه ..»

ـ إنى ذاهب من أجل العيال والبيت .

وتماوج وجهه الهضيم ليعنى ـ العيال كثيرون ـ واهتزت عيناه الحائرتان أمامى

ـ والبيت بلا سقف ـ ..

همهم أبى :

ـ لا إله إلا الله

أخذت أنظر للصندوق فى أسى .. أمسحه بعينى

هل هو حقاً فى هذا الصندوق .. !!!

وكيف ينام فيه .. ؟

هل وجهه الى أعلى ؟

هل وجهه ناحيتى ؟

وسحبت ساقى بعيداً ..

كان وجهه ناحيتى

كان الوجه الهضيم ينظر لي ..

وكانت حدقتاه الصغيرتان حائرتين ..

وجلبابه الرقيق يكشف عظام صدره ..

وأنفه الصغير يخرج زفيراً كالصياح ..

وأجهشت بالبكاء ..

هل أنت حقاً فى هذا الصندوق .. !!؟

هل تنام فيه حقاً .. !!؟

وهل أنت حقاً .....

لا .. لا ..

أنت تتنفس فى صدرى وعينى

لا .. لا ..

واصطكت العربة حتى كادت أن تتفتت ..

كدت أرجو السائق أن يترفق به قليلا .. فهو مهزول .. وعيناه حائرتان .. وبيته بلا سقف .. وأولاده كثيرون .. لكنى قبل أن افتح فمي توقف السائق بالعربة .. نط منها وتبول .. ثم نط فيها واشعل لنفسه سيجارة .. واحتضن عجلة القيادة وعادت العربة تحجل على الطريق ..

كنت أبيت وحدى مع الصندوق .. حين فكرت أن أقوم وأفتح الصندوق وأخرجه منه .. وأضمه الى صدرى .. وأتحسس عظام كتفيه .. وسلسلة ظهره .. وأنفخ فى فمه .. وأقول له .. قم لا داعي لذلك .. قم .. فالبيت لازال ناقصاً .. والعيال يطلبون معونتك .. والولد الأهبل لم يتكلم .. والريح تهز البوص على الشبابيك .. قم فالريح تشتد .. لا داعي لذلك .. قم .. المطر يتساقط .. والبيت بلا سقف .. قم .. الباب قصير .. والكلاب تمرق من تحته .. وأنا وحدى .. والليل طويل .. وأنا مهزول .. وجهى هضيم .. وعيناى حائرتان .. قم .. هذا ثوبى .. أدخل معى فيه ..

هيا ..

واحسست بالصندوق يتزحزح

هيا ..

وأخذ يقترب منى حتى لاصقنى

واندفع الولد الأهبل الى الحجرة عارياً ..

نظر لي فخفت من عينيه ..

اقترب منى ..

مد يديه القويتين وحملنى .. رفعنى من جانب الجدار .. وضمنى الى صدره .. وتحسس عظام كتفى .. وسلسلة ظهرى .. ونفخ فى فمى ..

ووجدتنى قائماً ...

وعندما تلفت حولى .. لم أجد الصندوق .. ولم أجد الولد الأهبل .. ،



مسجد القيروان الكبير : الأصل الذى نقلت عنه معظم المساجد فى شمال افريقيا والأندلس فى عهد الاتحاد .

أمجاد الأندلس..

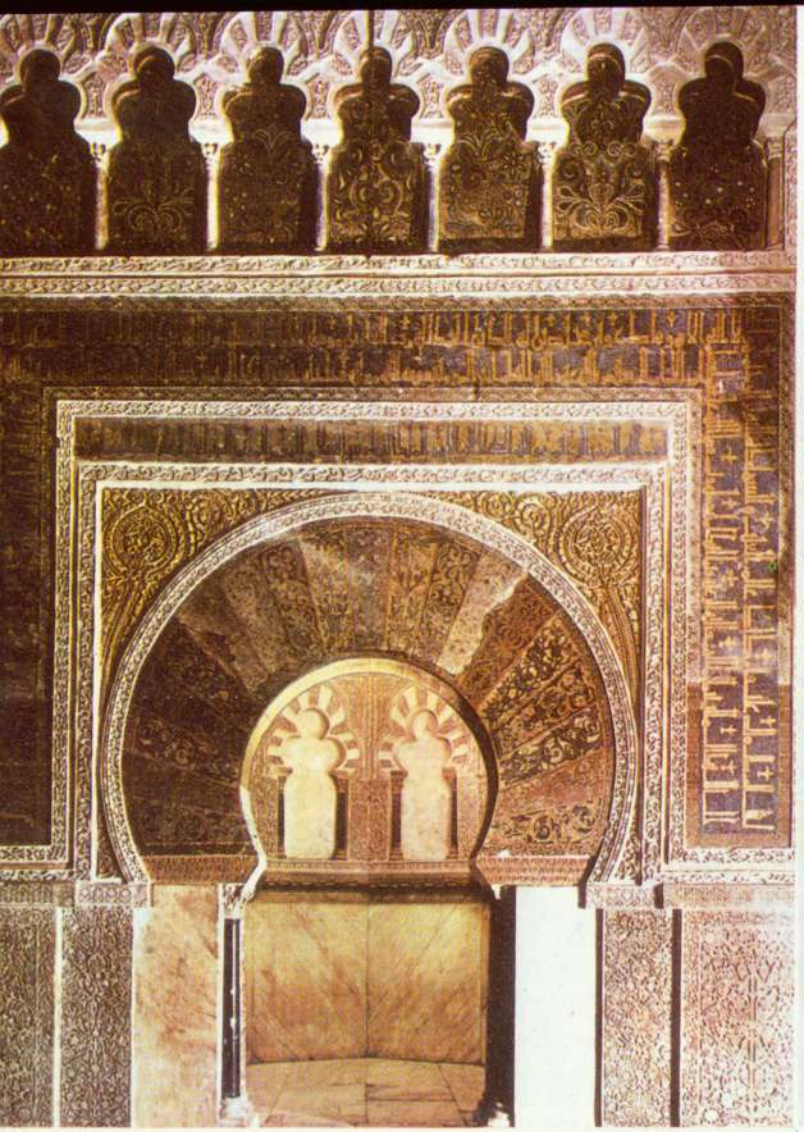
جمال قطب

منارة الاسلام على بحر الظلمات .. واشراقة النور على جبين التراث الحضارى وبسمة الأمل علي شفاه الفكر والابداع .. تلك كانت الأندلس !

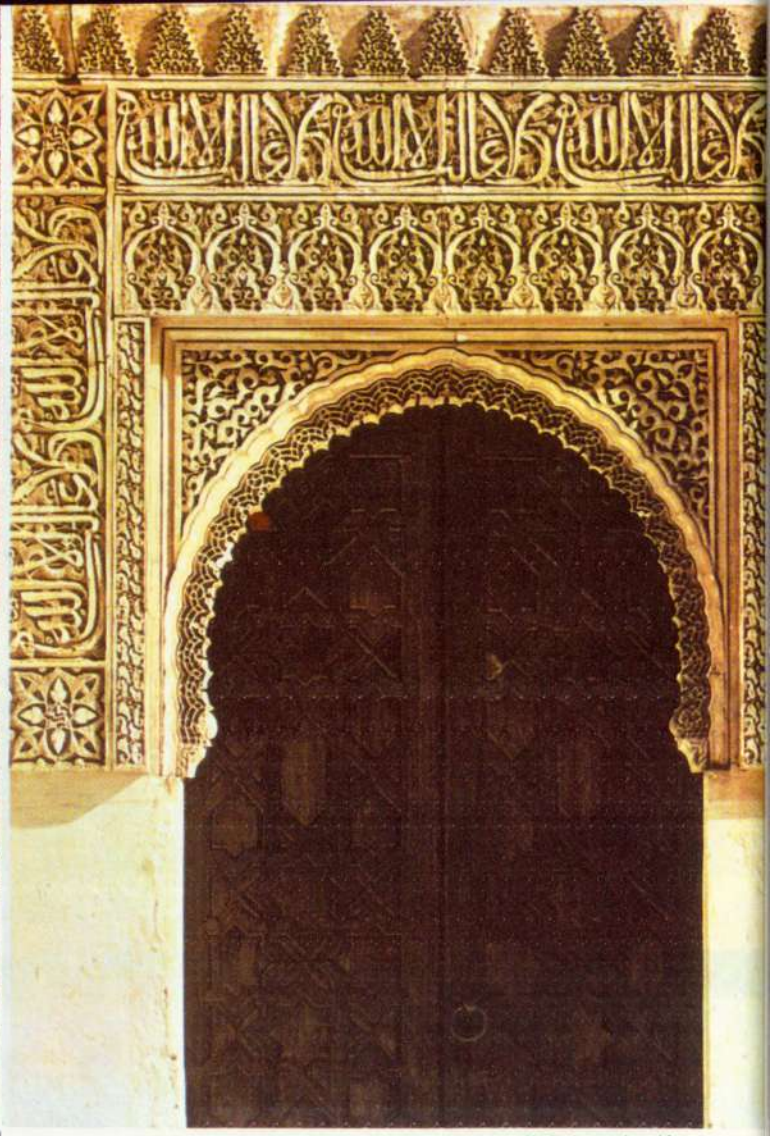
الجامعة العربية .. اتحاد المؤرخين العرب .. المهتمون بالتاريخ والفنون الاسلامية فى العالم العربى .. استيقظت فى وجدانهم ذكرى الأمجاد الغابرة ، وتالقت بصائرهم باشعاعات قرطبة وروائع غرناطة واطلال الحمراء المعجزة ، فبعثوا الروح فى التاريخ البعيد ، وهفت نفوسهم الى أرض الأجداد فى ربوع اسبانيا ، فعقدوا الاجتماعات وأعدوا الأبحاث والبرامج ، أملا فى اقامة مهرجان عالمى لآثار الأندلس على غرار « مهرجان العالم الاسلامى » الذي اقيم في لندن منذ خمس سنوات

لقد كان مؤتمر لندن مهرجاناً عربياً اسلامياً لم يحدث من قبل ، وكان فى روعته وتنظيمه طفرة وصلت الى قمة الاخراج والتخطيط العلمى الواعى .. بما يليق وعظمة المحتفى به من العلم والفن والتراث والتاريخ ! حتى اننا رأينا «قسم النشر» فى هذا المهرجان يخرج للعالم نحو سبعين كتاباً ومجلداً ضخماً عن الفنون العربية والاسلامية عامة ، فى أرقى ثوب من الأناقة والطباعة الفاخرة واللوحات الملونة والأبحاث العميقة المتانية فى كل فرع من العلوم والآداب والفنون .

ونعود لاتحاد المؤرخين العرب لنرى هذه البواعث الخيرة التى حدت بهم للعمل على اقامة «مهرجانات الأندلس» فى غرناطة ، وكان محدداً لها عام ١٩٧٩ ، ثم اجلت الى العام الماضى .. وبعد اجتماعات رئيسية ، واجتماعات فرعية متخصصة ، تفرعت بدورها الى لجان فنية وعلمية .. عقدت هنا على أرض «الدوحة» ، وهناك على الأرض الأوروبية فى اسبانيا ، تاجلت



واجهة محراب الحكم الثانى .



مدخل على ساحة السباع

وأطلال الفردوس المفقود

الى هذا العام ١٩٨١ ، وكان رئيس الجانب العربى أحد شبابنا اللامعين فى ميادين الفكر والفن فى قطر ، وهو ناصر العثمان عضو اللجنة المنظمة للمهرجان ورئيس اللجنة الفنية . كانت النيات خالصة ، والعزيمة صادقة ، وقابل المسئولون الأسبان هذه النزعات الانسانية بحماس مقابل ، وشاركوا فى كل الاجتماعات والندوات ، وبعثوا بعلمائهم يحملون الأفكار ويعرضون المساهمة الى ابعد الحدود : اعداد القاعات ، واختيار المكان والزمان المناسبين ، وعرض النفائس وكنوز الآثار ، والدعاية العالمية اللازمة ، وتقديم الدعوات والمعلومات وأن يفتتح ملك اسبانيا هذا المهرجان .. الى آخر هذه الاستعدادات التى تليق بالحدث الكبير . وأخيراً تأجل الى أواخر هذا العام ، وربما الى العام القادم .. على أمل ألا تتعثر الخطوات فتتشتت الأفكار ويندثر الحماس ويلغى المشروع من أساسه ! ومن عجب أن الفكرة قد تبلورت وقطعت أشواطا كبيرة وهى معدة تماما لأن تخرج الى حيز التنفيذ . والعائق الوحيد هو التمويل ! ولنا أن نصدق هذا وإن كان من الغرابة بمكان !

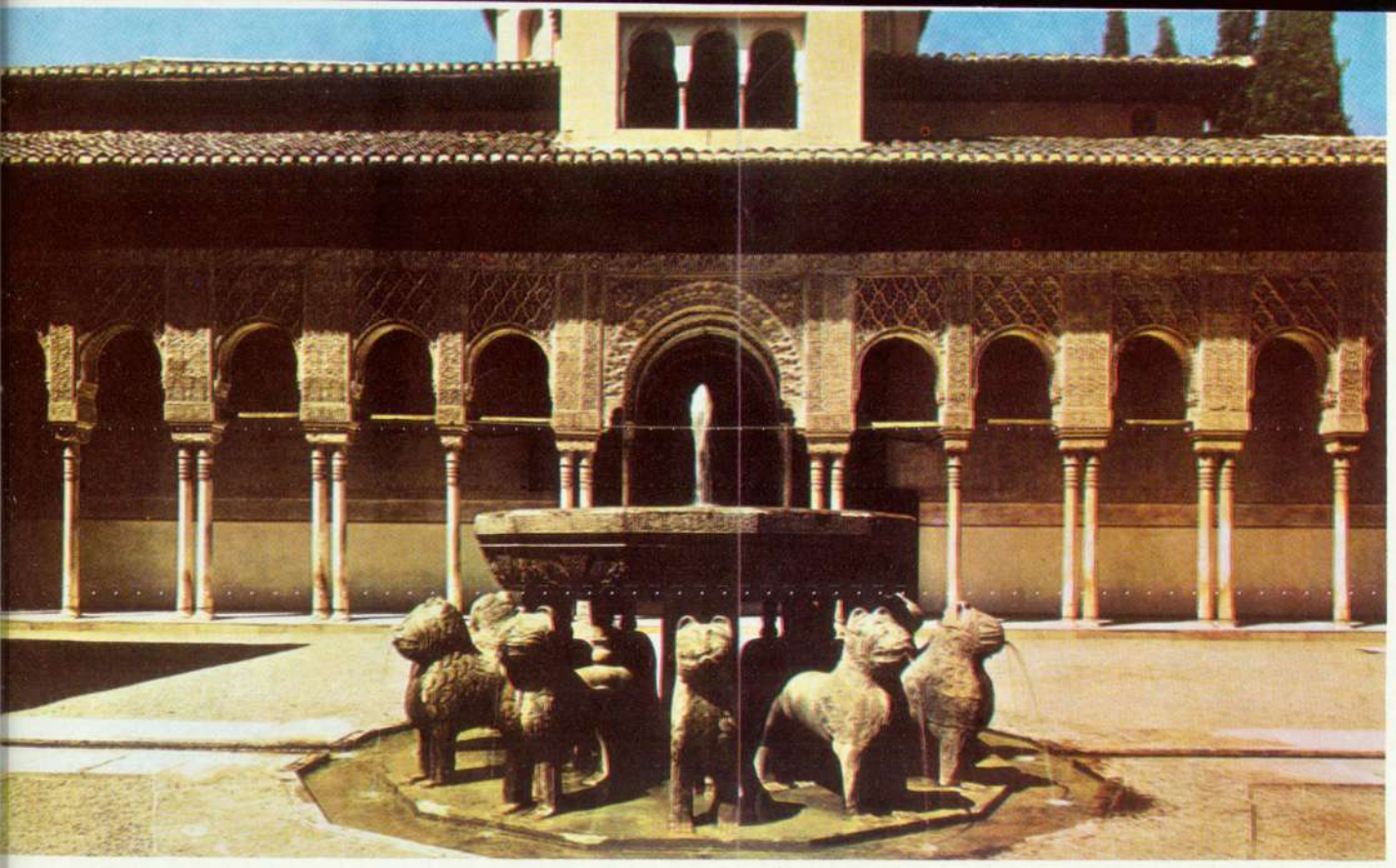
وإن كان ناصر العثمان ـ كمسئول عن الجانب العربى من موقعه كمدير للثقافة والفنون آنذاك ـ قد بذل ورفاقه جهداً خارقاً لاقامة مثل هذا المهرجان .. إلا أن المال ، وهو آخر ما كنا نحتسبه أو نتوقعه ، لابد وأن يتوفر ـ ولو باكتتـــاب شعبى ـ لنشهد هذا (العيد) الفنى العالمى المجيد على ربى الأندلس !

ونرنو بأبصارنا الى كنوزنا العربية .. هناك فى ربوع اسبانيا ، ونتمثل أجدادنا الأفذاذ وهم يسطرون ملاحم الحضارة المتألقة فى القرون الوسطى ، وشعوب أوروبا من حولهم ترزح تحت أغلال الخشونة والبداوة .. وترتسم فى مخيلتنا تلك الصورة النورانية الرائعة : غرناطة .. مركز الاشعاع الفنى وميدان المبتكرات العلمية والفكرية الرفيعة ، تنهل من معينها ممالك الفرنجة وأمصارها مشدوهين لهذه العبقرية العربية الاسلامية الرائدة !

صارت أياماً فى طي التناسي .. وأطلالا لا نملك إلا التباكى عليها !

رحلة الخيال

لكى أكتب بحثاً عن الأندلس والفن الاسلامى عامة بمناسبة الاعداد لهذا المهرجان العالمى ، لم أستطع أن أكبح جماح قلمى من الخوض فى كل شىء : الفن والتاريخ والفكر والحياة ... لأن للاندلس فى وجدانى مكانة ذات شئون وشجون ؛ فمنذ عدة شهور ، كنت مكلفاً من احدى المؤسسات السياحية العالمية بأن أعد نفسى لرحلة أندلسية طويلة الى اسبانيا ، أعيش فيها بين الأطلال ، محلقاً بخيالى بين أطياف القرون الغابرة ، لأتمثل الماضى وأعايشه معايشة كاملة ، ثم أفرز هذا الانفعال والتفاعل على صورة مجموعة من اللوحات الفنية ، يضمها معرض خاص يجوب أرجاء المعمورة باسم هذه المؤسسة السياحية



ساحة السباع الشهيرة .

أمجاد الأندلس..

وفنادقها الشهيرة . وأخذت أدرس كل ما أتيح لي من معلومات واطلاعات فى هذا المجال .. وفوجئت بتأجيل المهرجان ولعلنا نفاجأ باقامته فى أواخر العام ! .. وكانت الحصيلة التى خرجت بها هى المتعة الوجدانية التى حظيت بها وأنا أستعيد أمجادنا ومآثرنا فى تلك البلاد ! وكأنى بى أسير فى ركاب طارق بن زياد وهو يعبر المضيق الفاصل بين أوروبا وأفريقيا فى العام الثانى والتسعين للهجرة .. ثم أعود لأرافق موسى بن نصير وهو يعد العدة فى القيروان ويلحق بمن سبقوه ليتم الفتح وتتركز دعائم الحكم الاسلامى فى الأندلس .

ثم أسرح بخيالى لأرى اجتماعات الفاتحين من المولدين والمستعربين مع الامراء الاسبان يوقعون معاهدات التعايش والسماحة الاسلامية ... وأجوب الأقاليم والمرتفعات والوديان الخضراء ، باعزاز وخيلاء ، وقد فرض المسلمون سيطرتهم على جل المملكة القوطية الجميلة بأنهارها السائغة وخمائلها الفيحاء التى تغنى بها ابن خفاجة :

يا أهل أندلس لله دركم
ماء وظل وأنهار وأشجار
ما جنة الخلد إلا فى دياركم
ولو تخيرت هذا كنت أختار
لا تختشوا بعدها أن تدخلوا سقرا
فليس تدخل بعد الجنة النار

وكان لزاماً علي أن أقفل راجعاً الى بعيد : الى الشرق العربى فى الجانب الآخر لأشاهد مأساة الأمويين على أيدى العباسيين ، وأن أتسلل مع عبد الرحمن بن معاوية لأكون فى معيته وهو يفر مع زوجته وابنه ، قاصداً مصر ، ثم يتجه غرباً حتى يستقر به المقام فى المغرب .. وأسبقه الى الأندلس لأفاجأ بصراعات الاخوة من العرب والبربر .. وتحدث لعبة استقطاب القوى واهدار الطاقات فى التناحر والشقاق .. فيجدها الأمير الأموى عبد الرحمن .. فرصة سانحة ليباغت هذه الجماعات المتخاصمة ، وينقض عليها ، وينفرد بالنفوذ والسلطان ، فيجمع الشتات ويوحد الشمل ، ويسترجع مملكة أجداده . وتدين له ربوع الأندلس ، ويلقب بصقر قريش ، أو بعبد الرحمن الداخل ، لدخوله قرطبة فى العاشر من ذى الحجة عام ١٣٩ هـ ، وتصبح قرطبة عاصمة لملكه .

وتتوالى الأحداث الجسام ، ويسرح بى الخيال فيجسد لي كفاح ابنه (هشام) لاخماد الفتن بعد وفاة أبيه .. وفى عهد خلفه عبد الرحمن الثانى يعود الاستقرار مرة أخرى ، لتتألق الأندلس بعد ذلك فى عهد عبد الرحمن الثالث ، الملقب بالناصر وهو أول من أحيا الخلافة الأموية ، وأصبح الخليفة عبد الرحمن الناصر رمزاً لهيبة البلاط الأموى العريق ، وقد أحاط نفسه بهالة من المجد والعظمة ، وفى حكمه ، عم الخير ، وازدهرت الفنون ، وأصبحت قرطبة مركز الاشعاع فى اسبانيا وأوروبا كلها . ويأتى الحكم بن عبد الرحمن ، ليصل الفنانون فى عهده الى قمة الاجادة وغاية الابتكار ..

صور من هوامش التاريخ

أخذت أقرأ .. وأقرأ .. عن الأندلس ، وأعيش فى أطياف القصص الجانبية على هامش التاريخ فهذا ابن أبى عامر المعروف بالمنصور ، رجل بسيط رقيق الحال ، يصل به طموحه وتطلعاته الى كرسى الخلافة بعد وفاة الحكم بن عبد الرحمن ، وما كان إلا تابعاً عهد اليه الخليفة برعاية ابنه هشام الثانى ، ولكنه نجح فى استرضاء (الملكة صبح) التى أخذت تستهويه ، فارتقى من منصب الى آخر حتى أصبح رئيساً للشرطة ، ثم استبد بأمور الدولة ونصب نفسه على حكم الأندلس .. تاريخ يشبه الأساطير ! : فى شبابه ، كان يجلس يوماً فى احدى حدائق قرطبة بين جمع من رفاقه الطلبة ، واذا به يتطلع الى الفضاء .. ثم يفيق لينادى فى أصحابه : أعاهدكم أن يأتى يوم أكون فيه سيد هذا البلد ، وسخر الفتيان منه ، ولكنه أضاف ببرود : كل واحد يقترح الوظيفة التى يرغب فيها ، وسينالها عندما أصبح الخليفة ! وقال أحدهم متهكماً : أوصيك أن تأمر يومها بأن يدهن جسمى عسلا ، ودع البعوض يلسعنى ثم مر بطرحى على بطنى فوق ظهر حمار ، وطف بى فى أزقة قرطبة !

وتمر الأعوام بأحداثها ومفارقاتها ، ولم ينس ابن أبى عامر مطلب صديقه القديم ، فأمر بتنفيذ هذه (الرغبة) الأخوية !

حكايات .. وحكايات ، وقصص زاخرة بالطرائف الشيقة ، انها لوحات حية فى متحف التاريخ !

وأعود الى مسرح الأحداث الجسام فى مسيرة الأندلس : فهذه بوادر الانقسام من جديد بعد



قبة المحراب بناها الحكم الثانى بمسجد قرطبة وتعتبر اعجازا فنيا

عهد المنصور ، تتسع وتتفاقم حتى تنتهى الدولة الأموية بعد مقتل هشام الثالث عام ٤٢٢ هـ .

ولننتقل معا الى الفترة الثانية من حياة الدولة الأندلسية : فترة الحكم المغربى الاسبانى . وهى التى أعقبت تطورات كثيرة ، ليس هذا مجالا لسرد دقائقها ، فلنعايش حكام الطوائف والمرابطين والموحدين .. ولابد من حركة مكوكية دائبة لنوالى استطلاع الأخبار بين المغرب والأندلس : لقد اختلطت العادات والتقاليد والفكر والثقافة ، فهذه الطرز المغربية فى الفن والعمارة تغزو الأندلس .. ومن اسبانيا تعبر المؤثرات الأندلسية والأوروبية الى شمال افريقيا .. وتزدهر الحياة .. وتنتشر مجالس الشعراء وسهرات الأنس فى ربوع البلاد .. وما أحلى الموشحات الأندلسية الحالمة وايقاعاتها الشجية .. ومن لا يفتتن بشاعرة التحرر والحب والخيلاء «ولادة» ابنة الخليفة المستكفى بالله وهى تشدو :

أنا والله أصلح للمعالى
وأمشى مشيتى وأتيه تيها
أمكن عاشقى من صحن خدى
وأعطى قبلتى من يشتهيها !

وهذا ابن زيدون ، سابح فى الترف والنعمة ، منغمس فى اللهو ، متالق فى السهرات الأندلسية العابثة ، وقد هام فى حب «ولادة» ، ولكنهما افترقا بعد مكيدة مدبرة من الوزير ابن عبدوس الذى استأثر بحبها فأثرته على ابن زيدون فنراه يعاتبها فى أسى :

أضحى التنائى بديلا عن تدانينا
ونأب عن طيب لقيانا تجافينا
الا وقد حان صبح البين صبحنا
حينا ، فقام بنا للحين ناعينا
كنا نرى اليأس تسلينا عوارضه
وقد يئسنا فما لليأس يغرينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا
شوقا اليكم ولا جفت مآقينا !

القمة والانهيار

ترف وسرف وسمر وسهر وفن وفكر .. وليل طويل هامس ، تتردد فى أصدائه الموشحات الأندلسية الشهيرة ، وفى احداها يقول «ابن اللبانة» :

فى نرجس الاحداق
وسوسن الاجياد
نبت الهوى المغروس
بين القنا المياد

وفى نقا الكافور
والمندل الرطب
والهودج الموزور
بالوشى والعصب
قضب من البلور
حمين بالقضب
نادى بها المهجور
من شدة الحب
اذابت الأشواق
روحى على أجساد
أعارها الطاووس
من ريشة أبراد

صور رائعة مثيرة ، تنقب فى خيال الفنان لتنتقى من وجدانه درراً مبدعة !

إن مسيرة الأندلس طويلة .. طويلة ، وعثراتها فى عهودها الأخيرة كثيرة .. كثيرة ! فلنستحث الخيال لكى يعبر العوائق والكبوات حتى يستقر المقام فى غرناطة آخر شموع الوجود العربى فى ليل اسبانيا الطويل ..

غرناطة المجد الخالد والفن الرفيع ، واعجاز العبقرية العربية : قصور الحمراء الأسطورية الرائعة .. متحف البذاخة والثراء والرونق والابداع ..

وعلى مدى ثلاثة قرون كانت غرناطة مركز الاشعاع ومنهل العطاء العربى للتاريخ والحضارة .. ومرت أحداث .. وأحداث ..

وأخيراً ، كانت النهاية ، يوم أن خرج أبو عبد الله ، آخر الحكام المسلمين ، متجهاً الى منفاه بجبال البشرة (فى فجر يوم ٢ يناير ١٤٩٢ م) ، ونراه فى انكسار مرير ، يسلم مفاتيح الحمراء الى قائد جيوش فرديناند وايزابيلا ، وقد تم زواجهمابدوافع سياسية للقضاء معا على دولة المسلمين) وقد وقف الفتى يلقى نظرة حسيرة على درة الأندلس ـ غرناطة ـ .. وعلى ثمانية قرون من أيام العرب المجيدة ... وعلى منارة الاسلام فى بحر الظلمات !! ففاضت عيناه بالدموع ، وتعنفه أمه الملتاعة وقد تصنعت الصرامة ورباطة الجاش .. وانشدت فى إباء تقول :

إبك مثل النساء ملكاً مضاعاً
لم تحافظ عليه مثل الرجال !

وهذا الموقع الذى شهد تلك الزفرة الأليمة ، مازال يسمى : زفرة المغربى .

واذا كانت (الدولة) قد انتهت من الأندلس ، إلا أن المسلمين الذين آثروا البقاء ، ظلوا متمسكين بدينهم ولغتهم برغم الوعد والوعيد ، واستبد الغضب بالأساقفة ، فأمر رئيسهم بجمع الكتب العربية واحراقها فى الساحات العامة ، واشتد الضيق على الأندلسيين ، وأثقلت كواهلهم بالضرائب ، وتمادى الاسبان فى اهانتهم ، حتى اضطر معظم الفنانين والعلماء وكبار العائلات الى الهجرة نحو بلاد المغرب ، حاملين معهم مفاتيح بيوتهم ، وكانت فكرة العودة الى الديار تداعب خيالهم فى كل حين . أما من بقى من المسلمين ، فقد أمر الامبراطور فيليب الثالث عام ١٦٠٩ بطردهم .. وبهذا ، اندثرت البقية الباقية من الحضارة الاسلامية بالأندلس !

الفن الاسلامى والحضارة الانسانية

عفواً ، لابد من الاسهاب بعض الشىء فى حكاية الفن الاسلامى .. حتى نستطيع أن نقدر روائع الأندلس حق قدرها . فقد أقر معظم المؤرخين للفن الاسلامى والحضارة الاسلامية بوجه عام ، بأن أبرز سمات هذه الحضارة هو الفن . واستهل (برنارد لويس) رئيس الدراسات العليا بجامعة برنستول الأمريكية ، مؤلفه الضخم عن هذا الموضوع بقوله : «إن أعظم منجزات الحضارة الاسلامية العظيمة هو الفن .. بلا منازع» ! ونرى مثل هذا القول لمفكر شهير معاصر هو عالم الآثار الاسلامية (رتشارد



المرأة فى الأندلس : جمال الأوصاف وخفة الحركات



جزيرة أندلسية فى اسبانيا تشهد بالمجد الغابر

أمجاد الأندلس..

انتيجهاوزر) ، وغيرهما كثيرون !

ولذلك وجدنا سباقاً غريباً بين العلماء والأثريين ـ ومعظمهم من المستشرقين ـ لكى يعملوا قدر طاقتهم عن ارجاع أصول الفن الاسلامى الى غير العرب بل والى غير المسلمين! فامتلأت مؤلفاتهم بكثير من التحريف والتاويل المغرض لترسيخ مفاهيم وايحاءات شتى بأن العرب الأوائل فى صدر الاسلام ومن قبله لم يكونوا مؤهلين لتذوق الفن أو الاهتمام به ، وبالتالى .. على ابتكاره .وقبل نصف قرن .. كان الميدان خالياً لهم لا يسمعون فيه إلا وقع أقدامهم وصدى ارائهم ؛ فرأينا محاولات مستمرة من دول الغرب للوصول الى أعماق حياتنا الفكرية ، ولكنها فى كثير من الأحيان لم تكن خالصة لوجه الله والفن والتراث ، بل تعدته الى اغراض الاستيعاب والسيطرة والنيل من العروبة والاسلام ، كما تسلل فريق منهم الى مناصب فنية على أكبر جانب من الخطورة مثل (كريسويل) الذى كان مديراً لمعهد الآثار الاسلامية فى القاهرة بعد أن كلف بتأسيسه عام ١٩٣٣ ، وتربع على عرش البحث والتاليف فى مجال العمارة والفن الاسلامى ، دون رقيب أو مراجعة ، ودون أن يجد من يقول له فى العالم الاسلامى ـ والعربى بوجه خاص ـ : ان هذا افتراء ! وأكد كريسويل هذه الاتهامات وعزف على نفس النغمة التى صاغ أوتارها من سبقوه . ونراه فى مؤلفاته يعمل جاهداً على انكار أى فضل للعرب فى قيام الحضارة او ابتكار الفنون الاسلامية ، بل ويصفهم بالتخلف والبداوة ، وانهم لم يعرفوا من العمارة سوى سكن فى خيمة سوداء ، ثم مثوى فى قبر تحت رمال الصحراء ! وحتى سكان الحضر ، قال عنهم إنهم لم يعرفوا شيئاً عن فن العمارة ، وكانت بيوتهم من نوع قبيح من اللبن وجذوع النخل لا تزينه أية لمسة فنية ! وإذا تصادف وعثر على أى أثر فنى ، فلابد وأن يكون مستورداً ! وكريسويل ، كان فى الأصل ضابطاً انجليزياً عمل بسلاح المهندسين البريطانى فى الشرق الأوسط .. وعاش فترة فى الأردن .. ثم استقر به المقام فى القاهرة ، ليترأس معهد الآثار الاسلامية .. وكان متأثراً بفكر من سبقوه من هؤلاء المستشرقين ، ومن أهمهم راهب يدعى (لامانس) كانت مولفاته تتفجر حقداً على العرب حينما يصف أغنياءهم بقوله الذى قراه العالم حينذاك وحتى اليوم : «انهم ما كانوا يهتمون إلا بالطعام وسعة القدور ، أما مساكنهم فلم تعرف الفن ، وكانوا يلجأون فى صناع أجانب اذا أرادوا ترميم الكعبة !» ... ومن هذه الأمثلة الظالمة ، نقرأ الكثير .

جذور الفن الاسلامى

أما الأخطر من كل ذلك ، فقد أرجعوا أصول الفن الاسلامى الى الفن الساسانى ، وأكدوا أن الفن الساسانى فن فارسى خالص ! وهذه فرية لها ما يدحضها : فلو أمعن هؤلاء ، بتجرد وموضوعية ، فى دراسة الدولة الساسانية أيام الفتح الاسلامى ، لوجدوا أن الغساسنة ، وغيرهم من المناذرة والجاليات العربية الأخرى فى بلاد ما بين النهرين ، كانت لهم اليد الطولى فى رسم ملامح الفن الساسانى الذى قيل إنه أصل الفن الاسلامى . وكانت (المدائن) عاصمة الدولة الساسانية موجودة على أرض العراق وليست على أرض فارس .ولعل التاريخ قد ساهم من تلقاء نفسه فى تفنيد مزاعم المغرضين : فالحفائر التى كشفت عن الآثار المنحوتة فى الصخر بمنطقة (تبوك) وما فى شمالها حتى (البتراء) فى جنوب الأردن ، قد أثبتت بالدليل القاطع عن وجود فن عربى صرف ، وطراز عربى متطور من العمارة المحلية النابعة من قلب المنطقة العربية ، وأنها لا تمت بصلة مباشرة الى الطرز المعمارية السابقة ، كما أنها تضاهى فى عراقتها وثرائها الجمالى ، الطابع الرومانى الشهير . وفى حفائر (مدائن صالح) ظهرت آثار رائعة ، اجتمعت فيها عدة أساليب فنية منها الفرعونى ، والآشورى ،والرومانى ، والاغريقى .. وغيرها ، ولكنها صيغت كلها فى قالب محلى عربى يرجع الى حضارات عربية أصيلة سابقة لظهور الاسلام .. وهذا بحث له مجالات مستفيضة أخرى ، ولكننا نخلص الى أن العبقرية لها وجود من قديم الزمن ، ولم ينضب معينها فى يوم من الأيام ! وبظهور الرسالة المحمدية ، انصاع الفنان ـ بايمان راسخ وتجرد ـ لتعاليم الدين الحنيف ، وابتعد عن التجسيد والصور الآدمية الطبيعية كما فى المدارس الغربية ، واستعاض عنها بالابتكار والتحوير الزخرفى المستمد من أشكال طبيعية ، ولكن بنظرة خاصة وباسلوب محور ، بل شديد التحوير ، ليبعدها عن المحاكاة المباشرة للأشكال الطبيعية .. وبهذا تكون الفن الاسلامى المعجزة بملامحه المميزة ، وأصبح فناً ذهنياً يحكمه المنطق والمقاييس الروحية والعقائدية ، ولكنه فى نفس الوقت ينطلق الى عوالم ابداعية سامية فى التشكيل والتلوين والدقة والزخارف الهندسية اللامتناهية ، ولعل خير شهادة معاصرة على عبقرية هذا الفن الرفيع ، قد جاءت على لسان الفنان العالمى (ماتيس) الذى يطلق عليه لقب (أحسن الملونين) إذ يقول : «اننى ما كنت أصل الى ما وصلت اليه إلا بعد أن درست الفنون العربية الاسلامية فى معرض الفن الاسلامى الذى أقيم فى برلين عام ١٩٠٥» .

وشهادة أخرى جاءتنا على لسان الكاتبة الأمريكية ، مؤرخة الفن المعاصر الشهيرة (جرترود ستاين) فى معرض حديثها عن بيكاسو: «إن أروع مراحل بيكاسو الفنية هى المرحلة التى تأثر فيها بالفن الاسلامى ، وليس هذا عجيباً ؛ فبيكاسو اسبانى .. ، والاسبان عرب» !!

وكانت الفرصة الذهبية لفنانى الفتح العربى لاسبانيا ـ بعد أن استقرت الأمور فى الأندلس ـ لأن يبدعوا هذا التراث الرائع فى متحف العالم الكبير .. هناك على القارة الأوروبية ! وذهل العالم ـ ومازال ـ بجامع قرطبة .. وقصور غرناطة ! وثمانية قرون من الفكر المتطور



عبد الرحمن الداخل كان يتغنى بالوطن .

والابداع الرائد فى شتى المجالات .

والفن الاندلسى – وهو فن عربى خالص – كان درة الابداع الاسلامى بكل شموله وتخصصاته التطبيقية والوجدانية .. ولا غرو أن تصبح الأندلس مركز الاشعاع الفكرى فى العالم لقرون طويلة !

وقد حظى فن الأندلس بمذاق وعبق خاص . لأن اسبانيا جعلت من آثارنا الفنية حالياً على أرضها متحفاً كبيراً يقصده الزوار من انحاء المعمورة ، فرسخت فى الأذهان كلمة الحق عن العبقرية الفنية فى الأندلس ، لتظل قبلة التراث وكنز الفنون الرفيعة فى العالم أجمع ! وقد يكون من الاحساس بعقدة الذنب ، لما اقترفه الأسبان منذ نحو أربعة قرون ، من التنكيل باصحاب التراث .

بين عهود الذروة والتدهور

وهناك بعض العهود الزاهرة التى تألق الفن الاسلامى فيها اكثر من غيرها فى الأندلس .

ولم تهنأ البلاد وتزدهر الفنون إلا فى عهد عبد الرحمن الثانى ، الذى دعم حكمه فى الأندلس واعتنى بمظاهر الرقى والحضارة ، ليواكب وينافس حضارة بغداد عاصمة العباسيين ، وكانت تعيش عصرها الذهبى آنذاك وتستطع منها اشعاعات الفن على كل البلاد الاسلامية .. ومن بعده .. جاء عبد الرحمن الثالث (الناصر) .. لتبلغ الأندلس فى عصره أوج تألقها .. وقد ذكر المقرى :

«ان ملك الناصر بالأندلس كان فى غاية الضخامة ورفعة الشأن ، وهادنه الملوك ، وازدلفت اليه تطلب مهادنته ومتاحفته بعظيم الذخائر ، ولم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم والافرنجة والمجوس وسائر الأمم إلا وفدت عليه خاضعة راغبة ، وانصرفت عنه راضية» !

وبلغ سكان قرطبة فى عهده اكثر من نصف مليون ، وبلغت الفنون الأندلسية غاية رونقها ونافست بغداد والقيروان .

وفى عهد الحكم الثانى – وكان مولعاً بالفن – عاش الفنان آهنا أيامه ، كما ازدهرت كذلك باقى فروع الفكر والمعرفة . وقد ذكر المقرى أن عدد الفهارس بلغ فى أيام الحكم الثانى أربعة وأربعين فهرساً فى كل فهرس عشرون ورقة ، كما بلغ عدد الكتب أربعمائة ألف كتاب ، ثمن الكتاب الواحد منها ألف دينار من الذهب ، وكان يصدر فى كل سنة ستون ألف مخطوط !

وظهرت بوادر الانهيار بعد أن وصل الفن والفكر الى الذروة .. الى أن خلع هشام الثالث عام ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م ، وانتهت معه الدولة الأموية فى الأندلس . وتوالى على الحكم ملوك الطوائف (من العرب والبربر) .. وبدأوا فى اقتناء التحف وتشجيع الابتكارات وبناء القصور .. والحياة المترفة اللاهية .. وظهرت الموشحات فى حفلات السمر .. الى غير ذلك من مظاهر الحياة الرغدة .. ونشط الفن فى أيام الطوائف .. حتى قطع دابرهم يوسف بن تاشفين قائد جيوش دولة المرابطين فى المغرب وبسط نفوذه على جميع بلاد الأندلس .. وبهذا بدأ حكم المرابطين .. وظل نحو ستين عاماً .. ثم انتقلت السلطة بعد ذلك الى دولة الموحدين وهم سكان جبال الأطلس .. وخاض الموحدون كثيراً من الحروب ..

وعاصرت الحروب الصليبية فترة من حكم الموحدين ، وظهر القائدان العظيمان : صلاح الدين الأيوبى فى المشرق ، وعبد المؤمن ابن علي بالمغرب ، وهو الذى خف الى الأندلس ليحميها من الهجمة الصليبية الشرسة ، فدانت له بعد حروب بطولية . واقتسم الموحدون فيما بينهم ولاية الأندلس .. وازدهرت الفنون فى عهدهم ازدهاراً ملموساً .

وظهرت ملامح الفن المغربى الاسبانى واضحة بعد تقارب الثقافتين ، بل واندماجهما تقريباً ؛ فبينما كانت الجيوش المغربية تعبر المضيق لنجدة أهل الأندلس من حين لآخر ، نجد أن الفن الأندلسى يغزو بلاد المغرب من أقصاها الى أقصاها ويختلط بالفن المغربى ، ليظهر فى النهاية فن موحد له طابع خاص هو ما يطلق عليه الفن المغربى الاسبانى .. أو المغربى الأندلسى . وكان هذا الفن يتأثر بدون شك – كساداً أو ازدهاراً – حسب الأوضاع السياسية .. لذلك نجد أن الفن قد عانى من التعثر والكساد بعد هزيمة الموحدين عام ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م على يد بنى حفص الذين تلقبوا بالخلافة حين ذاك .. ثم قامت عليهم الأندلس فطردوا منها وانتهت دولتهم بسقوط مراكش عام ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م .. وخلا الميدان تقريباً للمسيحيين المتربصين بالحكم الاسلامى فى الأندلس .. وأخذوا يسجلون النصر تلو النصر .. ولم يبق للمسلمين إلا الرقعة الصغيرة على البحر .. وهى التى تولى الدفاع عنها ملوك غرناطة قرابة قرنين ونصف من الزمان .. فصارت غرناطة فى مهب الريح وشهدت الصراعات والنزعات الدامية .. واندلعت الحرب عام ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م بين ابن الأحمر وبنى مرين وبسط ابن الأحمر نفوذه على غرناطة ، وجاهر بنو مرين ببسط نفوذهم على جنوب الاندلس .. والأعداء فى كل مكان حولهما يتربصون ويخططون لاقتلاع الحكم الاسلامى من جذوره .. ولكن غرناطة استطاعت أن تهنأ بالاستقرار والازدهار ، وبخاصة أيام حكم يوسف الأول ومحمد الخامس ، وهما من حكام المملكة النصرية .. وفى فترة حكمهما تم بناء قصور الحمراء الرائعة ، وجنة العريف المجاورة لها . ولكن الأمور تردت بعد ذلك تحت وطأة الحرب الأهلية التى كان حكام قشتالة والارغون يغذيانها ويشعلان أوارها كلما هدأت . وتوقفت المساعدات المغربية ، وبسط البرتغاليون نفوذهم على شواطىء المحيط الأطلسى .. ولم يبق أمام أهل الأندلس إلا أن يعتمدوا على أنفسهم . واستعد الاسبان لحرب فاصلة ، وفروا لها الأموال والآلات الحديثة والخطط العسكرية ، فحاصروا المدن وحرقوا الزرع وقطعوا الطرق وعزلوا السكان عزلة تامة .. حتى سقطت البلاد فى أيديهم .. فى فجر يوم ٢ يناير ١٤٩٢ .

الأندلس فى عالم الابداع

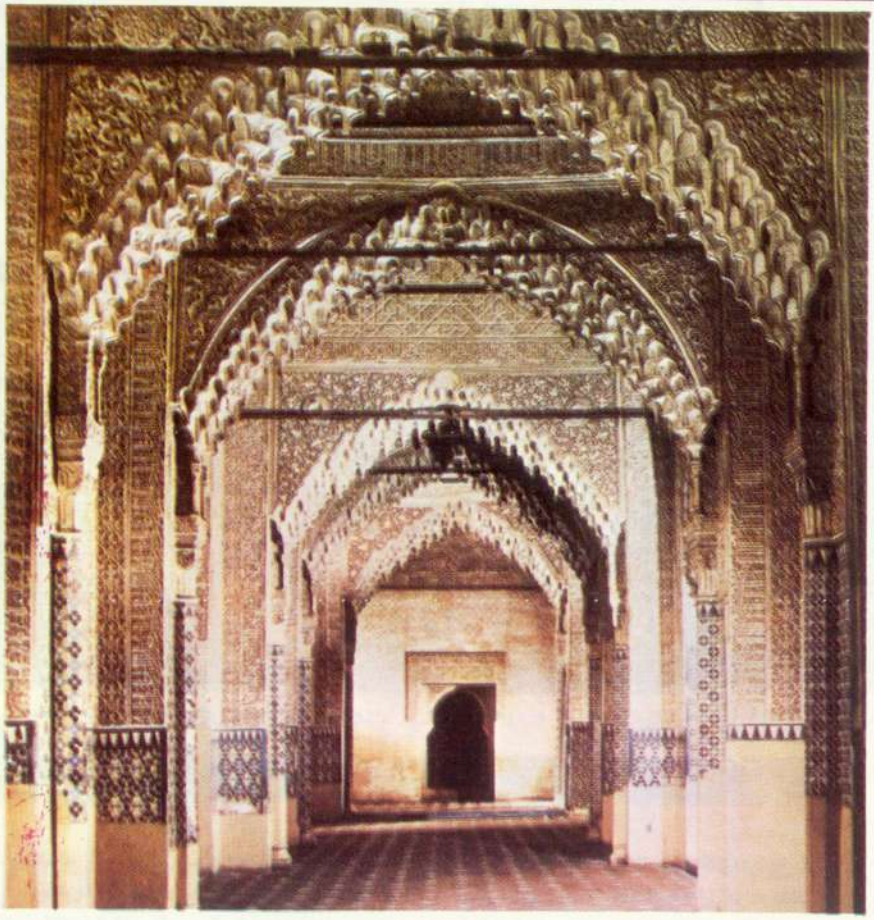
ويعتبر جامع قرطبة الكبير الذى شيده عبد الرحمن الأول من أروع العمائر الاسلامية ، وكان تصميمه مستمداً من المسجد الأموى بدمشق وهذا أمر طبيعى للأمير الأموى عبد الرحمن ، الذى كان يتغنى بالوطن الأصلى ويناجيه فى أشعاره ، وهو على قمة الحكم فى قرطبة

أيها الراكب الميمم أرضى
اقر بعض السلام عنى لبعضى
إن جسمى كما تراه بارض
وفؤادى ومالكيه بارض
قدر البين بيننا فافترقنا
وطوى البين عن جفونى غمضى
قد قضى الله بالفراق علينا
فعسى باجتماعنا سوف يقضى !

نعود للجامع الكبير فى قرطبة فنجده يحظى باهتمام بالغ من الخلفاء بعد ذلك ، فزيدت مساحته عدة مرات فى عهد الحكم الثانى ، كما أضاف عليه عبد الرحمن الثالث مئذنة رائعة عام ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م . والجامع يعتبر تحفة فنية ،



شمعدان من البرونز من جامع الحمراء بغرناطة



قاعة الملوك (أو المحكمة) .

أمجاد الأندلس..

وقد استخدم فى عمارته وزخرفته ابتكارات هندسية جديدة فى القبة الموجودة فوق المحراب، حيث قسمت جدرانها الى أشكال ثمانية ورباعية متقاطعة ، ونقشت بالزخارف النباتية والكتابات الكوفية فى توافق رائع .

وشيد الحكام كذلك قصرا للخلافة فى قرطبة ، حشدوا فيه كما هائلا من النقوش والزخارف الملونة البالغة الدقة والاتقان . كما أثثوه بمئات من التحف ذات المستوى الرفيع . ومن أحسن القصور الأموية القصر الضخم الذى شيده الخليفة عبد الرحمن الناصر بمدينة الزهراء قرب قرطبة . ومما يجدر ذكره أن الأساليب العباسية التى كانت سائدة فى ذلك الوقت فى العالم الاسلامى ، لم تظهر فى فنون الأندلس ، مما يدل على استقلال الشخصية الأندلسية .

التحف العاجية

ومن أحسن ما ابدعته عبقرية الفنان الأندلسى التحف المصنوعة من العاج ، وبخاصة العلب بمختلف أشكالها وأحجامها والتى تزهو باقتنائها متاحف العالم حاليا . وتمتاز بان الزخارف المحفورة بعمق تغطى أسطحها وغطاءها بالكامل وقد استمد الفنان وحداته الزخرفية من مظاهر الحياة الأندلسية ، فنقش موضوعات الطرب والصيد وغيرهما ، وكانت قرطبة هى مركز الانتاج لهذه التحف العاجية . وقد عثر على بعض الأوانى الخزفية فى مدينة الزهراء وبعضها من النوع العللى الشهير والمعروف باسم الخزف ذى البريق المعدنى ، وكانت قرطبة وبلنسية وملقا وغيرها من بلاد الأندلس تتفوق فى انتاج هذا النوع من الخزف . وفى عهد خلفاء قرطبة ازدهرت كذلك فنون النسيج ، وبلغت المنسوجات الحريرية درجة عالية من الاتقان واشتهرت بنقوشها من رسوم الحيوانات والنباتات المحورة . وقد ذكر المؤرخ (الادريسى) أن (المرية) وحدها كان بها ثمانمائة مصنع لنسيج الحرير الفاخر .

الفن المغربى الاسبانى

نفرق دائما من الناحية التاريخية بين فترة الحكم العربى الأول للأندلس فى عهد الدولة الأموية الغربية ، وبين فترة الحكم الثانى ـ بعد سقوط الخلافة الأموية ـ التى توالى فيها على الأندلس العديد من الحكام من اسر البربر حيث كان مركز حكمهم شمال افريقيا ، وقد أسس هؤلاء الحكام عدة ولايات فى المدن الأندلسية حكمها ملوك الطوائف كما أسلفنا ، وتلاهم حكام المرابطين ، وبذلك انتقلت الزعامة السياسية الى المغرب بعد أن كانت الزعامة للاندلس فى عهد الأمويين . وكانت الأندلس كلها ـ ما عدا طليطلة ـ تابعة لدولة المرابطين فى شمال افريقيا . ومن هذا الاتحاد تكون الفن الاسبانى المغربى وهو الفن الأندلسى فى عهد الاتحاد . ومنذ عهد (يوسف بن تاشفين) ملك المرابطين ظل المغرب مركز القيادة السياسية ، ولم يفكر (الموحدون) ـ وهم الذين خلفوا المرابطين فى الحكم ـ فى أن يجعلوا الأندلس قاعدة لحكمهم ، وبذلك ، انتقلت الحضارة الأندلسية الى بلاد المغرب ونتج هذا الفن الرائع الذى يعتبر خلاصة لحضارتين كبيرتين ، وهو الفن الاسبانى المغربى . وفى عهد أسرة بنى نصر التى انحصر نفوذها فى مملكة غرناطة بعد تردى الأوضاع وانهيار الممالك الأخرى استطاع بنو نصر أن يصمدوا ويستقروا بثبات فى غرناطة أكثر من مائتين وستين عاما . وكانت عاصمتهم (الحمراء) بقصورها الأسطورة ، متحفا للفنون الاسلامية المعجزة ! وازدهر الفن فى كثير من المدن الأخرى مثل اشبيلية ، ومراكش ، وفاس ، ولكنه بلغ ذروة تالقه فى غرناطة ، وظل كذلك ، حتى خرج آخر حكام الأندلس محمد أبو عبد الله من غرناطة ليدخلها قائد جيوش فرديناند وايزابيلا عام ٧٩٧ هـ ـ ١٤٩٢ م .

المآثر الفنية الخالدة

كانت فترة الموحدين زاخرة بالأعمال الفنية الكبيرة وخاصة فى التشييد ، سواء فى المساجد أو القصور ذات المستوى المترف الرفيع . وفى عهد المرابطين ، زاد الاهتمام بواجهات المساجد ، فصارت زخارفها أكثر دقة وثراء وفخامة ، وتعددت المساجد فى المدن الأندلسية وقد بنى معظمها على النمط المغربى الشهير بمآذنها المميزة ذات المدرجات المربعة ، ومن أشهرها مسجد طليطلة والمسجد الجامع بالمرية (وهو الذى تحول بعد ذلك الى كنيسة سان جوان ولم يبق منه غير المحراب وجدار القبلة) ، كما نرى عدة مساجد فى بلنسيه ومرسيه وغيرهما من المدن . وفى مجال القصور الفخمة ، فقد أحاط ملوك الطوائف أنفسهم بمظاهر الأبهة والرفاهية وتنافسوا فى تشييد القصور الفخمة فى اشبيلية وطليطلة وسرقسطة .. وزينت معظم جدرانها



ولادة ابنة الخليفة المستكفى بالله

– من فرط البذخ – بالواح المرمر المنقوش بالزخارف المحفورة الرائعة . أما المرابطون ، فكانوا اكثر زهداً وتديناً ، فلم يهتموا ببناء القصور .. وخلفهم حكام الموحدين ، فتفوقوا على ملوك الطوائف فى مظاهر الترف ، وتغالوا فى بناء القصور وتزييتها بافخر الأثاث والرياش واقتناء التحف الثمينة .

وفى عهد بنى نصر (مملكة غرناطة) تم ابداع الدرة الخالدة ، ووصل التفوق الى ذروته .. فى قصر الحمراء الرائع !

قصر الحمـراء .. ذروة الابداع

انـا تـاج كهـلال
انـا كـرسى جمـال
ينجـلى الابريـق فيـه
كعـروس فـى اختيـال
جـود مولانـا ابن نصـر
قـد حبـانى بالكمـال

(من كتاب طيقان الأبواب) للمقرى

اشترك فى تشييد قصر الحمراء ثلاثة حكام هم : أبو الوليد اسماعيل ، وابنه أبو الحجاج يوسف الأول، ثم أضاف خلفه محمد الخامس توسيعات وإضافات اخرى . ويتكون القصر من ثلاث مجموعات يتوسطه فناء مركزى اشتهر باسم بهو السباع وهو أشهر جزء فى القصر كله حيث تتوسطه نافورة على هيئة حوضين من الرخام الثمين .. اسفلهما يمثل القاعدة والآخر (العلوى) اصغر حجماً ومحمول على اثنى عشر أسدا . وتكسوا الجدران طبقة من الجص مغطاة بالنقوش والزخارف والكتابات العربية . وكان هذا الجزء مخصصاً للحريم .. لا يدخله إلا السلطان واسرته .

ومن أجمل مبانى قصر الحمراء بهو الريحان ، مركز المقر الرسمى ، وافخم قاعاته قاعة (الأختين) المربعة الملحقة بالحديقة الخاصة .

كما توجد الحمامات الملكية متعددة الأحواض .. كلها تغطى بالنقوش الذى تعتبر قمة فن (الأرابيسك) فى ابداعات الفنان العربى المسلم .

ويقع بالقرب من هذا القصر ، بقايا قصر اخر ، كان يقيم فيه حكام بنى نصر فى فصل الصيف يعرف باسم (جنان العريف) ، وقد بلغ فى زخرفته حد الروعة . وكسيت جدرانه كاملة بالفسيفساءوالمرمر والنقوش بماء الذهب والمعادن الثمينة . أما قصر (أشبيلية) المسمى (الكازار) ، والذى بناه الملك (بدرو) فى الفترة ما بين ٧٦٢ ـ ٧٦٦ هـ ، فقد استعان الملك بالعمال والفنانين والمهندسين من غرناطة فى تشييده ، وأروع ما فيه هى قاعة السفراء التى وجد بها كنوز فنية فريدة من النقوش ، وبخاصة تصوير الأشخاص تصويراً بازيائهم واسلحتهم وملامحهم ، مما يعتبر كسباً كبيراً لمؤرخى الطرز الاسلامية فى ذلك العصر المجيد ، ويطلق على قصر أشبيلية (طراز المدجنين) ، وهم الحكام المغاربة الذين استمروا فى الأندلس بعد سقوط الدولة ، وحكموا مدنهم تحت سلطة الحكم المسيحى .

المستحدثات الأندلسية

ومما هو جدير بالذكر أن بناء الحمامات ، لم يكن معروفاً فى اسبانيا قبل الفتح الاسلامى ، ولذلك فالحمامات تعتبر أثراً أندلسياً هاماً ، ناهيك عن تانق زخرفتها بشكل فنى فى غاية الجمال والاتقان . وقد ذكر المؤرخون أن قرطبة وحدها كان بها تسعمائة حمام فى عهد المنصور ابن أبى عامر . وكذلك انتشر بناء الأسواق والوكالات والفنادق ودور الضيافة والحصون ذات الأبراج المربعة (متاثرة بالأسلوب المغربى) كما عم بناء الأسوار حول القصور وفى مداخل المدن ، وكانت تلك الأسوار محصنة بالابراج والأبواب الضخمة . وكانت يد الفنان المبدعة توزع اللمسات الفنية على كل هذه الانشاءات . وبجانب الآثار المعمارية ، ظهر العديد من الفنون المعدنية والخزفية ، وكانت عبارة (لا غالب إلا الله) وهى شعار ملوك غرناطة ، تمثل عنصراً تشكيلياً استخدم كزخرف زينت به معظم الوحدات الفنية . كما تالقت غرناطة فى إنتاج نوع ذى مستوى رفيع من الخزف تميز باللونين الأزرق والذهبى ، وهناك نوع اخر من (الخزف ذى البريق المعدنى) اشتهرت به مدينة بلنسية ، وكانت تصدر من هذا النوع كميات هائلة الى معظم البلاد الأوروبية لاقتنائها كتحف فنية اسلامية . وفى عهد بنى نصر ، انتشرت صناعة النسيج الثمين ، وكانت تتميز باطارها الخارجى ذى الزخارف الكتابية بخط الكوفى والأشكال الهندسية التى تتخللها صور ادمية محورة .

واستخدم اللون الأسود فى تحديد تفاصيل وحداتها ، ويعتبر السجاد الأندلسى من أندر الآثار الاسلامية اليوم فى المتاحف العالمية .

لقد كانت الأندلس ، ومضة مشعة فى دروب المسيرة الانسانية ، أنارت للدنيا كلها آفاق الفكر والمعرفة ، وإن كان العقد قد انفرط وتبعثرت حباته ، إلا أن الدرر الثمينة باقية أبدا .. تتلألأ – أنى كانت – فى وجدان البشرية ! .

جمال قطب

المراجـــع

- مسجد قرطبة وقصر الحمراء .
للدكتور عبد العزيز الدولاتلي
- فن التصوير عنـد العـرب .
ريتشارد ايتينكهاوزر
- الشوقيـــات (الجزء الثانى)
احمـــد شوقـــى
- العمارة فى العالم الاسلامى .
د. فريـد شافعـــى
- الفن عند الشعوب الاسلامية .
د. حسـن الباشـا
- فنـون الشرق الأوسط .
نعمت اسماعيل علام
- قراءات متفرقـة :

اللوحات المرسومة : بريشة كاتب المقال .



للأطفال حكاية بالألوان

سر السمكة الذهبية

كانت الفتاة الصغيرة مغرمة بالأشياء الأليفة .. وكانت تريد أن يكون عندها كلب صغير .. أو قطة صغيرة ، ولكن والديها أحضرا لها إناء زجاجياً فيه سمكة ذهبية وقالا لها ..

ـ سوف نرى كيف تعتنين بهذه السمكة ثم نحضر لك بعد ذلك كلباً أو قطة وقالت الفتاة فى تصميم ..

ـ حسناً سوف أريهم كيف اعتنى بهذه السمكة الذهبية ..

الفرشاة وتنظف بها زجاج الاناء من الداخل والخارج حتى تجعله لامعاً تماماً .. ولكنها فى هذا الأسبوع وبينما هى منهمكة فى التنظيف سمعت صوتاً يهتف بهـا ..

ـ كفي عن هذا أنت تصيبيننى بدوار البحر .. ؟

والتفت الفتاة حولها فى دهشة .. لم تجد أحداً .. من أين جاء هذا الصوت وحاولت أن تواصل تنظيف الحوض ولكن الصوت عاد يصيح ..

ـ قلت لك كفي .. لقد جعلتنى مريضة جداً ..

ولدهشة الفتاة الصغيرة اكتشفت ان السمكة هى التى تحدثها .. وابتعدت الفتاة وهى تقول فى اعتذار ..

ـ أنا آسفة يا سمكة ..

ومرة أخرى صرخت السمكة فى حدة ..

ـ ولا تسمينى سمكة أيضاً .. اسمى هدى .. أو على الأقل كان هذا اسمى منذ شهرين مضيا قبل أن تسلط الساحرة الشريرة سحرها علي وتحولنى الى سمكة ذهبية .

وقالت الفتاة فى دهشة ..

ـ أتعنين أنك كنت فتاة صغيرة .. مثلي ..

قالت السمكة ..

ـ بل كنت أفضل منك .. كنت أطيع كل الأوامر .. وآكل كل ما يقدم لي من طعام .. ولكن الساحرة الشريرة التى تسكن خارج المدينة لا تحب الفتيات الطيبات ولذلك حولتنى الى سمكة .. ولكن .. أوه .. أريد أن أنسى هذه القصة الحزينة .. هل يمكنك أن تقدمى لي المساعدة ..

وقالت الفتاة ..

ـ كيف يمكن أن أساعدك .. ؟

قالت السمكة ..

ـ هذا سهل يا أختى .. ولكن لا أستطيع أن أظل أصرخ هكذا .. اقتربى قليلا من فضلك من حافة الحوض الزجاجى حتى أستطيع أن أقول لك كيف تساعدينني .. ولكن قبل ذلك ارفعى هذه الفرشاة المزعجة من حوضى ..

ورفعت الفتاة الفرشاة بسرعة ثم وضعت أذنها قريباً من حافة الحوض .. وقالت السمكة ..

ـ أتعرفين أصناف الخضروات التى تضعها أمك فى الطبق أمامك يوماً بعد يوم

قالت الفتاة ..

ـ أجل .. ماذا فيها .. ؟ ..



قالت السمكة ..

ـ كليها .. كليها كلها يا أختى .. لا تعترضى ولا تعلقى .. كليها فقط لمدة أسبوع ..مجرد أسبوع قصير..سبعة أيام بالضبط .. بلا أى اعتراض وبهذا سوف يذهب الشر عنى ..

وقالت الفتاة معترضة ..

ـ ولكنى أكره طعم الخضروات .. أكرهها بالفعل ..ولكن لا أستطيع أن أترك فتاة فى مثل سنى وهى فى حاجة للعون ..

وأمسكت السمكة أنفاسها وهى تقول ..

ـ اذن .. ؟ ..

قالت الفتاة ..

ـ سوف آكل تلك الخضروات اللعينة .. سوف أفعل ذلك ..

وحركت السمكة ذيلها فى سرور وهى تقول لها ..

ـ نلتقى بعد أسبوع ..

وفى المساء حافظت الفتاة على موعدها .. وملأت الطبق الذى أمامها بالسبانخ وأخذت تاكل فى هدوء ..ودهش الأب والأم ولكنهما ابتسما فى سرور .. وفى الليلة الثانية أكلت الفتاة كمية كبيرة من الجزر .. وفى الثالثة أكلت «البازلاء» وفى الرابعة أكلت طبقاً كبيراً من «الكوسة» وفى الخامسة أكلت بطاطس .. وفى الليلة السادسة .. أكلت المزيج الذى أعدته أمها من كل هذه الخضروات .. وفى الليلة السابعة أكلت كميات مضاعفة من «الخرشوف» الذى أعدته أمها .. وحين قالت لأمها ..

ـ هل يمكن أن آخذ كمية أخرى من الخرشوف .. ؟

قالت الأم فى سرور ..

ـ بالطبع يا عزيزتى .. أنا وأبوك مسروران لأنك أصبحت فتاة لطيفة تحبين طعام الخضروات ..

ولكن الفتاة كانت تقول فى نفسها ..

ـ إنها الليلة الأخيرة على أى حال ..

وبعد أن فرغت من وجبة الطعام لم تستطع الاحتمال فانصرفت مسرعة الى غرفتها لكى تحمل الأنباء الطيبة لسمكتها الذهبية .. ولكنها وجدت الاناء الزجاجى فارغاً ..

وضربت الفتاة الصغيرة الأرض بقدميها وهى تقول ..

ـ ألم تكن تستطيع الانتظار حتى تقول لي الى اللقاء .. يا لها من سمكة أنانية ..

ونظرت الى الاناء الخالى .. وأحست بالوحدة الشديدة ثم قالت ..

ـ ربما كانت سمكة سخيفة أحسن من لا شيء ..

وكان الذى يحيرها حقاً هو كيف تخبر أباها وأمها كيف اختفت السمكة .. وظلت جالسة حزينة ..وسمعت صوت أبيها يقول لها من أسفل السلم ..

ـ عزيزتـــى هل تسمحين بالنـــزول قليلا .. ؟ ..

وببطء نزلت الفتاة من على سريرها وهبطت الدرج وهى تفكر فى نفسها .. لايمكن لشيء بعد ذلك أن يبعث بالسرور فى قلبى .. ولكنها رأت أباها وأمها واقفين وبجانبهما فتاة جميلة فى نفس سنها تقريباً .. وقال الأب ..

ـ أريدك أن تتعرفى على «هدى» ..فهى سوف تقيم معنا هنا لأنها بلا عائلة ..

ووضع ذراعه حول الفتاة وهو يقول ..

ـ انها سوف تقيم معنا لفترة قصيرة .. ولكنها لو أحبت الاقامة فقد تقرر أن تبقى معنا الى الأبد ..

وقالت هدى بنفس الصوت التى تعرفه الفتاة جيداً ..

ـ مرحباً بك يا أختى ..

وغمزت لها بعينيها ..

ومنذ ذلك اليوم لم تكف الفتاة الصغيرة عن أكل الخضرروات لعل هناك سمكة ذهبية فى مكان ما تنتظر أن يزول عنها سحر الساحرة الشريرة .





خان يونس.. مدينة الشهداء

نبيل خالد الأغا

نهلت منها الحب كله ، وعشقتها كما لم أعشق سواها ، فعلى ثراها كان ميلادى ، وفى حماها نما جسدى ، وتحت سمائها شب عودى ، واشتد زندى .

عندما كنت صغيراً تخيلت أفقها المنحنى نهاية العالم ، فتجسدت لي فيها كل آفاق الحب والدفء والحياة ، وعندما صرت رجلا فوجئت بضياعها فى ساعة سوداء خارجة عن إطار الزمن ، فصرت أتجرع كؤوس الحسرة عليها فى كل لحظة تجلد فيها الغربة كبريائى بسياطها اللاهبة ، فأهرع الى مسكنات الصبر .. معتصماً بها راضياً ـ كل الرضى ـ بقضاء الله.

اننى ما برحت أذكر لحظة فراقى لخان يونس فى بداية عام ١٩٦٧ م ، فقد كنت متوجهاً يومها لاستكمال السنة النهائية من دراستى الجامعية بالقاهرة ، استيقظت فجراً على دعوات أمى وهى تخترق حجب السكون والقلوب . فكانت دعواتها تهز شغاف قلبى ، وتمنحنى طمأنينة لـم يهبنى إياها كائن بشرى آخر ، فلقد منحتنى تأشيرة الدخول الى رحاب السكينة

ودعت أمى واتجهت صوب الباب ، وفجأة سمعت صوتاً صاخباً خلفى ، وإذ بابريق من الفخار يتهشم مكان خطواتى ، ويصيبنى بعض رذاذ مائه ، فنظرت بدهشة الى أمى فوجدتها ترمقنى بتوسل وحنان قائلة : سامحنى يا بنى ، انه شىء فى نفسى قضيته ، فعسى الله أن يكسر الشر كما انكسر هذا الابريق.

وتشاء ارادة الله أن أعود الى خان يونس ولكن بعد اثنى عشر عاماً ، ولم يكن عودا أحمد ، فقد كان مشبعاً بهموم الاغتراب ، مترعاً بمآسى الاحتلال.

• •

ها هى ذى السياره قد أوصلتنى الى البيت بعد طول غياب ، ووضعت قدمى على عتبته ، فتذكرت لحظة الفراق البعيدة ، عشرات من الأهل والأقارب والجيران ملتفون حولى يتفرسون صورتى التى غيبها الزمن عن ذاكرتهم ، وأنا أيضاً أتفرس فى وجوههم وأجسامهم ، ولكننى لا أعرف منهم إلا القلة من كبار السن ، رفعت رأسى عالياً ونظرت الى شجرة العنب التى تظللنا وأخذت أحيى «دالية» الخير التى مازالت وفية على عهدها وعطائها ، ولكن ما بالى شردت فى أفكارى ، والأحباب حولى ، هل أقول الحقيقة ؟ أجل سوف أقولها فطالما أرقنى كتمانها : أقسم بالله العلي العظيم أننى فى تلك اللحظات شككت فى حقيقة وجودى بين أهلى ، وظننت ـ بينى وبين نفسى ـ أننى أعيش فى حلم ممتع ، وسيطر ذلك الشعور على تفكيرى ، فأردت أن أعرف الحقيقة وأتأكد مما أشك فيه ، فضغطت على أصبعى بشدة ، فشعرت بالألم ، فاستبشرت خيرا ، ثم شربت ماء وتعمدت أن تسقط بعض القطرات الباردة على وجهى وصدرى ، وقد ثبت لدى «بالتجربة والبرهان» أننى موجود بين أهلى فى خان يونس !





وتوجهت برفقة أخى الى «مقبرة الشيخ يوسف» لزيارة ضريح والدى رحمه الله حسب السنة النبوية الشريفة ، فسلمت عليه ، ووقفت على قبره ، وتذكرت فى تلك اللحظات احدى امنياته التى كان يرددها على اسماعنا : اتمنى ان اقتل يهوديا واحدا ثم اموت !

ووجدت من واجبى أن أزور الأضرحة المجاورة فقال أخى عدنان : ان اغلب هذه القبور تخص الشهداء الذين لقوا وجه ربهم فى مجزرة خان يونس إبان العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦ م يوم استباح اليهود أرواح الناس واموالهم واعراضهم ، فانقضوا على البيوت وافرزوا الشباب ثم قتلوهم زرافات زرافات على سور القلعة وفى الملاجىء ، والساحات العامة ، ونظرت على شواهد القبور فاذا بى اقرأ اسماء الاخوين نظمى وفؤاد العالى ، والاخوين عطا ومجدى بربخ ، والأخوين حسن وندير البطة ، والاخوين فائق ونعيم صوالى ، خليل احمد الاغا ، رمضان الخطيب ، علم العلمى ، محمود شبلاق ، الحاج مصطفى الاغا ، محمد كامل الشقرة ، الحاج محمود الأزعر ، محمد ابو الكاس اضافة الى اسماء عديدة اخرى لا يتسع المجال لسردها .

وفى طريقنا الى البيت مررنا بقلعة خان يونس الأثرية الشامخة ، ورأيت أن أصحب معى كرام القراء لنقرأ معا صفحة من حياتها .. وحياة مدينة الشهداء .

نظرة عامة

فى اواخر العهد البريطانى الأسود على فلسطين (١٩١٧ ـ ١٩٤٨) كان قضاء غزة يشتمل على ثلاث مدن رئيسية هى : غزة ، وخان يونس ، والمجدل ، اضافة الى اربع وخمسين قرية من اشهرها : رفح ، دير البلح ، الفالوجة ، بنى سهيلة ، عبسان ، خزاعة ، بربرة ، بيت دراس ، حمامة ، اسدود ، جباليا ، المسمية ، القسطينة ، السوافير ، عراق المنشية .

وقد كان من نتائج حرب فلسطين عام ١٩٤٨ م ان استولى الصهاينة على جزء كبير من هذا القضاء ، بينما احتفظت مصر بالمنطقة المعروفة حاليا باسم قطاع غزة ، والذى يشتمل على مدن غزة وخان يونس ورفح . وكانت من نتائج حرب عام ١٩٥٦ ان احتل اليهود هذا القطاع الباسل حوالى أربعة اشهر ثم سحبوا منه (٢٩ نوفمبر ـ ٧ مارس ١٩٥٧ م) وكان ايضا من نتائج حرب حزيران عام ١٩٦٧ م ان استولى الاسرائيليون مرة اخرى على هذا القطاع .

وبرغم مرور أربعة عشر عاما على احتلالهم له إلا انهم قد فشلوا فى ترويضه واستئناسه ، وما انفك سكانه ـ الذين يبلغون نصف مليون نسمة ـ ينتظرون يوم تحريره وبقية الأراضى المحتلة من جبروت الغاصبين .

أصل التسمية

خان يونس مدينة حديثة الانشاء لا يتجاوز عمرها ستمائة عام واسمها مركب من مقطعين .. «خان» بمعنى فندق او نزل .. و «يونس» نسبة الى مؤسسها الأمير «يونس النوروزى الداوادار» . وقد كان مقربا لدى السلطان سيف الدين برقوق اول ملوك المماليك الشركسية الذى تولى عرش مصر فى عام ١٣٨٢ م .

وقد حدث ان احد ولاة حلب قد اعلن العصيان على السلطان برقوق فانتدب له الأمير يونس ليقوم بتاديبه واعادته الى الحظيرة المملوكية .. غير انه اخفق فى حملته .. وفى طريق عودته الى مصر قتل بصورة غامضة على مشارف دمشق عام ١٣٨٨ م ... ولم يعرف له قبر . ويروى عنه انه كان عابدا زاهدا كثير الصوم والصلاة .. يحب الفقراء والمساكين ويكرم الفقهاء والعلماء والاتقياء .

وقد بنى الأمير يونس هذا الخان عام ٧٨٩ هـ ـ ١٣٨٧ م على هيئة قلعة ضخمة حصينة ، عالية الجدران حتى تكون مامنا للتجار والمسافرين الذين كانوا يستريحون وهم فى طريقهم من الشام الى مصر او العكس .. ومع مرور الزمن وقلة الاهتمام تصدعت كثير من جدران هذه القلعة إلا ان واجهتها الغربية مازالت سليمة ، إضافة الى قسم كبير من الحائط الجنوبى .

ويوجد فى أعلى باب القلعة بعض الكتابات التى تشير الى اسم مؤسس الخان «الداوادار يونس» والى تاريخ التاسيس «وتم الخان لتسع سنين مضت بعد ثمانين بعون الجليل وسبع مئة» .

ويوجد على مسجد القلعة قطعة رخام نقشت عليها هذه الأسطر :

(بسم الله الرحمن الرحيم «إنما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الأخر ولم يخش إلا الله فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين» ، انشاه الموفق الشريف العالى الملوى الأميرى المشاغرى الشرفى يونس داوادار مولانا السلطان الملك الظاهر نشر الله عدله وبلغه امله امين) .

والى جانب هذا الكلام تم نقش شعار الأمير يونس وهو عبارة عن كاسين ومحبرة .

وتطلق العامة حاليا كلمة «قلاعى» على من يسكن مدينة خان يونس من سكانها الأصليين .

أحداث فى تاريخها

لقد شهدت خان يونس بعض الأحداث الكبيرة فى تاريخها ، ومن أهمها :

● كانت ملتقى للجيش العثمانى والجيش المصرى ، حيث انهزم الأخير واضحت المدينة تحت سيطرة العثمانيين فى ديسمبر عام

النصب التذكارى لشهداء خان يونس (١٩٥٦)



خان يونس..
مدينة الشهداء

١٥١٧ م .

● بعد أن استولى نابليون على مصر توجه الى سورية عن طريق العريش وغزة عام ١٧٩٩ وبعد أن سقطت العريش فى يده واصل الجيش الفرنسى زحفه وكان (كليبر) فى مقدمة الجيش و (لان) فى المؤخرة .

أما نابليون ذاته فقد تأخر عن الركب لبعض شأنه .. ثم أسرع للالتحاق بجيشه عند رفح . ولم يكن هناك أى دليل يشير على أن كليبر قد سار من تلك الطريق ، وازداد الشك فى احتمال أن يكون الجيش قد ضل الطريق ..وسار نابليون ومن معه بسرعة فائقة الى الأمام نحو خان يونس .. غير انهم لم يعثروا على الجيش .. ووجدوا أنفسهم وحيدين أمام عرب خان يونس الذين لم يعرفوا هوية القائد الكبير ..وخشى نابليون من جانبه أن ياسره أعداؤه فاضطر الى الفرار بجلده بعيدا عن الأعين ، ولم يلتق بجيشه إلا فى اليوم التالى .

وهكذا ضاعت الفرصة ، فلو عرف أهل خان يونس شخصية نابليون لألقوا القبض عليه ولو فعلوا ذلك لتغير مجرى التاريخ .

● تتفق كافة المصادر العربية والاسرائيلية وهيئة الأمم المتحدة على كبر حجم نشاط الفدائيين الفلسطينيين بقطاع غزة فى الفترة ما بين سبتمبر عام ١٩٥٥ حتى نوفمبر عام ١٩٥٦ وقد تميزت عمليات الفدائيين بالقوة وخصوصا تلك التى كانت تتم مباشرة بعد غارات اسرائيلية على اهداف فلسطينية .. كحادثة قصف مستشفى غزة وقتل وجرح حوالى مائة شخص معظمهم من المرضى فى ٢٨ شباط عام ١٩٥٥م وعلى مدينة خان يونس فى نهاية شهر ايار من نفس العام حيث استشهد أكثر من عشرين شخصا وجرح أكثر من عشرين اخرين .

وكذلك « غارة المركز » التى حدثت ليلة ٣١ سبتمبر من نفس العام أيضا حيث هاجمت وحدة اسرائيلية محمولة مركز البوليس فى خان يونس عشاء . وفجرت معظم المبنى على من فيه من عسكريين ومدنيين . وقد قتل فى هذه الغارة ستة واربعون قتيلا وخمسون جريحا ، وقد اعلنت اسرائيل « اختيار مركز بوليس خان يونس كهدف للهجوم لأن عمليات الفدائيين كانت تقاد منه » .

ولم تكتف اسرائيل بانتهاج سبيل الغارات والاعتداءات انتقاما من النشاط الفدائى فى القطاع بل عمدت الى أسلوب الاغتيال الفردى بواسطة الطرود المتفجرة ، وقد استشهد من جرائها البطل المصرى المقدم مصطفى حافظ المسئول الأول عن تنظيم نشاط الفدائيين الفلسطينيين يوم ١٣ يوليو عام ١٩٥٦م . فكان استشهاده ضربة قاصمة للنشاط الفدائى بشكل عام حيث (كانت علاقة الفدائيين به اقرب ما تكون الى العلاقة الابوية ، ولقد تم نسج درجة عالية جدا من الثقة به حيث كان يلم بادق تفاصيل حياتهم وهمومهم اليومية) .

وفى اليوم التالى انفجر طرد مشابه أودى بحياة المقدم صلاح مصطفى ملحق مصر العسكرى فى العاصمة الأردنية .

خان يونس والعدوان

لقد كانت المقاومة العربية فى قطاع غزة ضارية ضد أطراف العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م ، وكانت المقاومة على جبهة خان يونس أشد عنفا بالقياس للقتال الذى شهدته مدينة غزة مما أدى الى « تعطيل تقدم القوات الاسرائيلية الى قطاع خان يونس الى حين الاستعانة بالدبابات لتحطيم الحزام الدفاعى ، وقد اطلقت فى هذا الصباح أكثر من ثمانين الف طلقة لتطهير المواقع » كما يقول مجرم الحرب موشى ديان .

واما المؤرخ العسكرى المعروف ادغار اوبلانس فيقول واصفا مقاومة خان يونس : « حالما دخلت القوات الاسرائيلية اجبرت على التوقف ، فقد كانت بيد الفلسطينيين بعض المواقع الجيدة حيث كانوا يصبون النار منها على المهاجمين من اسلحة الية متوسطة ، وعندها قرر قائد الكتيبة التوقف واحضار دباباته لاسناد الهجوم . ولم يبدأ بالتحرك باتجاه الجنوب قبل حوالى منتصف الليل ، وفى هذا الوقت كانت الكتيبة الثانية قد استكملت احتلال غزة ..وتحركت جنوبا باتجاه خان يونس للمساعدة في احتلال المدينة التي استمرت في المقاومة الباسلة ، وجابهت المعتدي بعنف وقاتلته من موقع الى موقع الى درجة ثمة نقطة دفاعية داخل المدينة استمرت في المقاومة الامر الذي اجبر العدو على الاستعانة بالطيران حيث وجهت اليها ضربة جوية ادت الى شل مقاومتها نهائيا» .

ويقول المؤرخ العربي الاستاذ حسين ابو النمل : «لابد من تسجيل الدور القتالي الذي لعبه الفدائيون الفلسطينيون وخصوصا في نقطة تجمعهم الرئيسية في خان يونس ، حيث صمدوا حتى اللحظة الاخيرة ، ومن تبقى منهم بعد سقوط مواقعهم شقوا طريقهم الى داخل الارض المحتلة ، ومن هناك عبروا الى الضفة الغربية للاردن .. هذا .. اضافة الى دورهم في انقاذ عددكبير من الضباط المصريين ممن لم يتمكنوا من الانسحاب في بدء المعركة ، وذلك من خلال تهريب هؤلاء الضباط الى مصر » .

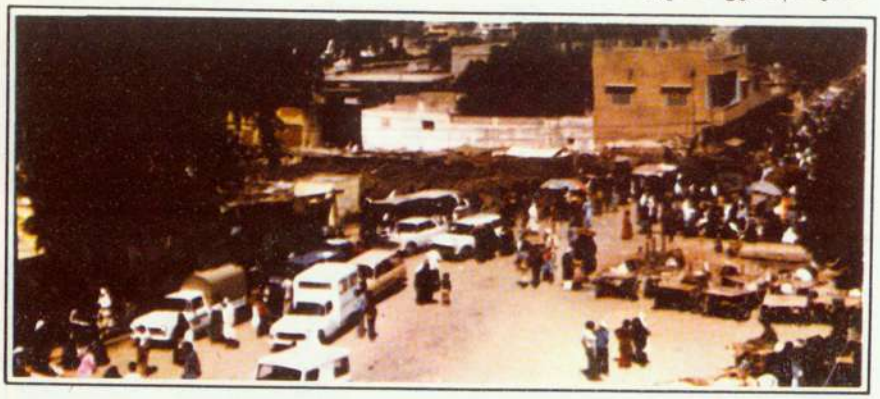
ووقعت خان يونس فى قبضة غريمها وبقدر عنف ضربات الفدائيين المؤثرة فى الكيان الصهيونى كانت درجة الانتقام شديدة من المدنيين الفلسطينيين ...ولقد كررت اسرائيل فى خان يونس الأساليب الارهابية نفسها التى طالما لجأت اليها عبر تاريخ الاجرام اليهودى الطويل ، وبمجرد دخولها القطاع ارتكبت سلسلة من المذابح استهدفت العنصر البشرى الفلسطينى بالذات كما حدث فى غزة ورفح ..

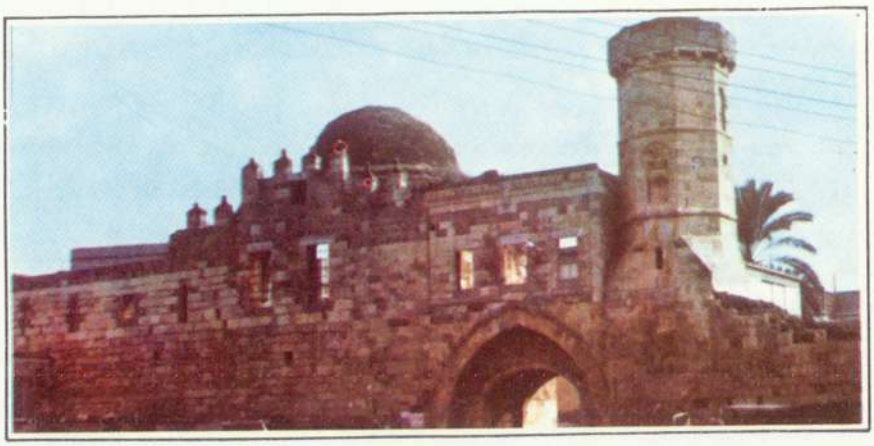
ولا يتسع المجال لسرد نماذج مأساوية عديدة حدثت فى الأيام الثلاثة الأولى التى اعقبت احتلال خان يونس ، وحسب احصاءات الأمم المتحدة فقد فقدت المدينة ٤١٥ شهيدا ، و ٣٨٨ جريحا ، و ٥٧ مفقودا ..

ولقد استشهد الزعيم العربى الخالد جمال عبد الناصر بكفاح مدينة خان يونس تسع مرات فى مناسبات عديدة ،كقوله فى إحداها : « لقد حارب الشعب الفلسطينى فى غزة وخان يونس ورفح ، وهو يعلم أن الجيش المصرى قد انسحب ولكنهم حاربوا دفاعا عن شرفهم وكرامتهم ، وفى خان يونس كانت هناك معركة مريرة عنيفة مات فيها عدد كبير من المدنيين ، واثبت هذا الشعب انه لم تؤثر فيه المحن » .

ولقد انسحب الاسرائيليون من قطاع غزة يوم ٧ من مارس ١٩٥٧م ، ومن المصادفات غير السعيدة ان يعودوا اليه بعد عشر سنوات اى فى السادس من يونيو ١٩٦٧م ، وتتكرر صور شتى للبطولة والفداء ، لكن ليل الهزيمة أرخى سدوله عليها فطمسها ، ونتيجة لكفاح خان يونس فلقد نظر اليها العسكريون اليهود نظرة خاصة وحفاظا منهم على ارواح مدنييهم الذين تعاقبوا على زيارة « المناطق المحررة » فلقد كتبوا اليهم تحذيرات عديدة فى مدخل المدينة قالوا فيها :

منظر عام لسوق الخميس .





قلعة خان يونس رمز للصلابة والصمود .

احذروا مدينة القتلة ، احذروا مدينة السفلة ! .

ولكن قبيل احتلال المدينة حدثت امور بلغت غاية الدهشة والغرابة ، فقد فوجىء كل السكان فى المدينة – وبلا استثناء – بدخول عربة جيب عسكرية تتقدم رتلا من الدبابات التى ترفع الاعلام الجزائرية والعراقية والفلسطينية ، وتصدر من مكبرات الصوت فيها اعذب الالحان الثورية ، واشجى اغانى الوحدة العربية ، اضافة الى وجود بعض ايات القران الكريم مكتوبة بخط جميل على اجزاء الدبابات .

واستبشر الناس – كل الناس – بقرب تحقيق احلام النصر والعودة والتحرير ، فاخذوا يتهافتون على الدبابات فى حبور وسرور ، ويقدمون لاطقمها البشرية كل مظاهر الترحيب والتاييد والعرفان بالجميل !

وتمركزت تلك القوى فى المراكز الحيوية فى المدينة ، واخذت تقصف مواقعنا ، وجماهيرنا ، وطموحاتنا ، واحلامنا وكان تدمير عربة الجيب وقتل قائد الرتل ثانى اعلان حقيقى عن اكتشاف الخديعة المحكمة التدبير التى لجا اليه العدو فى خان يونس ، وسيمضى وقت طويل قبل ان يتحول جليد الهزيمة الى نار موقدة تلتهم الاتكالية والارتجالية والتخاذل ! .

واقع المدينة

تقع خان يونس على الخط الحديدى الرئيسى الذى يمتد من القاهرة الى حيفا ، وقد كانت لهذا الخط اهمية كبيرة إبان الانتداب البريطانى واستخدام القوات البريطانية المتواجدة فى مصر وفلسطين له ، وكثيرا ما كان هذا الخط هدفا لهجمات الثوار الفلسطينيين وبخاصة خلال ثورة عام ١٩٣٦م ، وقد سجل شباب خان يونس فى تلك الفترة كثيرا من الهجمات الناجحة التى استهدفت الخط والقطارات البريطانية.

وتجاور خان يونس اراضى رفح ودير البلح وبنى سهيلة وعبسان وقضاء بئر السبع . وقد دعيت قرية « بنى سهيلة » باسمها الحالى نسبة الى « بنى سهيل » إحدى بطون قبيلة « بنى جذيمة » العربية الاصيلة التى نزلت هذه الديار فى صدر الاسلام ، ومن عائلاتها المشهورة .. ابو دقه ، البريم ، الدقس ، الدغمة ، القرا ، قديح ، ابو فياض ، ابو طعيمة ، ابو لحية ، خاطر . اما قرية « عبسان » فقد عرفت منذ اكثر من الف سنة ، وقد اطلق عليها هذا الاسم لانها كانت تضم مضربين من مضارب بنى عبس ، والعباسنة بطن من بطون قبيلة لخم العربية التى سكنت هذه الديار فى فجر الاسلام ، وينتمى بعضهم الى قبيلة « بنى مسعود » . وتشمل اراضى خان يونس ضاحية « القرارة » ومعناها « الروضة المنخفضة وبسبب خصوبة هذه المنطقة فقد كانت فى القرن الماضى هدفا لصراع مرير بين قبائل التياها والترابين من جانب وبين السواركة والرميلات من قبائل سيناء فى الجانب الاخر ، وانتهت بعقد صلح القرارة بينهم فى شتاء عام ١٨٥٦م . وتسكن القرارة حاليا عائلة « العبادلة » او « عبد الاله » وهم من اشهر بطون بنى جذيمة ، وهم مشهورون بالتقوى والكرم وحسن الخلق .

ومن ضواحى المدينة ايضا « السطر » قاع القرين ، العلوة ، المعسكر ، السطلان ، سوق الخميس ، ظهرة الشيخ محمد ، جورة اللوت .

ولخان يونس اراض زراعية مهمة على شاطىء البحر الابيض المتوسط معروفة باسم المواصى .. وهى عبارة عن مزارع خصبة تحيطها الكثبان الرملية البيضاء اللامعة وتمتد على محاذاة الساحل ، وكثير من هذه المواصى لا تبتعد عن الشاطىء اكثر من ثلاثمائة متر تقريبا ، ومما يزيد فى اهميتها عذوبة الماء ووفرته بصورة دائمة وسهلة ، وهى لا تكلف الفلاح اكثر من حفر حفرة لا تزيد عن المتر او المترين فيتوفر له الماء العذب !

عادات اصيلة

بلغ عدد سكان خان يونس الاصليين عام ١٩٤٦م ما يقرب من ١٣ الف نسمة وفى عام ١٩٦٣م وصل عددهم الى حوالى ٧٠ الف نسمة بما فيهم سكان المخيم الذين وفدوا الى المدينة بعد عام ١٩٤٨م .

ويعود السكان الاصليون بجذورهم الاولى الى مختلف القبائل العربية التى نزلت قديما الى هذه المنطقة . وبينهم جماعات من الاتراك والشراكسة الذين كانت تعهد لهم حراسة القلعة ، وبعضهم وفد اليها من مصر .

ويقول استاذنا مصطفى مراد الدباغ عن اهل خان يونس : « عرف اهل خان يونس بتمسكهم بعاداتهم العربية والاسلامية ، فهم كرماء لضيوفهم ، محافظون على تقاليدهم وشعائر دينهم ، ولعائلاتها « دواوين » يجتمعون فيها ، وهم فى عاداتهم اقرب الى القبائل العربية منهم الى اهل المدن » .

والديوان فى خان يونس عبارة عن مجلس واسع مخصص لقبيلة معينة تفتح ابوابه فى العادة ظهرا ، وتقام فيه جميع الصلوات اذا كانت المساجد بعيدة . ويتحدث فيه افراد العائلة في شئون حياتهم ويناقشون مشاكلهم ويشربون القهوة العربية «السادة» ويستقبلون ضيوفهم ، ويحيون افراحهم ، او يقيمون ماتمهم ..

اما فى شهر رمضان المبارك فيتحول هذا الديوان الى مضافة عامرة بالضيوف الذين يفدون اليه لتناول طعام الافطار الذى يتكفل به المختار او العمدة وبعض اثرياء العائلة طوال الشهر .

واشهر دواوين خان يونس هي التى تخص عائلات : الاغا ، الفرا ، الاسطل ، العبادله ، شراب ، العقاد ، شبير ، المصري .

ومن العائلات المعروفة في البلد : الجبور ، الشاعر ، زعرب ، عاشور ، القدرة شهوان ، اللحام ابو ناهية ، ابو شقرة ، الطويل ، فارس ، البطة ، صادق ، المجايدة ، الغوافير ، وافي .

وينسب الى خان يونس عدد من الشعراء المجيدين : احمد فرح عقيلان ، عبد الحميد طقش عبد الشكور الطويل ، عبد الدائم عاشور ، زكريا العقاد ، كما عرفت المدينة رهطا من الشخصيات البارزة التي كان لها اثر محمود في المجالات الوطنية والاجتماعية والعلمية والدينية ، وتركت بعد رحيلها سيرة معطارة من مثل المرحومين الشيخ سعيد حمدان الاغا ، الشيخ حافظ البطة ، عبد الرحمن الفرا ، الحاج مصطفى العبادله، الحاج حافظ الاغا، الشيخ الشهيد عبد الله ابو ستة ، القاضى الشهيد شوقى الفرا المحامى الشهيد احمد الاسطل وغيرهم .

● ● ●

مكثت اسبوعين بين احضان امى ومدينتى ، وازفت ساعة الرحيل بعد ان اوشكت على الانتهاء صلاحية تصريح الزيارة الصهيونى ، وكانت لحظة الفراق شاقةومؤثرة ، فلقد تجمع الكثيرون من الاهل والاحباب والجيران للمشاركة في الوداع كما هى العادة في بلدنا ، وخوفا من تكرار عملية تهشيم الابريق على عتبة البيت فلقد عمدت الى اخفاء كل اباريق الدار بعيدا عن عينى امى .

وحينما وصلت الى الطرف الشمالى من خان يونس ، تلفت ورائى مودعا قلعتها ، ومأذنها ، واشجار النخيل الباسقة فيها ، والقيت عليها نظراتى الحانية ، وقلبى يلهج بمقولة الحبيب المصطفى وهو يخاطب مكة لحظة وداعه لها : « ما اطيبك من بلد واحبك الى ، ولولا ان قومى اخرجونى منك ما سكنت غيرك » .

نبيل خالد الاغا



النملة وقرص الخبز الأسود

أم أكثم

كابوس!!؟

نعم كابوس يفترش عقلي الباطن كعباءة بدوي بلون الصحراء .. بحاجة لمن يقرص أذني لأفيق .. لابد أنني تأثرت بكثرة الروايات التي قرأتها عن التيه في الصحراء .. ترسبت في قاع بحيرتي الراكد .. صرخت بأعلى صوتي وأنا مغروسة في الرمل كنبتة شوكية .. وعاد الصدى كبوق عتيق يعلن للملأ ضياع شيء مفقود .. الصحراء تابوت للصمت (الصمت تابوت للصحراء) من يقرص أذني .. لا أحد .. حذرت الجميع من محاولة ايقاظي مهما حدث .. لن يجرؤ أحد على انتشالي من هذا التيه .. هل هي دعابة .. ربما .. تركتهم منذ ساعات يخيمون بجوار أحد التلال .. انطلقوا جميعا لممارسة هواية الصيد .. وعدوت أنا لتسلق الكثبان الرملية !!! ألم يفتقدوني بعد هذه الساعات البطيئة المتساقطة من قربه محكمة الاغلاق ! .. يتمدد القلق في نفسي .. أحس بأطرافه المتمددة حية تتحرك في داخلي كجنين ..

أتذكر نملة تمشي على قرص خبز أسمر !! هل أنا نملة ؟!

أتذكر فيلما شهدته (الفتى المفقود) ثم شاهدته ثانية بعنوان آخر (تحت الشمس المحرقة) ولكني أبدا لم أشاهده بعنوانه الحقيقي ..!

هل جننت ؟ النملة !! .. (وتحت الشمس المحرقة)!

خلف أى تل يخيمون .. أجرى فى كل اتجاه .. وحيثما استدرت تلتقي السماء مع الارض .. كلما حاولت الاقتراب من نقطة الالتقاء .. ابتعدت السماء والارض .. الصحراء مساحاتها المنبسطة متشابهة .. لم الخوف ؟ مازال الوقت مبكراً .. ونباتاتها الشوكية متشابهة .. أحدنا سيعثر على الآخر .. وتلالها متشابهة أيضاً .. لم الخوف ؟! الصحراء ذات وجه واحد !!

تسلقت احدى التلال .. تدحرجت عليها .. تدثرت برمالها القمحية .. الصحراء رحم حريتي الحقيقية .. ما اشسعها من أمومة !.. عندما تغرب معالم المدينة يهتف أخي ضاحكا (هالحين على كيفك) .. أسرع بانعتاقي من العباءة .. أفتح النافذة .. أترك صدري مفتوحا للهواء .. ما أن تنغرس قدمي كشتلة طرية في رمال الصحراء حتى انتزعها واعدو دون أن التفت لمن حولي .. أصرخ .. أتشقلب كقردة صغيرة شقية مدربة .. ينحسر ثوبي عن جسدي .. لا يهم .. الصحراء مدينة بلا قيود .. مدينة أصنعها أنا .. القلق يتمدد .. أمشي تجاه نباتات شوكية . واثقة أنني مررت بها أثناء عدوي .. وأيضا خلفي نباتات أخرى مشابهة ! أحاول تبديد الخوف من نفسي .. تحتشد اقاصيص التيه خلف سد مشروخ فى محاولة للتجلد .. بطل (النهايات) تابوته كان صحراء شاسعة وكلباً يجثو بجواره .. يحميه من الجوارح الكاسرة ! .

لكنى بلا كلب !! .

أتذكر .. النملة .. وقرص الخبز الأسمر !! آخرون ماتوا فى صهريج وسط الصحراء جرياً وراء الجنة !! .

وأنا لا أحلم بالجنة !!

قرقعة سد يوشك على الانهيار .. ؟!

أتذكر حكاية البدوى الذى اختطف فتاة وطلب فدية تبلغ (عشر روبيات) ضحكت يوم حدثتنى بها جدتى واتسعت عيناها هلعاً وأنا أحدثها عن حكايا الاختطاف فى أيامنا هذه .. وعن عصر الألوية الحمراء والخضراء والصفراء !!!

الآن .. أريد بدوياً يختطفنى بعشرة ريالات وأمامها عشرة أصفار إن اراد !!

لا داعى للخوف .. الفصل ربيع .. والناس ينتشرون هذه الأيام فى الصحراء .. الشمس تغسل الصحراء بهدوء .. وأغتسل أنا معها .. ينتفض قلبى فجأة كسمكة أخرجت من الماء .. أتذكر .. ماذا فعلت الشمس بغريب (كامو) الضائع .. قتل آخر .. من اقتل ؟ نفسى ؟! لا أحد غيرى .. التيه .. إما أن تكون قاتلا أو مقتولا ..

تزداد القرقعة وضوحاً .. تراها نبوءة سد مأرب ؟! .

أجرى .. وأنا أزعق بكل الأسماء .. الشمس تطاردنى .. عشرات الحكايات تطاردنى .. لكنى لست بطلة فى قصة .. لابد أنهم سيأتون .. آه .. الطائر .. سيمشطون الصحراء بحثاً عنى .. علي أن أهدأ .. ماذا يفعل التائه .. يجب أن اساعدهم للعثور علي .. يجب أن استعد .. بماذا ألوح لهم .. لا أملك شيئاً .. عدا .. عدا ثوبى .. ثوبى ؟! .. وأبقى شبه عارية .. ماذا سيقولون .. انتزعت ثوبها لتلوح به وتنجو .. أم تراهم يفضلون أن أموت وثوبى يكسونى .. ركعت على الأرض .. لم يواجه أحد هذه المعضلة .. كل أبطال التية كانوا رجالا .. عدا أنا ..

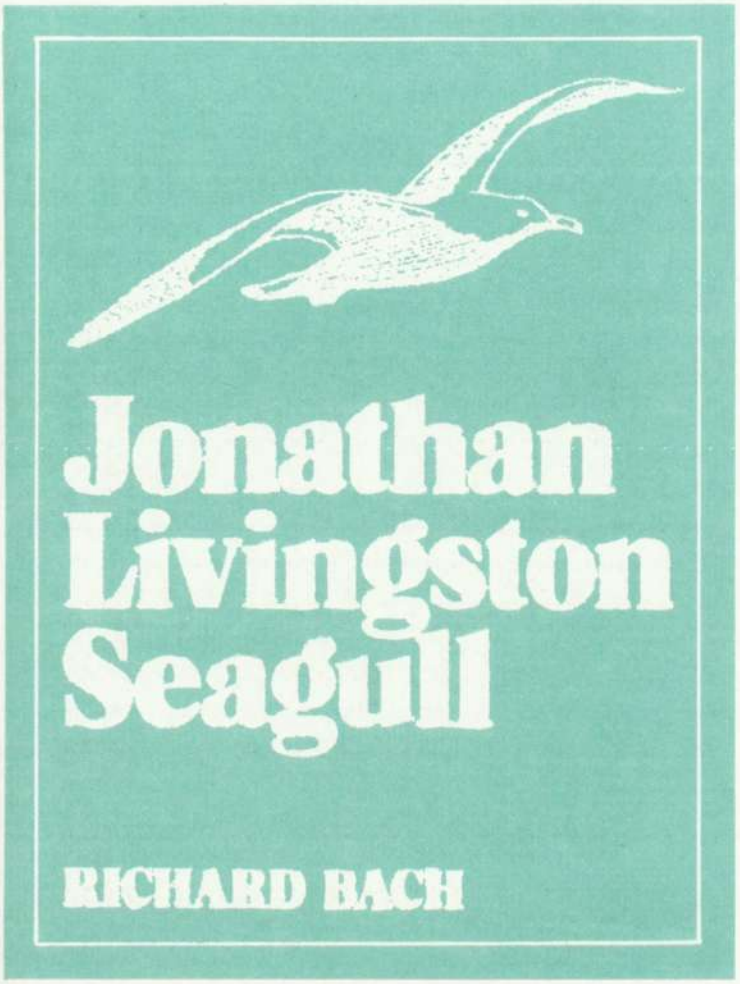
تتسع حدقة الشمس .. وأنا التى يجب أن تقرر .. !

العطش .. قطعة نشاف امتصت كل محاولة منى لترطيب شفتى .. اتلفت وأنا جاثية .. الماء يلوح لي من كل صوب .. لن يخدعنى سراب .. لن أجهد نفسى .. سراب .. أدرك ذلك .. سأبقى .. يروعنى صمت الصحراء .. كان للصمت صوتاً .. كان للصمت لزوجة تمتد تطوق جسدى .. أحتضن صدرى .. أصرخ .. أدفن وجهى فى الرمال ..

ألم يفتقدونى بعد مرور هذه الساعات البطيئة المتساقطة من قربة محكمة الاغلاق ؟!! .

أرفع رأسى .. يجرى جدول صغير صامت من الحزن المقهور يبلل شفتى .. أتطلع فى انكسار .. هل اصدق .. تلوح طيور من بعيد .. هل اصدق .. اتذكر .. الطيور دليل وجود حياة .. طيور !! كانت الصحراء تغتسل بحمرة الأفق القانية .. وكانت الشمس تختفى بحياء متشوق فى خدرها .. طيور !! واستحالت الصحراء الى سبائك من ذهب !! طيور !! كنت انتزع السبائك معي فى عدوى .. طيور !! كانت أصواتها تقترب .. وأنا اقترب .. تزداد القرقعة وضوحاً .. وأنا اقترب .. كانت الطيور تقيم حفل عرس حول حيوان مات للتو .. شهقت .. كان (جثمان) الحيوان حارا .. وكانت نظرته طرية .. انهار السد .. واجتاحتنى لعنة مأرب .

كتاب الشهر



النورس
يبحث عن الحرية

عرض وتقديم : الفاتح إبراهيم أحمد

المؤلف : ريتشارد باخ .. طيار امريكى الجنسية
له عدة مؤلفات نذكر منها الوهم وبلا اجنحة ..

●● «إلى النورس الحقيقى جوناثان الذى يسكن داخلنا جميعا» تلك هى كلمات الاهداء ، وهى تقود القارىء بلا عناء وفى لمسة رقيقة بارعة إلى المعانى البعيدة التى عناها الكاتب .

ويقول الكاتب «ريتشارد باخ» فى نهاية القصة التى اطلق عليها عنوان «النورس جوناثان لفنجستون» : «ينبغى ان تفهموا ان صورة النورس الكامل الأعلى ماهى إلا فكرة مطلقة للحرية » .

وبين الاهداء الذى استهل به الكاتب القصة ببراعة اخاذة والكلمات التى جاءت فى الختام تموج الصفحات بالأفكار لسامية والرمز .. متناولة موضوعات التعليم والكشف وريادة المجهول مشيرة إلى الاصرار على النجاح موضحة معانى التفرد وعدم الاستسلام للعقل الجمعى .. إنه فرد فى جماعة تريده أن يستسلم لقانونها العتيق ، غير انه يكسر هذه الحلقة ويمضى نحو الهدف فى نشوة وحرية ، ثم ياتى راجعا يحمل الجديد الأفضل لجماعته .. إنه اللاإنتماء إبتداء ، ثم الانتماء فى النهاية لمصلحة الجماعة.

إنه لا يكون انانيا فينبذ الجماعة مثلما نبذته وهددته بالقتل ، هو يرجع إليها ليعطيها من القبس الذى اصاب منه .. إنه لا يكون انانيا فيكتفى بالذى اصاب ويمكث في برجه العاجى متعاليا على مجتمعه ، وإنما كان لسان حاله يقول :

وإنى لو حبيت الخلد وحدى لما احببت فى الخلد إنفرادا

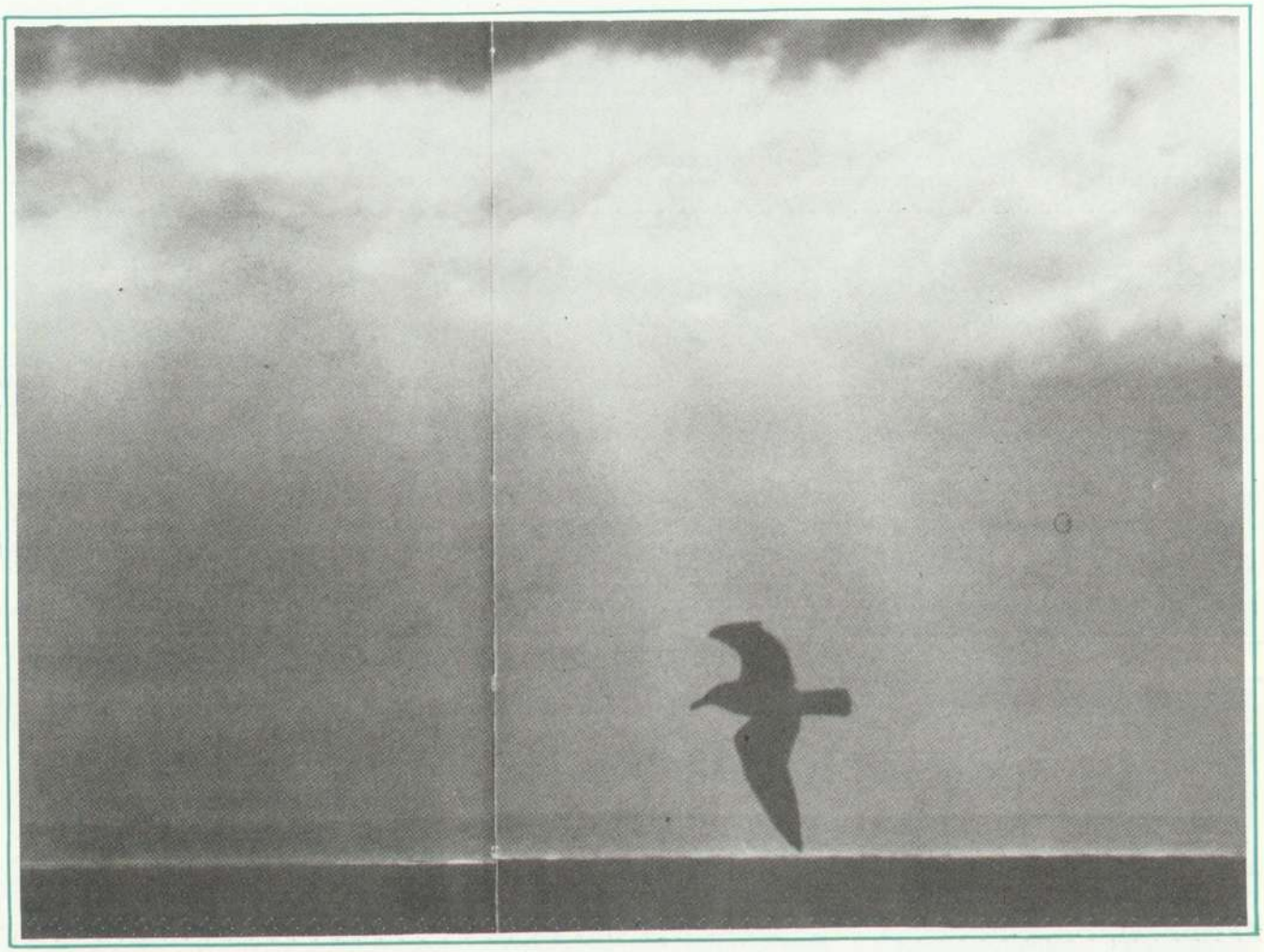
هذه قطرات مما تخفيه هذه التحفة الرائعة بين حناياها .. وقد اصابت هذه القصة قدرا كبيرا من الشهرة فى اوربا وامريكا ..واحدثت دوائر مازالت تتسع فى بحيرة الأدب الغربى .. ولقد انتجت هذه القصة عملا سينمائيا مع موسيقى الفنان العبقرى نيل دياموند ، وسعدت بمشاهدة هذا الفيلم فى إحدى المدن الأوربية عندما كان صدى القصة مازال يرن قويا .

لقد لقيت هذه القصة هوى فى قلب الانسان المعاصر ربما بسبب النورس جوناثان الذى يعيش فى داخلنا جميعا كما تقول كلمات الاهداء ..●●

« أشرق صباح يوم جديد .. والشمس تعكس أشعتها الذهبية على سطح البحر الهادىء ..
إحدى مراكب الصيد تشق المياه برفق ..

تجمعت على الرصيف آلاف من طيور النورس تتصارع وتتقاتل على قطع من بقايا الطعام .
إنها بداية يوم جديد مفعم بالنشاط ..

هكذا بدأ «ريتشارد باخ» تحفته الفنية وتمضى القصة .. نتجاوز سرب الطيور المتصارع على الفتات لنلتقى هناك بجوناثان لفنجستون يمارس تمارينه





لاستكشاف طرق جديدة للطيران .. إنه النورس جوناثان .. طائر غير عادى .. إن معظم طيور النورس لا تهتم بأن تتعلم أكثر من الحقائق البسيطة المعروفة للطيران .

إن حاجتها للطيران لا تتجاوز المسافة بين الشاطىء ومكان صيد الطعام ليس أكثر من ذلك .. أما بالنسبة لجوناثان فقضية الطعام لديه ليست مهمة كالطيران .. إن الطيران فقط هو غرامه.

عرف جوناثان أن طريقته فى التفكير هذه لا تجعله يتكيف مع بقية جماعته ، لذا كان يقضى يومه بكامله وحيداً مع تمارينه وتدريباته فى الطيران .

.. وقد شعر والداه بالقلق عليه من مغبة هذه الأفكار الغريبة التى تعتريه من دون أفراد السرب .

لماذا يصعب عليك أن تكون مثل البقية ؟ هكذا سألته أمه ليوقف هذه المحاولات التى هى ضد طبيعته التى خلق عليها .. ولكن جوناثان كان .. يجيبها بأن الشىء الوحيد الذى يهمه هو أن يعرف ما يستطيع وما لا يستطيع فعله فى الهواء. أما أبوه فقد نصحه إذا كان يريد أن يتعلم شيئاً ينفعه فعليه أن يتعلم طريقة للحصول على طعامه .

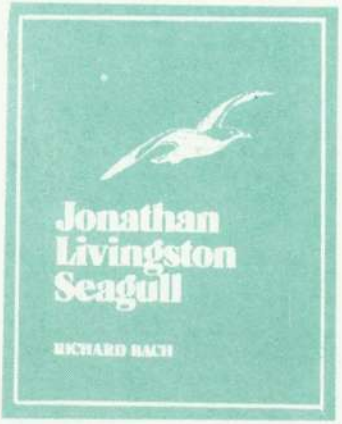
وأطاع جوناثان والديه وحاول فى الأيام التى تلت أن يسلك مثل بقية الطيور .. ويتصارع من أجل الطعام على رصيف البحر .. أو يتابع معها قوارب صيد الأسماك .

غير أن جوناثان لم يقتنع طويلا بذلك وقذف بقطعة سمك لنورس عجوز كان يلاحقه من أجلها .. وبدأ رحلة الكشف مرة أخرى .

ركز اهتمامه فى دروس السرعة .. وفى خلال اسبوع واحد استطاع أن يعرف الكثير فى هذا المجال ويحطم أكبر رقم فى السرعة بين طيور النورس ..

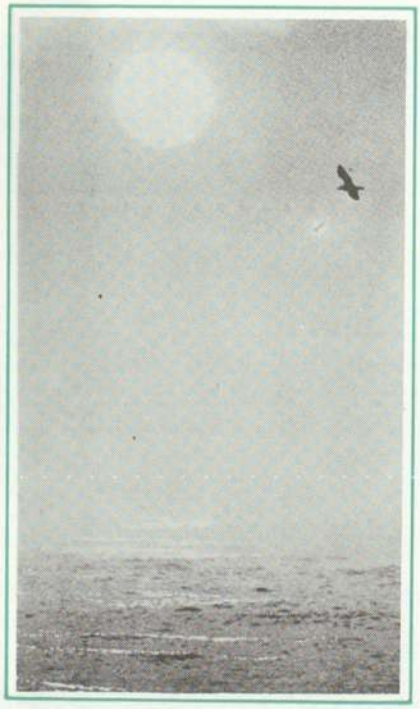
.. غير أن نجاحه لم يدم طويلا فقد ذاق مرارة الفشل وهوى مصطدماً بمياه المحيط ..

وهنا بدأ يسترجع كلام والديه له بأنه ليس لديه الاستعداد الطبيعى ليفعل أشياء فوق طاقته ، وبدا له أن ذلك صحيح .. فينبغى أن يقتنع ويعيش



كتاب الشهر

النورس يبحث عن الحرية





كبقية السرب ويمارس معهم حياتهم العادية .

منذ تلك اللحظة اقسم جوناثان أن يكون نورساً عادياً كبقية السرب وسعد الجميع بعودته إليهم مرة أخرى .. غير أنه مازال منشغلا بما حققه من تفوق فى عالم الطيران المنخفض ومازالت الأفكار تتجاذبه ثم يعود مرة أخرى لاقناع نفسه بأنه نورس عادى مثل البقية يطير مثلما يطيرون وكفى .. احس فى تلك اللحظة بسعادة غامرة أولا لعودته الى السرب ، ثانياً لأنه لم تعد تواجهه تلك التحديات التى تصاحب عملية التعليم واحتمالات الفشل والنجاح ..

عند حلول الظلام انبرى الصوت الهامس المقدس يهتف مرة أخرى منبهاً :

إن طيور النورس لا تطير فى الظلام . وإذا كنت تريد ذلك فينبغى أن يكون لديك الاستعداد الطبيعى كذوات الأجنحة القصيرة ..

ولم يستطيع جوناثان مقاومة الأغراء لف جناحيه وعمد الى كمش اطرافها كى تصبح قصيرة ، وقذف بنفسه من علو شاهق دون أن يفكر فى احتمالات الفشل والموت . إلا انه نجح .

ولم يشعر جوناثان بالأثم لعدم الوفاء بقسمه للجماعة ويبرر ذلك بقوله إن مثل هذه الوعود تنسحب على طيور النورس العادية التى تقبل بالمألوف وإن الذى يريد أن يتفوق عن طريق المعرفة والتعليم لا يهتم بمثل تلك العهود ..

وهكذا عاد لتمارينه مرة أخرى ..

وبعد جهود مضنية حقق أرقاماً قياسية فى عالم الطيران واكتشف طرقاً جديدة لم تخطر ببال أحد غيره .

وعندما عاد جوناثان الى السرب كان الظلام قد حل وكان تعباً منهكاً . وظن ساعتها أن الجميع سيكونون سعداء بما حققه من تفوق ونجاح.

إلا أن العكس هو الذى حدث .. ولم يصدق ما سمعه وراه منهم وقال إنهم مخطئون . إنهم لا يفهمون ..

غير أن لقاءه بهم كان عبارة عن محاكمة انعقدت للنظر فى أمر عقوقه وخروجه على الجماعة .

وقررت الجلسة بعد المداولات الحكم على جوناثان بالطرد من المجموعة وأن يعيش وحده منبوذا على صخرة بعيدة .

وأشارت المحكمة على جوناثان بانه سوف يعرف ويكتشف يوماً ما أن عدم الشعور بالمسئولية لا يأتى بثمرة طيبة ، أما جوناثان فقد أدهشه أن يوصف بعدم الشعور بالمسئولية وتساءل قائلا :

دلونى على أحد أكثر إحساساً بالمسئولية من هذا الذى يكرس جهده ونفسه للمتابعة والكشف من أجل معنى أكبر للحياة .. لقد بقينا سنوات عديدة نجرى وراء رؤوس الأسماك ولكن الآن نملك سبباً للحياة وللمعرفة والابداع ..

اعطونى فرصة واحدة حتى أريكم ..

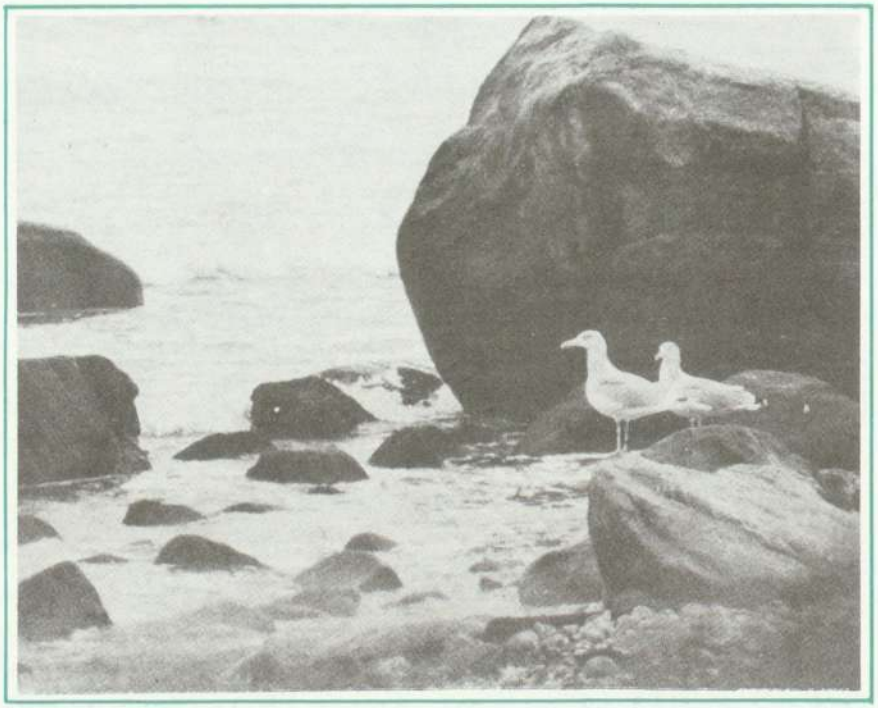
دعونى أعرض عليكم ما وجدته واكتشفته .

إلا أن الجماعة كلها أدارت له ظهرها

ومن ذلك الحين أصبح جوناثان وحيدا .. ولم ينزعج بوحدته ، بقدر ما شعر بالأسف على أن بقية زملائه رفضوا تصديق المجد الذى كان ينتظرهم .. وأحزنه أنهم لم يفتحوا بصيرتهم ليروا ما اكتشفه وعرفه فى عالم الطيران .. واستمر فى التعليم وعرف طرقاً جديدة للغوص وصيد الأسماك النادرة الشهية التى لا توجد إلا فى اعماق بعيدة ..

تعلم أن يجوب مئات الأميال من بزوغ الشمس حتى مغيبها .. يخترق ضباب البحر ويحلق فى أعلى السموات . وهكذا كان جوناثان . أما بقية طيور النورس فقد ظلت قابعة فى مكانها يحجبها الضباب والمطر من الرؤية البعيدة ..

وأكتشف جوناثان أن السبب فى قصر أعمار طيور النورس ما هو إلا استسلامها للقلق والخوف والغضب وعندما تخلص



هو من كل ذلك عاش بحق حياة سعيدة وطويلة ..

فى تلك الأماكن التى يرتادها جوناثان منفردا بالمعرفة والكشف التقى مرة باثنين من طيور النورس ..

استطاع هذان الطائران أن يقدما معه بعض المهارات وسألهما عن هويتهما وعرف منهما أنهما من جيل جديد من طيور النورس وأنه قد آن الأوان للمدرسة الجديدة أن تبدأ ..

وجد جوناثان مجتمعاً جديدا يهتم بالكشف والتعليم .

التقى بمن ينفقون الحياة فى نشدان الكمال ..

وعرف من المعلم كيف أنه قد مرت آلاف الحيوات حتى استطاعوا أن يتعلموا شيئاً من الكمال .. ثم مرت أزمان أخرى ليتعلموا أن الغرض من الحياة هو نشدان الكمال وممارسته .

وعرف أيضاً أن بلوغ السرعة الكاملة ليس معناه أن يطير ألف ميل فى الساعة أو مليوناً لأن الأرقام حد والكمال لا يعرف الحدود ..

وقد وجد جوناثان أن كبار النوارس فى تلك المجموعة ازدادت قوة بكبر العمر بدلا من أن يصيبها ذلك بالضعف

وتعلم أنه يمكنه أن يبلغ أى زمان أو مكان يريد عندما يفكر فى ذلك بتركيز والطريقة الى ذلك هى ألا يرى نفسه مسجوناً فى جسد محدود ..

وكرس جوناثان نفسه لحفظ التعاليم وأحس مع هؤلاء بأنه يجتاز عوالم جديدة لم يرها من قبل .

وتعلم من المعلم الأكبر كيف يتدرج حتى يتصف بالكمال ويبلغ الزمان والمكان الذى يريد ، .. وتعلم كيف يخترق حجب الماضى والمستقبل والكشف عن معانى الحق والجمال والحب .

وبمرور الأيام لزدادت المعارف عند جوناثان فى عالم الكمال الذى طالما نشده وأخذ يفكر فى أنه لو طبق اليسير جدا من ذلك فى مجتمعه القديم إذن لصارت الحياة عندهم أكثر معنى ..

آه لو يستطيع النزول من عليائه من السماء ليعلم أفراد مجتمعه كيف يخترقون الحجب ويعبرون نحو الحرية والكشف والابداع ..

وأشار إليه من معه من الصفوة الممتازة بان أهله لن يستطيعوا رؤية السماء وهم قابعون فى الأرض متشبثون بها .

ونصحوه بأن يبقى فى مكانه يساعد الجيل الجديد الذى هو فى مستوى كاف من العلو حتى يرى ما تريدهم أنت أن يروه ويتعلموا ماتريد منهم أن يتعلموه .

وبقى جوناثان مع الجيل الجديد ، إلا أن فكرة العودة الى المجتمع القديم للأخذ بيده كثيرا ما تلح عليه ..

وفعلا عاد لكن من بعيد وليس مباشرة وبدأ فى إعداد مشروع لتعليم جيل جديد من طيور النورس ..

وبعد ثلاثة شهور أصبح لديه ستة من التلاميذ المنبوذين من الجماعة . وكانت تعاليمه لهم هى تكريس الجهد لفكرة النورس الكامل النورس الأعلى . الى الفكرة المطلقة : الحرية . وأن يتحرروا من كل مايقف فى طريقهم لتحقيق ذلك ..

أحب التلاميذ الدرس لما فيه من المتعة واشفاء العطش من أجل المعرفة ..

وهكذا استمرت تعاليم الأستاذ لكسر الحلقة والابحار نحو عالم الكشف الجديد .

وبالرغم من سطوة القانون المتعارف بينهم منذ القدم والذى يمنع عودة النورس المنبوذ الى الجماعة مرة أخرى .. عاد جوناثان ومعه مجموعته الجديدة من المنبوذين .. ووسط دهشة الجميع قام هؤلاء المنبوذون وتحت توجيهات جوناثان المعلم وإرشاداته .. قاموا باستعراض ماعرفوه وتعلموه فى عالم الطيران .. فكان أروع ما رآه الجمع من فنون الطيران .

وفى الظلام تسللت بعض طيور النورس من الجمع ، واتجهت نحو مجموعة جوناثان من باب الفضول لمشاهدة تلك الطيور الفريدة .. وعند طلوع النهار هربت النوارس خوفاً من أن تكشف مجتمعاتها سر هذه الزيارة .

وبعد فترة خرج واحد من طيور الجماعة عليها والتحق بمجموعة جوناثان طلباً للعلم .

ويوماً بعد يوم تتسع الدائرة حول جوناثان ومجموعته .. وتاتى طيور النورس بغرض الاستفهام مرة ، ومرة لابداء الاحتقار ، وثالثة لتقديم آيات التقديس والتبجيل . وهكذا تدريجيا بدأت تعاليم جوناثان فى الانتشار .

اختفى جوناثان فى الفضاء البعيد بعد أن أوصى تلاميذه ألا يحاولوا أن يصنعوا منه اسطورة وأكد لهم إنما هو نورس يحب فن الطيران والكشف عن المجهول .

وبعد فترة من الوقت كان التلاميذ الجدد من زمرة جوناثان يتلقون أول درس لهم . يقول لهم المدرس :

« ينبغى أن تفهموا أن صورة النورس الكامل الأعلى ماهى إلا فكرة مطلقة للحرية » .

وهكذا بدأ جيل المعرفة الجديد ..

الفاتح ابراهيم أحمد

روايتان وكاتب له رؤية في الحياة

أبو المعاطي أبو النجا

«العدوى» هى الرواية الأولى للكاتب وليد أبو بكر ، و «الخيوط» هى الرواية الثانية وقد صدرت الروايتان عن دار الأداب فى عامى ٧٨ ، ١٩٨٠ ..

وفى تقديرى أن رواية «العدوى» قد تجاوزت كثيراً ما كان منتظراً منها كتجربة أولى للمؤلف فى مجال الرواية ، وقد بدأ تفوق هذا العمل الفنى فى أكثر من وجه .. فالرواية تقوم على حدث واقعى يبدو غاية فى البساطة ، فالبطل «نبيه» يصاب بمرض الصدر ، ويدخل مصحة للعلاج ويخرج سليماً بعد تجربة علاج ناجح .

ولكن الرؤية الفنية التى قدمها المؤلف لهذا الحدث الخالى من كل تعقيد نجحت فى أن تجعله نموذجاً لكل «عدوى» . ذلك العدو الخفى الذى لا تعرف متى ولا كيف يتسلل اليك ؟ . وحين يصبح جزءاً منك ، يقوم وينام معك ، يتغذى بك أو بطعامك .. فكيف تقاومه دون أن تقاوم نفسك ؟ وعلى من تحرز انتصارك ؟ كيف يجرى الصراع داخل الذات ؟ والى أين تمتد جبهات القتال فى الداخل والخارج ؟ وفى هذا العمل تسقط الحدود الوهمية بين الداخل والخارج ، تتعرى الخيوط الدقيقة المشاركة التى تربط بين العالمين ويصبح الأصدقاء والأطباء والمرضى والممرضات والأهل عبر ظروفهم وعلاقاتهم وأوضاعهم يصبحون جميعاً بمواقفهم السلبية والايجابية رموزاً لتلك المعركة التى تدور فى الأعماق ، يدلون عليها ، بعضهم دعماً للنصر وبعضهم سنداً للهزيمة . أنها اذن ليست معركة الداخل وحده ، وليست معركة الخارج ، ولكنها قصة ذلك الجدل الحى بين الداخل والخارج ، يلعب الطب دوره ، ويلعب العالم الخارجى دوره ولكن الذى يحسم المعركة فى النهاية هو ذلك الصوت الداخلى الخاص الذى يترجمه اختيار البطل ووعيه وارادته حيال كل ما يدور فى الداخل والخارج .

وهذا التأكيد على الوعى الذاتى للبطل ، ودوره فى نجاح مقاومته للمرض سمة أساسية فى شخصية «نبيه» البطل وفى كل الشخصيات الايجابية فى الرواية وقد أدى هذا التأكيد إلى جوار قدرة المؤلف على التوظيف الذكى لبعض عناصر فى الزمان وبعض الشخصيات على أن يجعل هذا الحدث الواقعى البسيط الذى يحترم فيه المؤلف كل شروط وظروف الواقع النفسى



للشخصيات على أن يجعله قادراً على الاشعاع بدلالات رمزية كبيرة تتجاوز كل المعطيات الواقعية المحدودة .. فالرواية تصبح بدون أدنى تكلف أو ادعاء رواية من روايات المقاومة ، وتتحول اضاءات المؤلف عبر شخصيات الرواية ، لمعنى الهزيمة كيف ومن أين تبدأ ؟ كيف تنمو وتتربع على العرش كيف يرتدى منطقها أجمل أثوابه ؟ ولمعنى المقاومة وطريقها الشاق الطويل . تصبح كل هذه الاشارات موجهة لأمته وشعبه عبر وعى البطل لذاته ومشكلته وقدرته على التحدى ومواجهة الصعاب ..

الأصوات المتعددة

وجه أخر من وجوه تفوق هذا العمل ، يتمثل فى الاستخدام الجيد «لشكل» الأصوات المتعددة التى تبدو وكأنها تروى نفس القصة .. وفى الواقع أننا لا نستمع أبداً إلى نفس القصة ، فالقدر المشترك من الحدث الرئيسى بين كل الشخصيات يقدم من زوايا مختلفة ومستويات متعددة بتعدد الشخصيات .. ولا مجال هناك للتكرار أو الثرثرة فكل شخصية تنمى أحداث الرواية وتنمو بها تحركها وتتحرك معها ، كل شخصية كما ترى نفسها وكما يراها الآخرون ، وهكذا لا يكون أمامنا مجموعة رواة كل منهم يحكى جزءاً من القصة ، بل نكون أمام شرائح ونماذج حية من الوجود الانسانى بكل ما فى هذا الوجود من تعقيد وخصوبة ونسبية وحيوية وذلك هو مغزى ذلك الشكل الادبى .

ولا أزعم أن كل شخصيات الرواية فى

كل مواقفها حققت هذا المستوى ، فشخصية «أمل» الممرضة فى بداية الفصل الثالث بدأت تروى قصة حياتها للقارىء بشكل وكأنها تمسك بمكبر صوت للادلاء باعترافاتها ..

من خلال هذا الشكل الادبى بدا واضحاً رغم تنوع الشخصيات والمواقف أن ثمة قضية محورية يخدمها ويضيئها هذا التنوع .. هذه القضية المحورية هى كيف يولد البطل الفردى أو كيف تنبثق البطولة الفردية عبر المحنة ومن قلب الهزيمة .. ؟

ومن الطبيعى أن نتساءل عن معنى وأبعاد «البطولة» كما تتمثل فى شخصية «نبيه» بطل رواية العدوى وسوف نلاحظ أن بطولة «نبيه» تقترب من معنى النمو الروحى أو النفسى ، تفجر الوعى ونضجه إنها اذن ليست بطولة الفعل العنيف أو الحاد .. وليست بطولة الجراة أو المغامرة ، (ومن هنا فان هزيمة البطل السابقة تلوح وكأنها شكل من أشكال إعاقة النمو) .. البطولة هنا هى عودة النمو المعوق لمجراه عبر إضاءة الوعى بالادراك لطبيعة المشكلة .. وهى إضاءة أحدثتها الصدمة (صدمة المرض) ، وأشعلت شرارتها القلوب الصديقة والمحبة .. وهكذا لا تصبح البطولة هى الفعل الخارق بل هى إدراك الممكن . بل ادراك الممكنات .. إدراك كم هى متعددة وصعبة فى نفس الوقت .. وأن المعجزة الحقة والبطولة ربما فى إدراك الممكن وصناعته .!

ومن هذا الادراك المصدوم أو المأزوم تولد إرادة جديدة

لا يأخذ الخارج أكثر من حجمه ، وأيضاً لا يتم تجاهله . لقد رأى «نبيه» فى لحظة اكتشافه لمعنى هزيمته أن «العدوى» لم تصل إليه لمجرد ضعف جسده ، بل إن ضعفه الجسدى إنما حدث نتيجة لخلل نفسى ، فلقد وقع منذ طفولته فى لعنة تضخيم الخارج ، ارتهن عالمه الداخلى ، وقدمه رشوة للعالم الخارجى ، كان يفعل أى شىء لا عن رغبة داخلية أو اقتناع بل لمجرد الرغبة فى الحصول على تقدير رموز الخارج – الأب، المدرسين ، السلطة ، المجتمع ..

وبعد أن تعثرت نفسه سقط جسده فى هوة المرض وهكذا كان عليه أن يبدأ من جديد من حيث سقط أن يرد اعتبار الداخل ، أن يعيد حساباته مع الخارج ، أن يرى فى «الليل والنهار» ألوان الطيف التى تربط الداخل بالخارج ، ويعرف كيف يمسك بها ويتعامل معها ، أن يكتشف المعنى الرائع للصدق وأنه التفاعل النابض بين الحقيقة الداخلية وحقائق الخارج ..

والمعنى الرائع للبطولة وكيف أنها هى انجاز الممكنات .. ولا شىء أكثر أو أخطر .

> ● وجه من وجوه تفوق العمل يتمثل في الاستخدام الجديد للشكل

دور الزمن

ولأن البطولة فى هذه الروايةتقترب من معنى النمو فان البطل فيها يكتشف دور الزمن فى صنع الأحداث والأشياء ، يكتشف ذلك من خلال قوانين المرض والصحة والحب والالم والصداقة .. يكتشف كيف يصبح الانتظار الذكى والشجاع جزءاً من البطولة .

وأن الأشياء الرائعة لابد أن تنمو فى الداخل فى هدوء وأن العامل الحاسم فى تخطى الأزمات ومقاومة الصعاب هو جهد داخلى ،

وحين تكتمل هذه القوى الداخلية وتنضج فانها لا تبقى أبداً مجرد قوة داخلية إنها تخرج . إلى النور ، أو تحمل نورها إلى الخارج ، وهذا ما حدث «لأمل» الممرضة التى كانت مجرد مريضة مهزومة ثم حولت هزيمتها الى انتصار جعلته فى خدمة المنهزمين ، إن القوة الايجابية تعدى بدورها ، العدوى ليست دائماً هى عدوى المرض بل ان الصحة هى الأخرى قادرة على العدوى ، وهذا ما اصبح «نبيه» يفعله أيضاً فى المستشفى بعد نجاحه فى العلاج .

ولذلك وجه آخر من وجوه تفوق هذا العمل الأدبى وفى رأيي أن أخطر جوانب التفوق فى هذه الرواية الشديدة البساطة والتى هى بمعنى من المعانى رواية أخلاقية وملتزمة ، وتنطوى على قدر من الانحياز الفكرى للروح العلمية إذا صح التعبير .. أنها نجحت رغم ذلك كله فى الافلات من ثقل الظل ونجحت فى أن تعكس قدراً لا بأس به من حيوية الفن والحياة ، وحسا نقدياً وفكاهيا أحياناً ، وأن تحقق توازنها الخاص بين الجوانب الفكرية والانسانية .

الخيـــوط

ثم تجيىء رواية «الخيوط» لتؤكد أن فكرة «البطولة» لا تزال هى الشغل الشاغل للمؤلف ، ولكن البطولة هنا تتطور من بطولة فرد يقاوم هزيمته كفرد ، الى بطولة مجموعة من الأفراد

إن عودة «شريف الصالح» إلى الحارة وانضمامه الى جماعة المسحوقين هو الذى يفجر ثورتهم وتمردهم ويطور فى نفس الوقت أحداث هذه الرواية ، فشريف أحد ابناء الحارة الذى سمح له طموح أبيه وكفاحه بأن يتعلم فى المدرسة وأن ترشحه الحارة ليكون فى المستقبل ندا لعائلة الفائز وربما صهراً كذلك .

شريف هذا يعود الى الحارة بعد إصابة أبيه فى حادث ليعول الأب والأسرة كلها ، ولم يكن أمامه سوى أن يعمل عند أسرة الفايز كمشرف ولا مانع من أن يتأجل اكماله لتعليمه الى أن تتغير الأمور .

وفعلا تبدأ الامور فى التغير ، لكن لا شىء يحدث قفزاً أو فجاة ، جماعة المسحوقين فى الحارة وهم حسن أبو داوود وياسين الحراث وسعيد الشيخ نعمان وآمنة الشيخ نعمان وجميل رزق الله ، فرام الدخان وحمدان الأهبل ... و

روايتان

وكاتبة روحية تخاف الحياة

... هؤلاء يكتشفون من خلال علاقاتهم بشريف الصالح أنهم جميعاً رغم اختلاف ظروفهم وأوضاعهم فى الحارة ..

لقد عاد شريف الصالح ليجعل هؤلاء الرجال يكتشفون الحدود الواسعة لمملكة الممكن بل وليوسعوها كذلك كيف لم يبصروا من قبل حدود هذه المملكة فى داخل نفوسهم وفى الخارج ؟ لعلهم كما قال لهم شريف الصالح بكلماته وأفعاله كانوا يستنيمون للعادة ، كان هو أول من حطم عاداته ، كان تلميذاً وها هو يتعلم من ياسين الحراث كيف تحرث الأرض مع أن هذا لم يكن عمله . ولكن ما هو عمل الانسان ؟ أو ما حدود عمله .. ؟ لعلها نفسها حدود مملكة الممكن انها مملكة جد رحبة ومترامية ولكن تغلق حدودها أحياناً عادات سيئة خلقتها أوضاع أشد سوءا ، ولا سبيل الى تغيير الأوضاع سوى بتغيير العادات ..

كيف .. ؟ القدوة .. أو لنقل العدوى مرة اخرى بمعناها الايجابى . إن احترام شريف الصالح لأمنه الشيخ نعمان واصراره على ذلك يوقظ فيها احتراماً لنفسها طالت رقدته وظنته مات موتاً .. ويفجر قدرتها على أن تقول «لا» لأحمد الفايز التى عاشت منذ تفتحها تلعق قدميه .. ويقطع الطريق المستحيل بينها وبين شقيقها سعيد الشيخ نعمان الذى لا ينطق أبداً من قسوة ما رأت عيناه ..

وتزداد مملكة الممكن اتساعاً واغراء حين تكون بطولة الجماعة هى التى فى الميدان . وهى بطولة تسير فى نفس الاتجاه .. اتجاه النمو الذى يعرف دور الزمن وقيمة الانتظار ، ولا يستجيب للاستفزاز ولا للمعارك الجانبية ، يعرف القيمة العظمى للحياة والعمل ، قيمة أن يستريح انسان بعض الوقت ، ويتزوج آخر ، ويكون له بيت أو ولد .. ويعيش تناقضات الحياة المريرة والصعبة ،

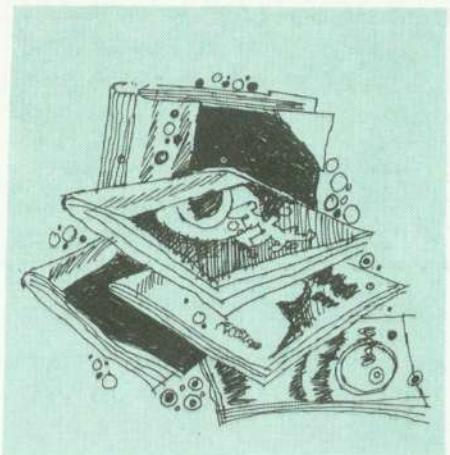
ولقد كان المؤلف موفقاً حين جعل صوت «خالد اليوسف» يتقاطع عرضاً مع جميع أصوات الشخصيات الأخرى فى الرواية ليؤكد أن ذلك خطأ مختلفاً عن جميع الخطوط وليبرز نواحى ذلك الاختلاف بينه وبين أصدقاء خالد اليوسف وحتى بين أعدائه .. كان صوته كما كانت شخصيته كلها أشبه بتعليق حاد ولاذع على بقية شخصيات الرواية ومصائرهم كل شخصية تراه أو تحس به فى لحظة معينة تكتشفها بقدر ما تكشفه هو كذلك .

ولكن بقيت شخصية «خالد اليوسف» شخصية مجردة مثالية تبدو وكأنها صورة معلقة على جدار ، تطل على عالم الممكن ولكنها لا تخوض فيه لانها لا تريد أقل من الكمال .

رواية «الخيوط» كما نرى من هذا العرض رواية طموحه ، ترتبط برواية العدوى من خلال رؤية واحدة لجوانب عديدة فى الحياة ، تتطور وتتطلع الى استجلاء آفاق أوسع فهل نجحت هذه الرواية فى تحقيق أهدافها الطموحة ؟ بنفس الصراحة التى تحدثت بها عن العدوى ، أرى (وتلك مجرد وجهة نظر) أن هذه الرواية لم ترتفع الى مستوى طموحها ..

لقد استخدم المؤلف نفس الشكل الادبى الذى استخدمه فى رواية «العدوى» مع تغيير طفيف هو أنه جعل كل شخصية تعرض الأحداث من وجهة نظرها وكأنها تفكر بصوت عال أو تتحدث الى نفسها ..

وفى رأيي أن هذا الشكل الادبى كان ملائماً تماماً لرواية «العدوى» حيث الاهتمام الأكبر مركز على الداخل ... لأن



المعركة تحسم فى الداخل .. رغم الاهتمام بالخارج .

ولكنه ليس أنسب الاشكال لرواية «الخيوط» . صحيح أن شخصيات «الخيوط» تتغير داخلياً ولكن المشهد الأعظم فى الرواية فى انبثاق البطولة الجماعية من تكامل وتقارب هذه الشخصيات كلها فى حركة جماعية كان يناسبها تماما الرصد الخارجى والداخلى معا الذى يوفره بكفاءة استخدام الضمير الثالث ، ولقد كان من النتائج السلبية لاستخدام أسلوب الأصوات المتعددة أن التجارب الهامة والمحدثة للتغيير فى حياة هذه الجماعة مثل تجارب العمل المشترك المتمثل فى تهريب الدخان لم تحظ بالتصوير المناسب ولا بالحضور الحقيقى ..

كانت الشخصيات تشير ـ اليها اشارات سريعة وموجزة وخالية من النبض والحيوية ، على أننى لا أريد أن أعلق كل المشاكل على استخدام هذا الشكل الادبى فلقد كان من الممكن أن يستخدمه المؤلف وينجو .. ولكن ما حدث هو أنه كتب هذه الرواية التى تنطوى على تجربة هامة بايقاع سريع لاهث ومتعجل (لا أعرف ماذا كان وراءه أهم من فنه) فكانت النتيجة أنك كنت تسمع أحياناً صوت المؤلف من خلال كل الشخصيات .. وبدلا من النمو الهادىء والرؤية النافذة ، والاحساس العميق بتميز الشخصيات كنت تجد أغلب هذه الشخصيات تتحدث أحياناً بلغة الشعارات والتعميمات التى يرفضها الفن ،والتى لم نسمع مثلها فى رواية العدوى .

كنت تسمع عبارات كهذه تتردد على ألسنة عديد من الشخصيات :

ـ رغم جهلى

استطعت أن اعرف أن الخجل عادة نتمسك بها نحن الفقراء ولكنها لا تهم الأغنياء .

ـ من قال ان الأغنياء يمرضون ؟

ـ وهل يملك الفقراء من أمثالنا حق الفرح ؟

● المعنى الرائع للبطولة .. كيف أنها إنجاز الممكنات ولاشيء أكثر!

ـ المساكين لايخونون .

وبهذه الطريقة التى تشعر فيها بالوجود غير المشروع للمؤلف ، كنت تشعر بنمو الفكرة لا بنمو الاحداث أو الشخصيات أو المواقف .

حلم لا يتحقق !

اغلب الشخصيات تتحدث (عن حلم ناقص لا يتحقق) تتحدث تقريباً بنفس الكلمات .. ثم فى موقف اخر تشعر كلها بكارثة توشك أن تحدث .. تفعل ذلك بطريقة كأنها بديلة للأحداث التى تعجز عن أن تشعرك بقرب مثل هذه الكارثة .

وكان من الممكن أن تحتل هذه الفكرة مكانها فى منظومة القيم التى تعتنقها احدى الشخصيات وتؤثر فى سلوكها وتكون مقبولة فنياً بغض النظر عن كونها خطأ أو صواباً بأى مقياس وبالنسبة لأية ظروف .

ولكن الطريقة التى تتسرب بها هذه المقولة تشى بأنها من معتقدات المؤلف نفسه ، ومن هنا فان من حقنا أن نناقش مؤلف العدوى الذى كتب صفحات رائعة فى تحليل طبقات الخوف وأبعاده كيف يقع فى مثل هذه التبسيطات والتعميمات لمشكلات الخوف والشجاعة .. ومهما يكن المستوى الذى يعالجها به . ولم أكن لأشك لحظة فى أن المؤلف يدرك أن الخوف الوجودى الحقيقى هو خوف على الحياة ذاتها ،واذا كان يمتد لدى الأغنياء إلى خوف على وسائل حمايتها فان ذلك نابع من الربط خلال التجربة الانسانية كلها بين الغاية والوسيلة ..

ولكنه لا ينفى شجاعة ولا يثبت جبنا كما أن خوف الفقراء على وجودهم قائم ولو كانوا لا يملكون سوى هذا الوجود .. ما كنت لأناقش المؤلف فى أمور كهذه لولا أن روح العجلة ذاتها ، وسيطرة الشعارات والأفكار الجاهزة جرته الى المزيد من التبسيطات الجائرة والمخلة ،

حقيقة لا أصدق كيف يقع مؤلف «العدوى» فى مثل هذه التعميمات والمبالغات والتسطيحات .

هكذا وبقوة الوعى المفروض وحده يتاخى الرفيقان حمدان وسعيد فى رفض جميلة الفايز بعد أن تاخيا فى حبها .. أو فى الاستسلام لها ...

على كل حال ليست هذه هى المشكلة .. المشكلة الحقة هو أن المؤلف وقد اختار أن يقدم الوجه الرائع لبطولة الجماعة كان عليه أن ينفذ برؤيته الى المشاكل الحقة التى تقف فى سبيل مثل هذا التكامل بين من هم فى أمس الحاجة اليه .

إن روعة تازر الجماعة لا تنبثق إلا من صعوبة ذلك وهذا هو التحدى الذى كان ينتظر المؤلف ليحققه ولكنه لم يفعل (لا أعرف ماذا كان وراءه أهم من فنه) .

من حق القارىء أن يكون له رأيه ورأيى (من واقع الرواية) ان القضية الأخطر هى كيف حدث تغير الجماعة ؟ وكيف تفجرت وتكاملت إمكاناتها ؟ وكيف اكتشفت ذاتها الجماعية .. النتيجة لا تهم .. فالدرس قائم فى كل الأحوال .

على أن الأمانة تقتضى أن نختم هذا المقال بالاشارة الى عناصر إيجابية فى هذا العمل الروائى.. فقد صور فى لمسات موفقة من خلال بعض الشخصيات تجربة زراعة الدخان .. وجعل من هذا العمل الروتينى ترنيمة تتردد خلال أصوات الشخصيات لتصبح الطبيعة (فى المنطقة التى جرت فيها أحداث الرواية (الضفة الغربية) الشخصية المكملة فى الرواية كلها . وفى أجزاء من الرواية كان قلم المؤلف يبدع فى تصوير المشاهد الطبيعية وفى مزجها بخطوات الفكر والنفس يقول أحمد الفايز :

« المطر حبات صغيرة تبشر بموسم قادم ، الأرض تفتح صدرها لتحتضن المطر ، أنت صاحب الأرض ، المطر لك وحدك وكل الآخرين يبتلون» .

يكفى لهذه الرواية أنها تؤكد أصالة الكاتب ، وأنه صاحب رؤية للحياة تنمو وتتعمق فى مختلف أعماله .. وإذا كان الأداء الجيد يحتاج الى وقت وصبر فاننا نعتقد أنه يملك منهما الكثير . كما أنه يملك الموهبة الكبيرة التى أكدتها رواية العدوى .. وتعلقت بها الخيوط !!

أبو المعاطى أبو النجا

بـــــلاغـــــة

قال رجل من البخلاء لأولاده : اشتروا لى لحماً ، فاشتروه فأمر بطبخه ، فلما نضج أكله جميعه حتى لم يبق فى يده إلا قطعة من العظم ، وعيون أولاده ترمقه وبطونهم خاوية ، فنظر إليهم وقال : إننى لن اعطى أحدا منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف أكلها فيكون ابلغكم لفظاً ومعنى ، فقال ولده الأكبر « أمشمشها يا أبتى وأمصها حتى لا أدع للذر فيها مقيلا » ، فقال الأب : لست والله بصاحبها . فقال الأوسط « ألوكها يا أبتى والحسها حتى لايدرى أحد ألعام هى أم لعامين » ، فقال الأب : ولا انت ايضاً ، فقال الأصغر : « أما أنا ياأبتى ، فاننى سأمصها ثم ادقها واسفها سفاً » فقال الأب : فانك والله صاحبها .. خذها بارك الله لك فيها وزادك بلاغة وفصاحة .

من التراث الجديد

تاليون وسخرية الأقدار

علي أدهم



فى أوائل هذا العام ـ ١٩٨١ ـ فقدت الحياة الأدبية والثقافية فى الوطن العربى كاتباً ومثقفاً كبيراً هو الأستاذ على أدهم ، الذى توفى عن ثلاثة وثمانين عاماً ، وقد عاش على أدهم حياته فى كفاح صادق متصل من أجل الفكر والثقافة فاصدر ما يقرب من ثلاثين كتاباً تعتبر من المراجع الأساسية فى الأدب والتاريخ والسياسة ، وترك وراءه عديداً من الكتب التى لم تنشر حتى الآن ، وقد اهتم على أدهم بالتاريخ العالمى والتاريخ العربى ، وكان له جهد بارز فى الدراسات الأندلسية على وجه الخصوص .. وفى هذه الصفحات نعيش مع على أدهم فى نموذج حى من فكره وثقافته وتأملاته التاريخية ، ولعل حياتنا الثقافية تستيقظ ، بعد وفاة الرجل ، فتعطيه حقه الذى لم يكن يسعى وراءه لشدة زهده وتواضعه وبعده عن الأضواء .

للقاص الروسى البارع اسكندر كوبرن اقصوصة عنوانها « إغراء » ، مضمونها ان مهندسا فى ريعان الشباب قوى البنية ، رضى الاخلاق ، كريم الطباع ، كان عائدا فى قطار الشرق الاقصى قاصدا مدينة بتروغراد بعد ان قضى فى الشرق خمس سنوات ، بعيدا عن أسرته ، جمع فى غضونها ثروة طائلة ، وكان يبدو موفور السعادة طافح البشر ، وكان يستطيل الوقت ويكاد يستحث سرعة القطار ، ولا ينى يتحدث عن شدة شوقه الى رؤية افراد اسرته ، وحرصه على لقائهم ، وكان فى كل محطة يرسل برقية الى اسرته ويتلقى منها برقية ، ولما طوى القطار تلك المسافة الشاسعة وبلغ العاصمة الزاهرة اشتد شوقه ، وعظم تأثره ، وأشرق وجهه ، والفكرة التى حاول توضيحها مؤلف الاقصوصة هى ان الرجل لشدة حرصه ، وفرط حماسته لرؤية اسرته بعد الغياب الطويل والسفر البعيد ، أغرى الاقدار بمعاكسته ، وحرصها على ان تتحداه ، وقد بدأ كوبرن هذه القصة العجيبة المحزنة بهذه المحاورة التى تلائمها فى الغرابة والخفاء

حياة حافلة منوعة

لقد اعتدت ان تردد فى مناسبات كثيرة قولك « انها المصادفة » ولكن الامر الجوهرى الذى اود أن استرعى التفاتك اليه هو ان المسألة اخطر مما تظن واكثر تعقيدا .

واسمح لى ان أقول انى قد وقفت على الستين ، وهى تلك المرحلة من مراحل العمر التى يرى الانسان فيها امامه بعد الاهواء المضلة ، والصراع الطويل ، ثلاث طرق ، وهى طريق الطمع وطريق الطموح وطريق الفلسفة ، ويمكن أن اقول انهما طريقان ، لان الطموح ضرب من الطمع .

المصادفة والقضاء

والان وانا فى أيامى المدبرة ، انا الفقير الاثيم احاول ان افكر فى الحياة . وانا - كما ترانى - شيخ عالى السن ، وحيد من الخلان ، ناء عن الاهل . وانت تعرف طول ليالى العجائز ، ولكن ذاكرتى لا تزال تحتفظ بآلاف الذكريات . ومما يروقنى أن أستعيد صور الماضى وسوالف الحوادث .

ولقد طاف بنا الحديث على مسألة « المصادفة » و « القضاء » وأنا مستعد أن أسلم معك بان المصادفة حمقاء رعناء ، متقلبة الاطوار عمياء ،

تخبط خبط العشواء . ولكن هناك قانونا صامتا يسيطر على الحياة ، ويقضى بان كل شئ يولد ويتجدد ، ثم ينمو ويزدهر ، ويوفى على الكمال ويبلغ الذروة ، ثم يتراجع وينكمش وتتقلص ظلاله ، وتفوح زهرته ، ثم يصيبه العفاء والدثور ثم يعيد ثانية سيرته ، ويبعث من جديد ، وهكذا دواليك مثل التعرج اللولبى .

وستحاول ان تقول ان مثل هذا القانون لو كان موجودا لكانت الناس قد استكشفته من زمن طويل ، ولاستطاع البشر قراءة المستقبل ، ومطالعة الغيوب ، ولكن الامر ليس كذلك ، لأننا نحن الأناس مثل النساجين الذين يجلسون متقاربين ازاء سداة طويلة الامتداد تمر امامهم الألوان المختلفة من اصفر فاقع او أحمر قان ، أو أزرق داكن ولكنهم لايستطيعون تمييز الانموذج لقربه منهم ، والحياة لا تتكشف أسرارها وتنجلى غوامضها الا للذين استطاعوا ان يقفوا بعيدا عنها مثل عباقرة العلماء وصفوة الانبياء والشعراء والمتعصبين لأفكارهم . وانى على أتم استعداد لقبول احكام تلك القوانين المسيطرة على كل شئ ولكنى المح قوة اخرى لا أعرف كيف اعبر عنها ولا كيف اسميها ولكنها لو تجسمت فى شخص لظهر الشيطان الى جانبه ساخرا هين الشأن جديراً بالمرثية له .

نابليون . . وحياة تشبه الخرافة

مثلا حياة نابليون ، هى حياة تشبه الخرافة ، وشخصية عظيمة مفرطة فى العظمة ، وقوة متمادية ، لا ينضب معينها ، ولا ينقطع مدها ، ولكن انظر الى خاتمة ذلك كله ! جزيرة صخرية صغيرة ، وألم مبرح فى المثانة ، وتذمر كتذمر العجائز . ولاشك عندى فى ان هذه الخاتمة التعسة كانت من سخرية تلك القوة الغريبة التى أشرت اليها ، وقد فطن القدماء لهذه القوة



المجهولة ، وكانوا يخشونها ، ويحذرون جانبها ، وكانوا يسمون بسماتها الساخرة " غيرة الأقدار ".

فى ضوء هذه الأفكار التى يختلط فيها الوضوح بالغموض ، ويلتقى فيها الظل والضوء أريد أن أنظر إلى سمة ظاهرة فى حياة نابليون ، وهى تصوره للقضاء فى أواخر أيامه وهو منفى فى جزيرة القديسة هيلانة .

كان نابليون فى صباه ومطالع حياته ، نابليون القائد ونابليون القنصل ، لا يرى فى كلمة « القضاء » معنى غامضا ، ولا لغزا غريبا ، لانه كان عقلى النزعة ، مادى الفلسفة ، وكان فوق ذلك كله واقعيا لا يغره بريق الأحلام ، ولا يجرى وراء الخيال . وكان يحلل كل موقف تحليلا دقيقا ، ويزنه وزنا فاحصا ، وكان يثق بنفسه ، ويعتمد على ارادته القوية ، وعزمه الصارم ، ويعتقد أن الموقف الفاصل فى حياة الانسان هو معرفته مدى مواهبه ، وطبيعة ملكاته ، واستثمار تلك المعرفة جهد الطاقة ، ومتى اطمأن إلى ذلك فسرعان ما تتبدد الشكوك ، ويزول التردد ، وينطلق فى طريقه قدما وهو عليم بغايته ، عارف بوسائله ، يحدوه الايمان بنفسه ، والثقة بقدرته .

وكان يعتقد انه يستطيع أن يقدر وجوه المعركة القادمة ، وشتى محتملاتها فى دقة حسابية قل ان يتطرق إليها الخطأ ، وبذلك لا يترك مجالا للمصادفة ولا نصيبا للحظ ، وأصحاب المدارك المتوسطة او العقول العادية هم الذين يعتقدون بالمصادفة ، ويرونها لغزا غريبا ، وسرا غامضا ، اما هو ذو البصر الحديد ، والرأى الصائب ، واللمحات الخاطفة فلا غرابة امامه ولا غموض ولا أسرار !

معركة واترلو والنهاية المؤلمة

والحظ والقدر فى رأى نابليون القائد المنتصر الموفق حقائق ميسور تحديدها ، وعلم النجاح أساسه أن تزن فى دقة وانتباه محتملات النجاح ومحتملات الفشل فى أية مسالة من المسائل ، ولكن كلما عظمت عبقرية الانسان ، وسمت ملكاته كان الجزء المتروك للحظ فى حياته جد صغير وقد كان نابليون مغامرا جريئا ، وهو لا يخفى ذلك بل يصارحنا به ، ولكنه كان يلعب لعبة علمية فى عناية تامة ، وبراعة تستدعى الاعجاب ، وكان يزيده جراة وثقة بالنفس إلمامه بأصول تلك اللعبة ، وتغلغله الى دقائقها ، وكان يقول عن نفسه : « مقدرتى العظيمة قائمة على انى أعرف أن الخط المستقيم أقرب من الخط المنحنى » وكانت تاهباته مقرونة على الدوام بالروية والتفكير ، وتقليب الأمور على جميع وجوهها ،

نابليون
وسخرية الأقدار

وفحص نواحيها فحصا تاما ، ووزنها وزنا دقيقا ، والاحاطة بكل تفاصيلها وصغائرها ، ولاعتقاده أن حظه في يده ، وطوع امره ، كانت ثقته في نتيجة اللعبة لا تتزعزع ، وكان يزيد هذه الثقة قوة وتمكينا غلبة عقله على جسمه ، واستطاعته أن يحتمل العمل المرهق في جلد وصبر دون ان يدركه اعياء او تخذله صحته .

ولكن مر السنين ، وطول التجربة ، وتوالى الحوادث ، جعلته ينحرف عن تفسير المصادفة هذا التفسير الهين ، وعن تعليل القدر تعليلا واضحا بسيطا سطحيا ، وصار القدر في نظره رويدا رويدا شيئا غير ملموس ، وبدأ يأخذ صورة القوى الغامضة الخفية التي يرى نفسه ازاءها مسلوب القوة ، منهوب الارادة ، وصار يدرك انه مدفوع ومجبر ومسوق .

وأخذت نفسه تمتلئ بهذه القدرية اليائسة العميقة ، وتباعدت في تفكيره فكرة القدر عن فكرة النجاح ، وأخذ **يعتقد أن الحظ بدأ يخونه ، وأخذت ثقته بنفسه تضعف ، وصار يعزو ما يلحقه من الفشل الى الظروف والحوادث .**

وكان كلما مرت السنون ، وتكاثرت الأحداث ازداد شعوره بعثار جده ، وأفول نجمه ، حتى جاءت معركة واترلو وقضت على نفوذه ، وكانت من المعارك التي لعب فيه الحظ دورا ملحوظا ، وكان يقول قبلها بقليل « هاتف داخلي ينبئني أن النتيجة سوف لا تكون سارة ، وإني أعزو فشلي إلى أفول نجمة حظي » وقد أذعن بعد ذلك للانجليز ، وألقى إليهم مقادته ، وكان في وسعه ان يسلك مسلكا اخر ، ولكنه اثر ذلك نزولا على حكم الحظ ، واستسلاما للأقدار ، ولاعتقاده ان العقبات التي كان في مستهل حياته يزيلها من طريقه في سهولة قد أصبحت في نظره عقبات كاداء لا سبيل الى التغلب عليها ، وعادت الى قاموسه كلمة « مستحيل » بعد طول إهمالها وحذفها !

كان يشعر في ذلك الوقت بانه مقيد في أصفاد الظروف والأحوال ، أسير في سجن الزمن لا يستطيع الخلاص من أسره ، ولا يقوى على صدع قيوده وتفكيك أغلاله ، وكان حينئذ يرى أنه إذا أراد القضاء أمرا فلا مرد لمشيئته ولا معقب لحكمه ، والجهاد ضد الأقدار عبث لأن ما كتب قد كتب ولابد من نفاذه ، وليس في طاقة جهودنا وإرادتنا ان نغير حرفا واحدا من المكتوب في سفر الأقدار !

وكان يرى في وجوده بتلك الجزيرة الصخرية المشؤومة ، وفي الآلام التي يكابدها دلائل واضحة على أن القضاء لا يغالَب ، وكيف لا ؟ ألم يعد القضاء له هذه الخاتمة لأن حياته بدأت لامعة متالقة ؟

نجاح الرجال

ولكنه مع ذلك كان عندما يتناول تاريخ غيره من عظماء الرجال وأبطال التاريخ يعلل فشلهم بما طرأ من التغير على حالتهم النفسية وبواعثهم الدخيلة ، ويابى أن ينسب فشلهم الى الظروف الخارجية ، فلماذا فشل قيصر وهانيبال والاسكندر ؟ وهل اللوم على الظروف والمصادفة ، او كان حظهم هو سبب ذلك ؟ يجيب نابليون على ذلك بقوله « نجاح الرجال العظماء لا يتوقف على الظروف والمصادفة ، وانما هو نتيجة التفكير والعبقرية » ورجال القدر في رأيه قد سيطروا على الحظ لانهم عظماء ، ولانهم كانوا يحسبون حساب كل خطوة ، ويسيرون على بينة من أمرهم ، وقد اخذ الفشل يلاحقهم لما خانوا نفوسهم ، وفقدت عبقريتهم قوتها ، وضعف نظرهم في عواقب الامور ، واختلت موازينهم ، وكانت هزيمتهم الخارجية في الواقع نتيجة محتومة لانهيار صرح شخصيتهم الداخلية .

كان نابليون يفكر هذا التفكير في مصير غيره من الأبطال ، ويعلل فشلهم هذا التعليل ، ولكن كان يحجم عن تطبيق ذلك على سيرته ، ويابى ان يواجه به نفسه لانه لا يريد أن يعترف بهزيمته الداخلية ، وخيانته لنفسه ، وكأنما كانت كبرياؤه الباقية لا تطاوعه على الافصاح عن ذلك !

وقد كان في صدر حياته يرى ان المصادفة مهيمنة على شئون العالم ، وعلى الانسان ان يخضعها ، ويتخذها وسيلة لتحقيق أغراضه ، وكان عالمه واضحا ميسور الفهم لا يحيط به خفاء ، ولا تكتنفه أسرار ، وكان عقله المادي النزعة يحاول ان يفسر الدنيا في ضوء الحقائق العارية المكشوفة ويخضع مظاهرها للعقل .

فكرة القدر والعناية

ولكن على توالى الأيام أخذ يشعر بوجود قوة غامضة مسيطرة على حياة الناس لا يستطيع ان يدرك كنهها ، ولا ان يسبر غورها لأنها من وراء طاقة العقل ، واخذ يظهر له ان جميع الحوادث مترابطة متصلة الحلقات ، وأنها خاضعة لید خفية تحركها ، ولذا قال في حديث له مع دوقة ويمار « صدقيني أن هناك عناية ترشدنا ، وما أنا إلا الة في يدها ! » .

وهكذا أخذ يقرن فكرة « القدر » الى فكرة « العناية » واخذ ينمو في نفسه شعور صوفي بهذه العناية التي بدأ يدرك وجودها ، ويستشف اثرها ، ولذا نشات في نفسه الى جانب ادراكه المادي للحياة عناية بشؤون الدين ، واحترام للكتب المقدسة ، وكان يقول « إننا مادة ، وليس بعد الموت سوى الموت » ولكن كان في نفس الوقت يدمن

قراءة الانجيل والكتاب المقدس .

وهذا الشعور بالقدرية الذى استولى عليه فى سنواته الاخيرة طبع اقواله وأعماله بطابع خاص . ففى سنة ١٨١٣ كان يردد قوله « إن الحظ يعمل ضدى » وصار يعتقد ان سقوطه ضربة لازم . وكان يرفض أن يعترف بالعوامل المختلفة التى أدت الى فشله وسقوطه .

وقد قنع نابليون فى النهاية بحظه ، وارتضى المنفى فى الجزيرة النائية ، وكان يقول « لقد تركت فى الدنيا دويا كافيا . وقد علت سنى واصبحت اريد الراحة » وكان يؤمل — وقد أضاع كل شئ — أن يجد فى تلك الجزيرة هدوء النفس وراحة الضمير . وكان يرى ذلك ميسورا قريب المنال بعد التبعات الخطيرة التى اضطلع بحملها ، والمطامع المتعبة التى استهوته . ولقد طوى مستقبله السياسى فهو الآن يستطيع أن يستمتع بلذة القراءة وجمال الأحلام !

نابليون أسيرا

ولكن سخرية القدر لا تريد له ذلك ، فهى ترسل إليه فى تلك الجزيرة رجلا عنيدا وطاغية صغير النفس وهو السير هدسن لو . وكان يطيب لهذا الرجل ان يظهر سلطته على نابليون فكان يقول « انا امر القائد بونابرت ! إنه أسيرى » .

فيرد عليه نابليون من عزلته قائلا فى حدة وغضب « كلا ، لست أسير احد ، إنما أنا ضيف الامة الانجليزية ! » .

فيجيبه الحاكم « هذا هراء ، وسارغمه على طاعتى أو أضعه فى القيود والسلاسل » ويؤيده مساعده قائلا « نعم هو طريد وسجين ، والحاكم محق فى معاملته بهذا الاسلوب ! » .

وكان هدسن لو يفتن فى تضييق الحصار على نابليون ، وتشديد الرقابة عليه ، وكان يجتهد فى أن يجعل نابليون شاعرا باثر الرقابة ووقعها حتى قال أحد أصفياء نابليون « إنهم يقتلون بوخز الابر رجلا عجزت عن هزيمته جيوش أوروبا » .

وفى اخر مرة التقى فيها هو والحاكم نشب بينهما جدل عنيف قال فيه نابليون لهدسن لو « بعد سنوات قليلة سيجر عليكم النسيان أذياله ، أنت واللورد كاسارى باثرست ، وإن جسمى فى قبضة يدك ولكن روحى لا تزال حرة وجريئة كما كانت وأنا سيد أوروبا وستكون هى الحكم العدل فى المعاملة التى عوملت بها ، وسيرتد الخجل منها الى الشعب الانجليزى ، وإن عداوة اللورد باثرست هى التى ارسلتك هنا ، وانت لست قائدا وإنما أنت كاتب أركان حرب ! » .

وحز ذلك فى نفس هدسن لو ، ونال منه ، فرد على نابليون قائلا « انت تضحكنى يا سيدى » .

نابليون : ماذا ؟ أنا أضحك .

هدسن لو : « نعم يلسيدى ! وأسفى شديد على خشونة أخلاقك ، واتمنى لك يوما سعيدا » !



وبعد انصرافه التفت نابليون الى مونتهولن وقال « لقد قلت أكثر مما يجب ! وسامتنع عن لقاء الحاكم مرة ثانية لأنه يغضبنى ويخرجنى عن طورى ! »

وحافظ على وعده ، وظل لا يراه لمدة خمس سنوات ، ولم ير هدسن لو نابليون بعد ذلك إلا وهو ميت مسجى على فراشه .

إكليل من الشوك

وهكذا ظلت الحرب التى ظن انه قد نبذها وباعدها بقبوله المنفى تلاحقه وتابى أن تتركه ، وظلت الحرب ناشبة الى يوم مماته ، **ولكنها** كانت حربا ضد الطغيان الذى حاول أن يفرضه عليه هدسن لو ، كانت حرب صغائر وسفاسف يثيرها مستبد ضئيل الشان على رجل فقد كل شئ ، وعزيز قوم ذل ، وصار نابليون يعتقد ان هذه المعركة هى الحلقة الاخيرة من المعارك التى دامت طوال حياته ضد الانجليز ، وكان هدسن لو فى نظره يمثل الانجليز .

قال لليدى مالكولم « لقد لبست تاج فرنسا الامبراطورى وتاج ايطاليا الحديدى وانجلترا الآن تقدم لى تاجا أروع وأعظم وهو «**إكليل الشوك**» **فالاهانة والتحقير والاستبداد** تزيد فى شهرتى ، وانى اعزو الى انجلترا تالق مجدى » وكان يعزى نفسه بقوله « غيرى من الناس يخفضهم فشلهم ، أما أنا فقد رفعنى الفشل الى اسمى المراتب » ولم يستطع ان يواجه حقيقة أن حبسه كان ثمنا تقاضته الأقدار لطموحه المتناهى ومطامعه البعيدة وللحيوات البشرية التى حطمها وأسال دماءها فى حروبه العديدة ، ولكنه كان فى منفاه وقد أثقلته المصائب وآدته الأحزان اشجع منه فى ايام مجده والدنيا عليه مقبلة .

كان عظيما وجلدا صبورا ، كان رجلا ، وقد صبر صبرا جميلا على سخرية الاقدار !

انجليزية في صعيد مصر

الرّد على مغامرة في عالم يحيى حقي



يحيى حقى الكاتب الذى التقت به المستشرقة الانجليزية .

مجيد طوبيا

فى عام ١٩٨٠ جاءت الى القاهرة المستشرقة الانجليزية «ميريام كوك» بهدف اساسى هو مقابلة يحيى حقى والتعرف عليه عن قرب ، من بعد أن عرفته و اعجبت به عن طريق كتاباته .. وبعد أن التقت به شعرت ـ اثناء حديثها معه ـ بالأثر العميق الذى تركته فيه مدينة «منفلوط» ، تلك المدينة الصعيدية التى عمل بها معاوناً للادارة فى بداية حياته العملية ، وبالتحديد فى عامى ١٩٢٧/١٩٢٨ ، والتى ظهر اثرها فى كتاب «خليها على الله» وفى «دماء وطين» .. فما كان من المستشرقة إلا أن ركبت قطار الصعيد الى منفلوط .. وبعد أن رجعت الى انجلترا نشرت مقالا طريفاً بالانجليزية بعنوان البحث عن احلام ، وصفت فيه منفلوط كما راتها بعد خمسين عاماً من رحيل يحيى حقى عنها .. وهو المقال الذى نشرنا ترجمته الكاملة فى العدد الماضى ، والذى نقدم الآن تعليقنا على بعض ماجاء فيه من وقائع بعدت بشكل أو بآخر عن الحقيقة .

عن رحلته فى صدر شبابه الى منفلوط كتب أديبنا الكبير يحيى حقى يقول :

« لم يسبق لي قط أن سافرت الى الصعيد أو خالطت أهله ، صورته المنطبعة فى ذهنى رسمتها لى اقاويل تقارب تهاويل الاشاعات عن جرائم القتل والأخذ بالثار .... ونساؤها حبيسات فى دورهن ... والليل سجان له يد سوداء تغلق الأبواب عند غروب الشمس على الانسان والحيوان ... »

« ومع ذلك أشعر بسعادة الانطلاق الى عالم غامض أحس بسحره وعطره ... منذ صغرى الحظ فى زملائى أبناء الصعيد فى المدرسة رجولة ونخوة وشهامة وجلدا ، ثم ـ وهو الأهم عندى ـ قدرة أشبه بالغريزة على تناول الحياة حلوها ومرها كما تلقاهم ويلقونها ... يهتز قلبى حين يقال ان الجنازة فى بعض بلاد الصعيد تعبر النيل من الغرب الى الشرق ، أحس اننى اعيش فى عهد الفراعنة ، وأظل اصور لنفسى تأرجح الميت فى القارب فوق المياه ينهى به حياته كما بدأها بتأرجحه فى المهد... »

كان ذلك فى يناير ١٩٢٧ عندما وقف الموظف الجديد يحيى حقى أمام مدير أسيوط (المحافظ حالياً) الذى اختار له العمل معاوناً للادارة فى مركز منفلوط :

« وجدتنى استبشر بهذا البلد ، وهو فى مقدمة مدن قلائل يجلجل اسمها فى دروب القاهرة إشارة بالاصالة والتفوق عند ذكر طيب المنبت وجودة الثمر وبائع الرمان العجوز يدخل حارتنا وينادى :

ـ منفلوطى يارمان ..

سأذهب الى موطن هذا الرمان ، جعلت اغانى الصعيد موطنه توأماً لنهود العذارى .. واستبشرت بمنفلوط مرة أخرى لأن واحدا من أبنائها كان من اعز الناس لدى الجيل الذى أنا منه ، مصطفى لطفى المنفلوطى ، أسال من صخرة الفصحى علينا سلسبيلا كم نهلنا منها وارتوينا ، ان سحره لا يقاوم وفضله علينا عظيم ، ولو أنه رحمه الله أكبر مسئول عن دموع ماقينا وزفرات صدورنا وخفقات قلوبنا ونحن نقرأ له «العبرات» و «مجدولين» أو «تحت ظلال الزيزفون» لم نبال أن نسأل مامعنى الزيزفون ؟ ... مهما يكن معناها يكفى أن لها رنينا جميلا له طعم حلو فى الفم ... »

تلك هى منفلوط عام ١٩٢٧ ويحيى حقى يتهيأ للعمل بها .. مركز كبير مشهور فى مصر كلها ، أى مواطن صعيدى يعرفها ويعرف موقعها تمام المعرفة .. رغم هذا فان المستشرقة ميريام كوك وفى عام ١٩٨٠ تخبرنا بأنها سألت عنها فى قطار الصعيد « ولم يكن لدى معظم من سألتهم أية فكرة عن موقعها » .. جائز جدا .. لكن كون المدينة مجهولة الموضع يضفى بالطبع هالة من المغامرة والاقدام على تجربة الشابة الانجليزية ، وكأنها تقوم برحلة ثامنة للسندباد الشهير ، رحلة لم يقم هو بها ، فهى مغامرة مثله ، هو بسفينته الشراعية وهى بقطار الصعيد ..

لكن دعنا نتجاوز كل هذا ..

لم تر النور

انها تصف المدينة بالمساء قائلة :«ومع حلول الظلام بدت محلات الحرفيين أكثر وضوحاً بفضل مصابيح الغاز » .. وتصف لنا بيت مضيفتها فاذا هو مكون من ثلاثة طوابق ، وستائر ومقاعد ومفارش ومكتبة بها مئات الكتب ، ومع ذلك تحدثنا عن اضاءة بالجاز (الكيروسين) !!

هذا بالطبع يتنافى ووصفها لمنفلوط : فالمدينة بها محكمة مشيدة بنظام الخرسانة وبها محل أقمشة من طابقين ، يعمل فى كل منهما موظفون وموظفات ـ أى أن المرأة تعمل ، وهذا له دلالته ـ ومن المعروف أيضاً أن البلدة بها مدارس من مختلف المستويات وللجنسين .. مدينة وحجمها هذا لايمكن أن تعيش على إضاءة مصابيح الغاز والبترول ، وللعلم فان جميع مراكز الصعيد مضاءة بالكهرباء من حوالى النصف قرن ، وأنا شاهد عيان على هذا بحكم كونى صعيدى .. وللعلم ايضاً فانه بعد كهربة السد العالى دخلت الكهرباء قرى الصعيد ، وليس مراكزه فحسب ..

لنقرأ ما ذكره يحيى حقى نفسه عن هذه المدينة وأحوالها منذ أكثر من خمسين عام :

« وجدت منفلوط بلدا خفيف الدم معتدل المناخ ... يتوسط رقعة تفصل بين النيل وترعة الابراهيمية بمحاذاة شريط السكة الحديد ، وغير محروم من الماء والنور » .

الماء المكرر والكهرباء ، ومنذ متى ؟؟ منذ أكثر من نصف قرن وحتى الآن ، وطبعاً اثناء زيارة السيدة ميريام كوك لها فى العام الماضى !! .. فمن نصدق ؟!

الرعب ومزيد منه

لقد قصدت بيت اسرة لا تعرفها ، وليس فيها ـ من بعد رحيل عائلها المحامى مكسيموس ـ من هو صديق ليحيى حقى أو على اتصال به .. ومع ذلك فقد استضافوها وأحسنوا معاملتها بدافع الكرم الصعيدى الأصيل ، ومن أجل خاطر أديبنا الكبير ولأنها أجنبية .. وجهزوا لها طعاماً مخصوصاً وذهبت بها سيدة الدار الى المحكمة بحثا عن آثار يحيى حقى والى الشارع الذى سكن فيه والى الخياطة حيث زودتها بثوب فلاحى .. كرم أكيد قوبل من ميريام كوك بوصف خال من الذوق لمنزل هذه الأسرة الكريمة لم تر غير الحشرات والهواء الراكد والاضاءة المقبضة والطلاء الباهت والملل والتوتر !!

وفى مضمار الكرم المصري خاصة مع الاجانب ومقارنته مع شعوب أخرى ذكر لى الاستاذ يحيى حقى أنه كان مع زوجته فى فرنسا ولمدة شهرين من الصيف الماضى ، ومع ذلك لم يدعه أحد الى زيارة بيته ، رغم صداقاته القديمة عندما كان يعمل فى السلك الدبلوماسى !! لكن ما دامت «السندبادة كوك» تحدث مواطنيها بالانجليزية عن مغامرة اكتشاف للمجاهل المصرية ، فان الدار التى استضافها لابد وأن يبدو وكأنه مسكون بالأشباح ، وكأننا فى عالم «إدجار آلن بو» المرعب ، أو فى مسرح جريمة مرتقبة عند «أجاثا كريستى» ، والأدب الانجليزى حافل بالاشباح والارواح والعفاريت وغرائب الجرائم عند شكسبير !!



تصف ليلتها لدى الاسرة المصرية بشكل غامض مثير كما فى روايات الاثارة البوليسية تقول :«ومع خروجنا من غرفة الطعام لاحظت أن السيدة العجوز تستعجل شخصاً ما للخروج من غرفة المعيشة ، أحدب متدثر فى سروال يتدحرج فى شكل غريب «!» ما أن أوشك على أن يختفى حتى التفت لوهلة مظهرا تقطيبة مرعبة «!!» من وجه شاحب محاط بخصلات رمادية «!»... »

ولم تعرف عن هذا الشبح سوى أنه «هى» !! .. ناهيك عن وصفها للعيون التى راحت ترقبها طوال الليل : أربعة عيون ترصد كل حركة لها رغم ظلام الغرفة «!!» .. وعيون أخرى متخيلة ترصدها من الغرفة التالية عبر الجدار !! .. ولمزيد من الرعب فقد وجدت السرير مغطى بالبق والحشرات بينما الناموس ـ دراكولا الصعيد ـ يترصدها من خارج الناموسية لاعداد وليمة من جسدها !!

أعرف مسبقاً ما سوف يكون عليه دفاعها عن هذه الكتابة ، لقد ذكرت ماراته بشكل موضوعى يقتضيه الأسلوب العلمى فى البحث والتقصى ، ودون عواطف أو مجاملات شرقية .. أعرف هذا مسبقاً ، ولكن من العسير تصديق أنها لم تجد انساناً واحدا فى المحكمة أو فى منفلوط كلها يعرف أى شىء عن أديبنا الأشهر يحيى حقى !! .. وأننى فى هذا أجاريها فى الصراحة وفى البعد عن العواطف والمجاملات الشرقية وأقول لها بأن خيالها شطح أكثر مما يجب ، وانها بهذا تفترى على الموظفين والموظفات والمحامين ومن كان متواجداً بالمحكمة أثناء زيارتها ، قد نسلم بأن بعض الناس لايعرفون يحيى حقى ، ولكن أن يجهله

IN SEARCH OF A DREAM

by Miriam Cooke

TWO YEARS HAD PASSED since I had first read Yahya Haqqi's name, two years since I had first tried to understand his haunting stories, two years since I had first decided that I should concentrate all my efforts on the works of this Egyptian. Weaving my way through the intricacies of the tales I had come to empathise with this kindly old man — and with this empathy had come a desire, a curiosity to meet him. In March I finally realised my long-standing ambition and I flew to Cairo.

صورة من المقال الذى نشرته المستشرقة الانجليزية .





الرّد على مغامرة في عالم يحيى حقي

الجميع فهذا قول غير مستساغ .. على الاقل قرأوا أو سمعوا عنه !!

مدرسة الحمير

لعل أجمل ما كتب يحيى حقى هى تلك الصفحات الممتعة عن الحمير : «وجدت سعادتى مع الحمير» .

«عاشرت الحمار سنتين ... غلبان يبلع الاهانات ، بخس الثمن نادر الامراض ، لاتنفتح بطنه على ندى البرسيم كما يحدث للجاموس ، لايجر صاحبه الى الترعة بل اذا طلب الاستحمام سار وحده يتمرغ بالتراب ... لايعرف الجموح ولايقفز خوفاً من خياله كالحصان الاسترالى الذى عرفته دورية المركز ..»

«للبقرة عين غارقة فى أحلام لذيذة ،، وللجمل عين ترقب الدنيا عن عل بتوجس وغضب مكتوم .. وللحصان عين تنم عن الخيلاء والنبل والذكاء ... أما الحمار فان عينه ذليلة حزينة تكاد تترقرق فيها الدموع ، كعيون الاطفال بعد بكاء ، أهذا هو سر نهيقه ؟! .. إنها صرخة عذاب واستغاثة واشهاد للناس فى نوبة متفجرة من بكاء بلا دموع ، تمزق الهواء ثم تذوب كأن لم تكن ....»

«لم أر كالحمار حيواناً تحس أنه ادرك أنه أسقط فى يده ، أنه لم يقبل قدره عن عمى وغفلة أو تدليس عليه ، بل عن بصيرة وفهم بعد أن وازن بين حيلته وقدرة ظالمه ، وقاده ذكاؤه العملى الى الاقتناع بأن كل أمل قد مات وأن لافائدة ترجى من الثورة أو اللجاجة أو العناء ، فوضع إرادته وغرامه وبهجته ومرحه وحبه للعب والمعابثة فى حرز مكتوم فى قلبه وأحنى رأسه وأذنيه وسبل ظهره واستسلم بلا قيد ولاشرط .. قال لنفسه .

«فلتحسبن أن الذى يعيش فى جلدك هوحمار غيرك ، ولتبق لى روحى لايعلم بسرها الا خالقى»

وقد قال لى يحيى حقى تعقيباً على مقال ميريام كوك ورحتلها الى منفلوط : بأنه كان يتمنى لو كتبت شيئاً عن الحمير ، ومالت اليه أحوالها ، بالذات عن حمار الأجرة (على نسق سيارة الاجرة أو التاكسى) الذى كان يقف بالمحطة لنقل الافندية بأجر زهيد ، والذى وصفة من قبل بأنه أكثر الحمير مكراً ، فهو ابن سوق محنك بالتجارب» .. قال لى :

كنت أتمنى أن تذكر ميريام إن كان موقف الحمير وكذلك «مدرسة الحمير» مازالت موجودة أم أن التطور قضى عليها

نشكر لها جهدها

وهو ما كنا نتماه مع يحيى حقى ... فذكر الحمير جاء فى سطرين فقط عندما ركبت الحنطور : «جلسنا فى عربة حنطور يجرها حصان ، والحنطور والحصان هما وسيلتا المواصلات الوحيدة فى المدينة»

لكن هذه الملاحظات وغيرها لاتقلل من أهمية الجهد المبذول من المستشرقة الانجليزية الشابة ، فهى فى سبيل لقاء الكاتب الذى أحبته قطعت الآف الاميال ، ثم زادتها مئات أخرى كى تزور بعضاً من أرض إلهامه .. وهذا نوع من الدراسات الميدانية يقل الاهتمام به لدى نقادنا ودارسينا ربما بسبب ما يتطلبه من نفقات كثيرة وانقطاع عن الحياة وسبل العيش اليومية أياماً أو أسابيع ، ولهذا فمن الواجب أن تدعمه وترعاه الهيئات الثقافية والجامعات ومراكز البحوث خاصة المجلس القومى للثقافة ..

وقد ذكرنى استاذنا يحيى حقى بمستشرق فرنسى هو «أندريه ريمون» ، جاء الى القاهرة يدرس الحالة الاجتماعية بها ، فقرأ جميع حجج الأوقاف وعقود الزواج والطلاق منذ أواخر عصر المماليك .. جهد شاق لكنه مثمر ومفيد ويساعدنا فى فهم مسار التاريخ ودقائقه وفى تفهم التطور الاجتماعى فى مصر ..

وأنا بدورى أنكر يحيى حقى بفرنسى آخر صديق له هو «جاك جوميه» الذى أعد الدراسة الوحيدة عن «المحمل» الذى كان يخرج من القاهرة كل عام متوجهاً الى الكعبة ، تاريخه وظروفه وملابساته وجميع ما يحاط به .. مثل هذه الدراسات قام بها أجانب وكان أولى بها مصريون أو عرب ..

من هذه الارضية فاننا نشكر لميريام كوك جهدها ، خاصة ترجمتها لبعض أعمال يحيى حقى الى الانجليزية ، ونغفر لها بعض هناتها .. ومن الظلم أن نتوقع منها تفهماً أكثر لهذه المدينة وشعبها فى زيارة عابرة .. ولقد كتب يحيى حقى نفسه عن عيوب الأهالى والموظفين هناك الشىء الكثير اللاذع ، لكنها كتابة الفنان الانسان المحب .. ختم كتاباته عن منفلوط (١٩٢٧ ـ ١٩٢٨) قائلا :

أننى أعز منفلوط لأنها أكرمتنى وعاملتنى باحسان وأغمضت عينها عن حماقاتى وعيوبى .

ومسك الختام لسانه

طلب منى أديبنا المبدع وفى الحاح أن أنقل شكره الى منفلوط عام ١٩٨٠ ممثلة فى شخص السيدة الكريمة التى استضافت المستشرقة الانجليزية .. وأملانى السطور التالية :

اندهشت من فرط كرم هذه السيدة وحسن لقائها ومجاملتها لغريبة طرأت عليها ، وأرى من واجبى أن أسعى بنفسى إليها لاشكرها على ذلك ، لا لأن الموضوع يخصنى ، بل لأنه مثل رائع ينبغى أن لايمر بغير تقدير» .

دعونا نأمل عودة ثانية ليحيى حقى الى منفلوط عام ١٩٨١ .

مجيد طوبيا



سفينة الصحراء

القادمة من العصور الجليدية

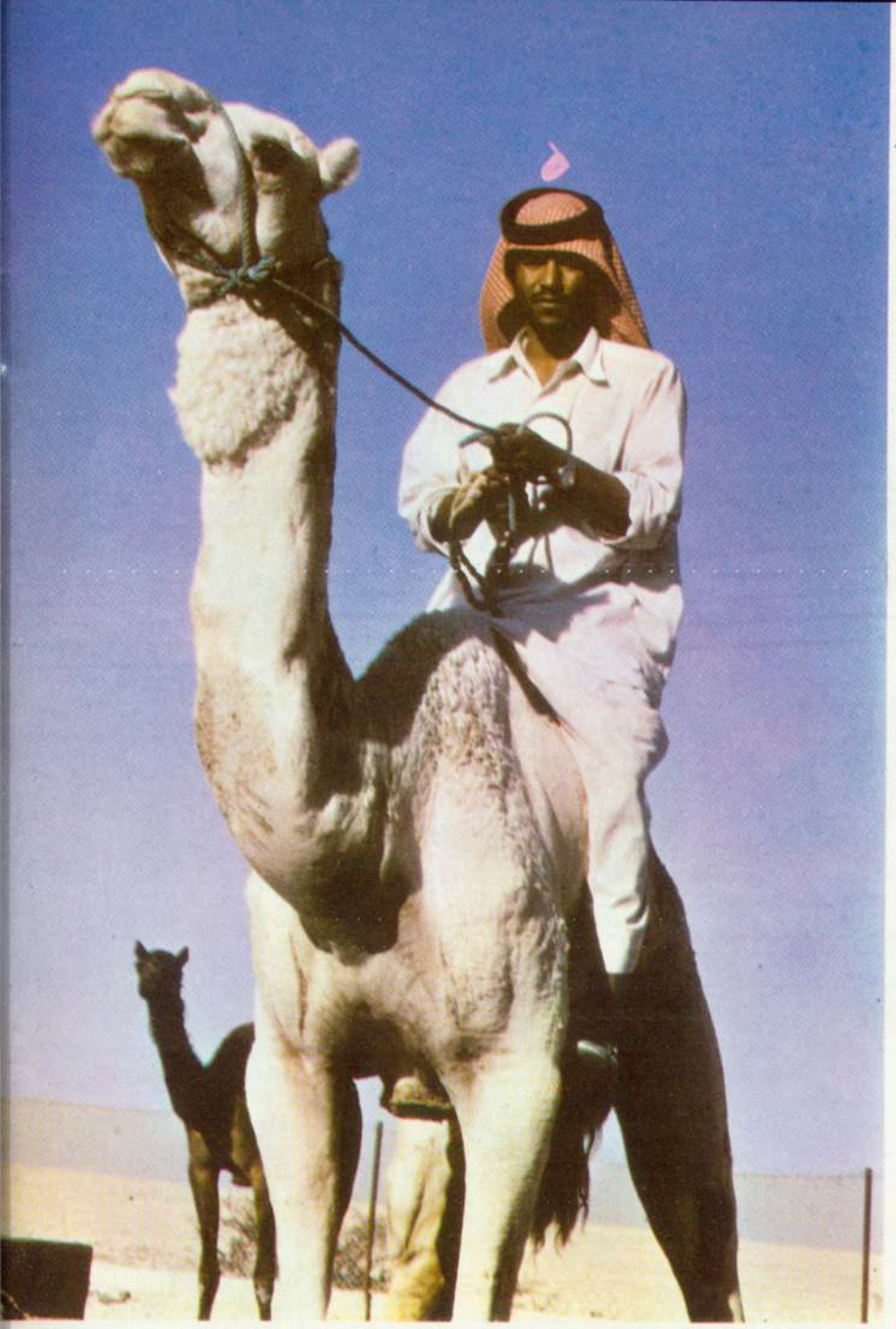
د. محمد الغباشي ربيع

الأبل من الحيوانات العجيبة وإن كنا قد الفناها وتعودناها الآن إلا أنها حقاً حيوانات عظيمة الجسد وسخرها الله سبحانه وتعالى لخدمة الانسان منذ القدم .

والجمل حيوان مطيع . سهل الانقياد . يستطيع حمل الاثقال والرحيل بها مسافات طويلة فى الطرقات الممهدة وبين الصحراء .

فالجمل يستطيع حمل مايزيد على ٣٠٠ كجم ليقطع بها مسافة تزيد على الثلاثين ميلا فى اليوم الواحد دون تعب أو ملل – لذا سمى سفينة الصحراء – والجمل من أقدر الحيوانات صبراعلى الجوع والعطش لفترة زمنية تصل الى عشرة أيام فى المرة الواحدة .

ولقد خلقه الله سبحانه عظيم الجسد طويل الرقبة ، لكى يستطيع النهوض بالأحمال الثقيلة من مباركة . وقد كان الاعتقاد السائد قديماً أن صبر الجمل على العطش يرجع الى تخزينه كمية كبيرة من الماء فى جوفه ، إلا أن الدراسات الحديثة أثبتت أن خلايا جسمه لها قدرة خاصة على تخزين الماء



مجموعة لقطات للجمال فى قطر وفى شرق السودان حيث نرى سفينة الصحراء تقوم بدورها فى العطاء الدائم للانسان .

سفينة الصحراء
القادمة من العصور الجليدية

بها وليس بكرشه كما كان الاعتقاد . وهو يستطيع الاستعاضة عن الماء باعادة امتصاصه من هذه الخلايا .

ويتميز الجمل بمعدة كبيرة ذات ثلاثة أجزاء يستطيع تخزين كميات كبيرة من الغذاء بها دون مضغه مضغاً جيداً يعود لاجترارها وإعادة مضغها جيدا ، وبلعها مرة أخرى . وذلك فى اوقات الراحة ـ لذا جعل الله له اسناناً وضروساً قوية التحمل لأنها دائمة المضغ إلا فى أوقات نومه .

والجمل عندما تتوفر له الظروف الطبيعية والغذاء الجيد يعيش الى ما يقرب من خمسة وعشرين عاماً .

وللأزمات الغذائية التى تجتاح العالم النامى دور كبير فى القضاء على الأعداد الكثيرة من الجمال ومازالت هذه المشكلة تهدد بانقراض هذا النوع من الحيوانات نظرا لذبح أعداد كبيرة منها لسد النقص فى الغذاء القومى فى تلك البلدان الأفريقية والآسيوية .

ولقد ثبت أن أصل الجمال الأولى فى العصور الجليدية شبيهة الى حد كبير بالجمل الموجود الآن إلا أنها كانت صغيرة الحجم ولا يوجد لها السنام المعروف .

والجمال منها ما هو بسنام واحد وهو المعروف الآن بمصر والسودان وشبه الجزيرة العربية والصحراء الليبية وبعض دول إفريقيا وآسيا .

وهناك الجمال ذات السنامين وهذا النوع من الجمال يوجد فى المنطقة الواقعة بين بلاد الصين الى تركستان .

والسنام يحتوى على كميات كبيرة من الدهن يستعين بها جسمه فى فترات الجوع التى يتعرض لها خاصة فى الصحراء عندما تقل الأعشاب وتندر المراعى .

ولما كان الجمل من الحيوانات التى تعيش منذ القدم فى الصحراء فقد زودته عظمة الخالق بشعر كثيف حول فتحتى الأنف والعينين لتقيه شر الذباب والحشرات وعواصف الرمال .

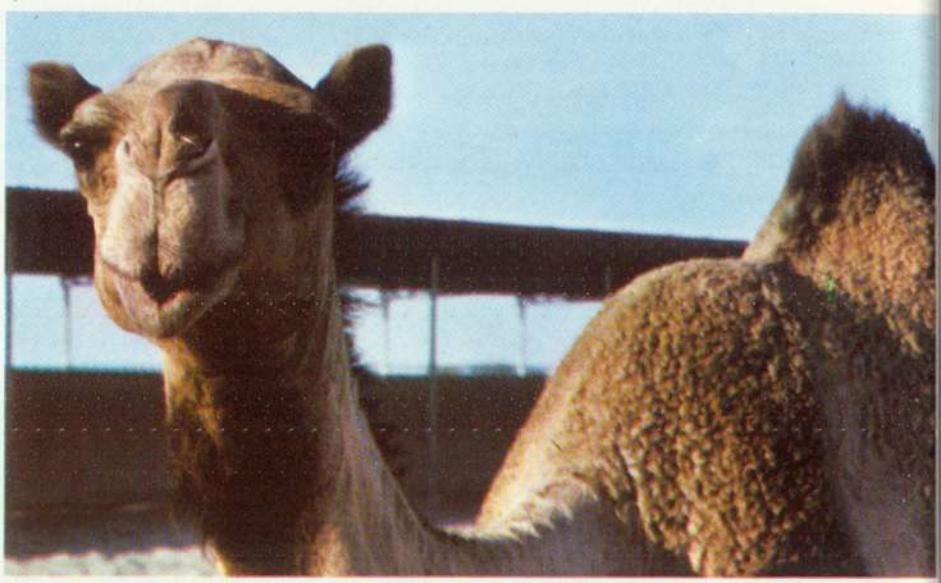
ويتميز خف الجمل أو الفرسن بتكوينه من نسيج اسفنجى مرن قوى مستدير يساعد على السير فوق الرمال وشظايا الصخور الحادة دون أن يعوقه أو تضره .

الجمال العربية

ومن أنواع الجمال المعروفة الجمل العربى ويوجد بمنطقة شبه الجزيرة العربية والجمل المصرى (البلدى) والهندى والبشارى والصومالى والحبشى وجمال الصحراء الغربية (الليبى) .

والجمال العربية موجودة فى منطقة شبه الجزيرة العربية وهى موطنها الأصلي وكانت تنسب قديماً الى الحجاز فكانت تسمى الابل الحجازية وهى تتميز بمواصفات خاصة فهى نحيلة الجسد قوية التحمل سريعة العدو تستطيع تسلق الجبال وقد ساعدها على ذلك نشأتها الطبيعية فى البادية منذ القدم واعتمادها على أنفسها فى طلب الغذاء والتنقل بين الصحراء فى جماعات للبحث عن الطعام والشراب .





ولقد استخدم العرب الأجداد الجمال فى اسفارهم وحمل تجارتهم من مكان الى آخر والتنقل بها فى الصحراء بحثاً عن المراعى لأغنامهم وحيواناتهم وكانت تستخدم أيضاً فى إمداد الجيوش بالمؤن والعتاد الحربى قديماً وحتى فى الحروب الحديثة استخدمت الجمال فى حمل الذخيرة والطعام وتوصيلها الى الأماكن المرتفعة ولم تكن هدفاً لقصف الطائرات كما هو الحال فى النقل بالسيارات العسكرية .

وكانت الجمال تعطى فى الديات وتدفع مهورا للعرائس .. وفى الحديث الشريف أن النبى عليه الصلاة والسلام قال : « لا تسبوا الابل فان فيها رقوء الدم ومهر الكريمة » .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر دور الناقة التى حملت الرسول الكريم فى هجرته الى المدينة المنورة وكذا الجمال التى كانت تأتى من كل بلاد المسلمين بالحجاج الى بيت الله الحرام . ومازالت الجمال تستعمل حتى الآن فى بعض الدول فى الأغراض الزراعية .

ويعتبر حليب الابل مصدرا ممتازا وغنيا بالعناصر الغذائية ويقبل عليه مربو الابل خاصة فى منطقة شبه

● الجِمَال تحب الصحراء وتعيش فيها جماعات

الجزيرة العربية لما أدركوا ما فيه من فوائد لهم ولتعودهم عليه جيلا بعد جيل

ولقد قام بعض الزملاء بالمملكة العربية السعودية بينهم الدكتور أحمد العريان بعمل دراسات على حليب المطايا بالمنطقة واتضح أن تركيبه يختلف من منطقة الى أخرى حسب نوع الغذاء وكميته ووجود المراعى الجيدة وكذلك نوع المطايا نفسها وموسم الادرار . وقد لوحظ أن لون الحليب أبيض طباشيرى وله طعم حلو المذاق بصفة عامة وإن كان هناك بعض النياق التى يتميز حليبها بالطعم المالح لارتفاع نسبة أملاح الكلوريد بها .

وتتراوح الكثافة النوعية لحليب الابل بين ١,٠٢٨ ، ١,٠٣٨ ومتوسط نسبة الماء فيه ٨٥,٦٪ الى ٨٩,٦٪ وتصل أعلى نسبة للدهن فى آخر موسم الحليب الى ٦,٤٪ كما تتراوح نسبة اللاكتوز ما بين ٣ـ ٥,٦٥٪ ونسبة البروتين تتراوح بين ٢,٥٪ الى ٤٪ تقريباً ويتميز حليب الابل بارتفاع نسبة أملاح الكلوريد بالمقارنة بحليب الحيوانات الأخرى .

ويستمر موسم الحليب فى النياق ما بين ٣٧٥ الى ٤٥٠ يوما وتعطى الناقة الواحدة من ١٩٥٠ كجم الى ٢٧٠٠ كجم من الحليب فى الموسم الواحد .

ويقول القزوينى فى كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات فى لبن الابل انه ينفع من السموم جميعها والتمضمض به يقى من تاكل الأسنان .

ومن جلود الابل تصنع بعض المنتوجات الجلدية وكذا وبرها تصنع منه الملابس والأغطية التى تستعمل فى حياة بعض الشعوب ومازالت تصنع منه الخيام والتى يستخدمها العرب الرحل والبدو فى الصحراء .

صفات الجمل

ومن صفات الجمل الجيد أنه طويل العنق كبير الجسم مرتفع القوائم سنامه مكتنز الشحم فوق ظهره.ورأسه صغيرة وأذناه رقيقتان.وعيناه واسعتان ـ قوى البصر أنفه مستطيل المنخرين وفمه واسع

سفينة الصحراء
القادمة من العصور الجليدية

والشفة العليا مشقوقة الى نصفين متساويين – اسنانه قوية – فراسنه مستديرة واسعة مرنة غير صلبة تساعده على السير فى الرمال دون أن تغوص ارجله فيها .

ومن صفات الجمل الجيد ايضا ان يكون الجلد خاليا من الطفيليات الخارجية والأمراض الجلدية كالجرب والقراد والدرنات الجلدية وان تكون غدده الليمفاوية الظاهرة بحجمها الطبيعى غير متضخمة خالية من مرض السل .

ومن الأشياء التى يتفرد بها الجمل وجود ما يشبه الوسادة المستديرة اسفل منطقة الصدر وتسمى السعدانة تحميه من الارتطام بالأرض اثناء تبريكه بالأحمال الثقيلة او النهوض بها وهى فى الجمل السليم اسفنجية مرنة خالية من الشقوق والجروح .

ومن الأشياء الغريبة ان الابل ليس لها مرارة على كبدها كما هو الحال فى سائر بنى الانسان والحيوان وربما يرجع صبره وقوته على تحمل المشاق الى ذلك ولكن صبر الجمل إذا نفد يسوء خلقه ويشتد هياجه ويظهر زبده ورغاؤه ويقل اكله ويخرج الشقشقة او « القلة » – كما تسمى فى مصر – من فمه متدلية على احد الجوانب وهى عبارة عن غشاء رقيق يشبه البالونة الحمراء الوردية – وهى من الناحية التشريحية عبارة عن جزء رقيق من سقف الحلق العلوى الداخلى .

والجمل عند غضبه يغدو اشد الحيوانات حقدا وتصميما على الانتقام ويحدث ذلك بعد تحمله الأذى لفترات طويلة إلا انه لا يلحق الضرر إلا بمن يؤذيه وربما امتنع عن الطعام والشراب فترة طويلة الى ان تجيء ساعة الانتقام .

والابل يطلق عليها بنات اللبن ويقال للذكر والأنثى منها بعير إذا تجاوز الخامسة من العمر – وتسمى الناقة المسنة (المشارف) والابل ذوات السنامين تسمى العوامل ومن القاب الابل ايضا العيس وهى الصافية البياض وتعتبر من كرام الابل

ومن القابها ايضا (الوجناء) وهى شديدة الصلابة و « الشملاء » وهى الخفيفة و « التعملة » وهى التى تعمل و « الناجية والشمليل » وهى السريعة العدو « والعوجاء والحرف » وهى الضامرة و « والشمرلة » وهى الطويلة و « الهجان » وهى الابل الكريمة و« الكوماء » وهى الناقة العظيمة السنام و « القوداء » وهى الطويلة العنق .

ورضيع الناقة يسمى « حوارا » حتى يفطم وإذا فطم سمى « فصيلا » .

«والقعود» من الابل هى التى تخصص لحمل الزاد فى الأسفار و «المطية» هى الناقة التى يمتطى ظهرها للركوب وجمعها مطايا – وقال فيها أبو نواس :

الجمال العربية الأصيلة التى كانت تسمى قديما بالابل الحجازية .



وإذا المطى بنا بلغن محمدا
فظهورهن على الرجال حرام

« والهلال » هو الجمل الذى بلغ به الجرب حد الهزال .

وللابل لغة خاصة يتفاهم بعضها البعض وصوت الابل يسمى « رغاء »

عظمة الخالق

ورغم ان الجمل يعتبر من الحيوانات القوية إلا انه حيوان رقيق حساس يتحمل اشد الامراض ويقاومها بكل قوة الى اخر لحظة فى حياته ويابى ان يتاوه لمرضه او يستكين امامه ـ والجمل فى الصحراء عندما يمرض لا يستسلم لمرضه بل يتجه الى الطرق الرئيسية المعتدة بالصحراء وكانه ينشد العلاج عند بنى البشر ، وعندما يشتد به المرض يتعمد باركا على جانبى الطريق مسلما امره الى الله

ومن الاعشاب والنباتات الصحراوية ما هو فيه الدواء والشفاء للجمل فعند مرضه يبحث عنها ويأكلها فهى تفيد بعض أمراضه ... اليس ذلك من دلائل

● أكثر الحيوانات عطاء للإنسان.. حملته على ظهورها وعلّمته الصبر وقوة التحمل

عظمة الخالق سبحانه وتعالى ؟ !

والجمال تحب الصحراء وتعيش فيها جماعات وقد عرف مربو الجمال ذلك فهم يتركونها ترعى فيها إلا الحلوب منها وقد نجد ان كل مجموعة من تلك الجمال تحمل علامات معينة وضعها اصحابها بالكى بالنار ليستطيعوا تمييزها عن غيرهما . وقد تنتج بعض الجمال ليلا الى الطرق الرئيسية فى هذه المناطق وتحدث الكارثة عندما يرى الجمل ضوء سيارة مسرعة فيتجه نحوها وكانه متعمد ليرتطم بها ويكون هو القاتل والمقتول .

وطعام الابل فى الصحراء الحشائش والأعشاب البرية واوراق الاشجار،حتى الاشجار الشائكة للجمل القدرة على اكل اوراقها واغصانها ويساعده على ذلك ان الشفة العليا مشقوقة كما ذكرنا .

وتعود مربوالابل على اطعامها الجت (البرسيم) والشعير والفول والذرة والنخالة وبقايا المحاصيل ـ وبعض مربى الابل يهتمون بها غاية الاهتمام وخاصة الهجن منها فيخصص لكل مطية من هذا النوع بقرة حلوب تشرب لبنها مرة على الاقل يوميا كما يعطى لها التمور من الانواع الجيدة .

إلا انه فى بعض الحالات تعود اصحاب الابل على تركها تتناول نفايا الطعام وبقاياه المتعفنة مما يؤدى فى كثير من الأحيان الى اصابة هذه الابل بالتسمم الغذائى نتيجة وجود المواد السامة والتى تفرزها بعض انواع البيكتريا او ان تصاب هذه الابل بالاضطرابات المعوية على اثر تناول هذه الفضلات ويحدث ذلك فى الابل التى توجد قريبة من مشارف المدن والقرى .

الابل فى خطر

وللابل فى دولة قطر مكانة عظيمة بين ثروتها الحيوانية ـ اهتمت الدولة بتربيتها وتشجيع المواطنين على اقتناء الأعداد الكبيرة منها وهى موجودة فى تجمعات فى معظم ارجاء البلاد وفى الصحراء وهى تخطى بالتغذية السليمة والعناية الوفيرة وتنفرد وزارة الصناعة والزراعة باعتماد المبالغ الكبيرة للرعاية البيطرية ومقاومة الأمراض والطفيليات الخارجية والتى كانت تفتك بها .

ويقوم المهتمون على تربيتها باقامة السباق للهجن منها كل عام وفى بعض المناسبات لادخال السرور على الناس والتمتع بهذه الرياضة العربية الشيقة .

سباق الهجن

وسباق الهجن من الرياضات الشعبية التى اشتهر بها العرب من زمن طويل خاصة فى الجزيرة العربية وهى رياضة شعبية محببة تقام لها المباريات السنوية وفى المناسبات والاعياد الوطنية والدينية وفيها يتسابق جمال الهجن وعلى ظهورها الفرسان الى مسافات طويلة تبلغ عشرات الكيلومترات بين نقطة البداية والنهاية وفى نقطة النهاية ينتظر الجمع الغفير من هواة هذه الرياضة الشعبية بينهم لجنة من الحكام وتقام للاوائل منها فى السباق الاحتفال وتوزع الجوائز القيمة وينال الجمل الفائز الشهرة له ولصاحبه ويسجل ذلك فى قوائم خاصة وقد يجلب الجمل الفائز الخير على صاحبه .

والجمال التى تستعمل فى سباق الهجن لها مواصفات خاصة اشتهرت بها الجمال السودانية والعمانية لأنها اسرع الجمال عدوا واخفها جسما وانحلها عودا واجملها منظرا وتسمى الهجن ومن هنا جاءت التسمية بسباق الهجن .

● ● ●

هكذا كانت الابل فى العصور الجليدية وهكذا هى الابل الان فهى من اكبر الحيوانات المستانسة حجما ومن اغربها شكلا واكثرها انقيادا وطوعا واقلها طلبا للنكلفة واكبرها عطاء للانسان ـ حملته على ظهورها منذ فجر التاريخ وعلمته الصبر وقوة التحمل ومن بين فرثها ودمها لبن لذة للشاربين ومن لحومها طعام لمن اراد الطعام ومن جلودها ووبرها غطاء وكساء ومتاع . والتامل فى خلقها عقيدة وعبادة وصدق الله العظيم حين قال فى كتابه العزيز : « افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت » !

د. محمد الغباشى ربيع





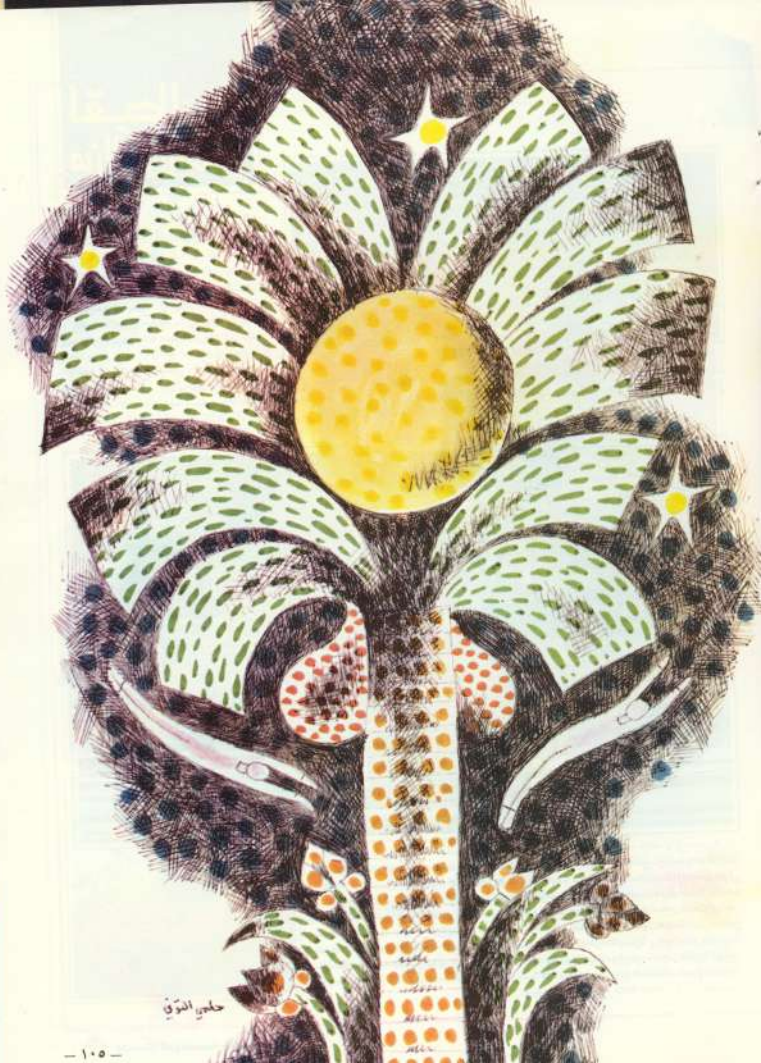
... ونعيش نضحك للقمر

قوم .. يجوبون القمر ..
من اجل .. آفاق بعيدة
من اجل .. آيات جديدة
من اجل .. إنجاز آخر
من اجل .. خير بنى البشر
ونعيش .. نضحك للقمر ...
لنصوغ .. ابيات عديدة
ومشاعراً .. جاءت قصيدة
للبدر .. لو يوماً حضر
للحسن .. لو فى الحلم مر
والناس تصعد للقمر ...
ونعيش .. فى لجج الهوى
والقلب .. منهوك القوى
يشقى .. على جمر السهر
ويذوب .. فى لحن الوتر
والناس .. تصعد للقمر ...
فاذا اتانا باليقين .. صدى تمخض عن خبر
عن منجزات للآلى .. ذهبوا يجوبون القمر
سنقول .. خاب من افترى .. ولربما قلنا كفر
ونقول .. وهم زائف .. وجريمة لن تغتفر
ونظل نحيا بالتواكل .. رغم آلاف العبر
لنظل فوق شفاهنا .. هذا قضاء او قدر
نرضى بها ... سر الشقاء .. ونستقر على الأمر
والناس .. تصعد للقمر ..
ونعيش فى عصر الحجر .. ونغوص فى الماء العكر
ويقودنا .. حب الفراغ .. إلى الرحيل إلى السفر
والبحث عن أفيون .. نمسح فيه أقذاء الضجر
لكننا .. نبكى على الحب المبعثر فى الشجر
وعلى قصائد قيس .. نقرؤها .. إذا هطل المطر
والناس .. تصعد للقمر ...
ونعيش فى الماضى البعيد
وعزة الأمس المجيد
بلا طموح .. او وطر
وكاننا .. لسنا بشر

• • •

ونعيش .. نضحك للقمر

شعر الدكتور:
أسامة عبد الرحمن


حلمي التوني

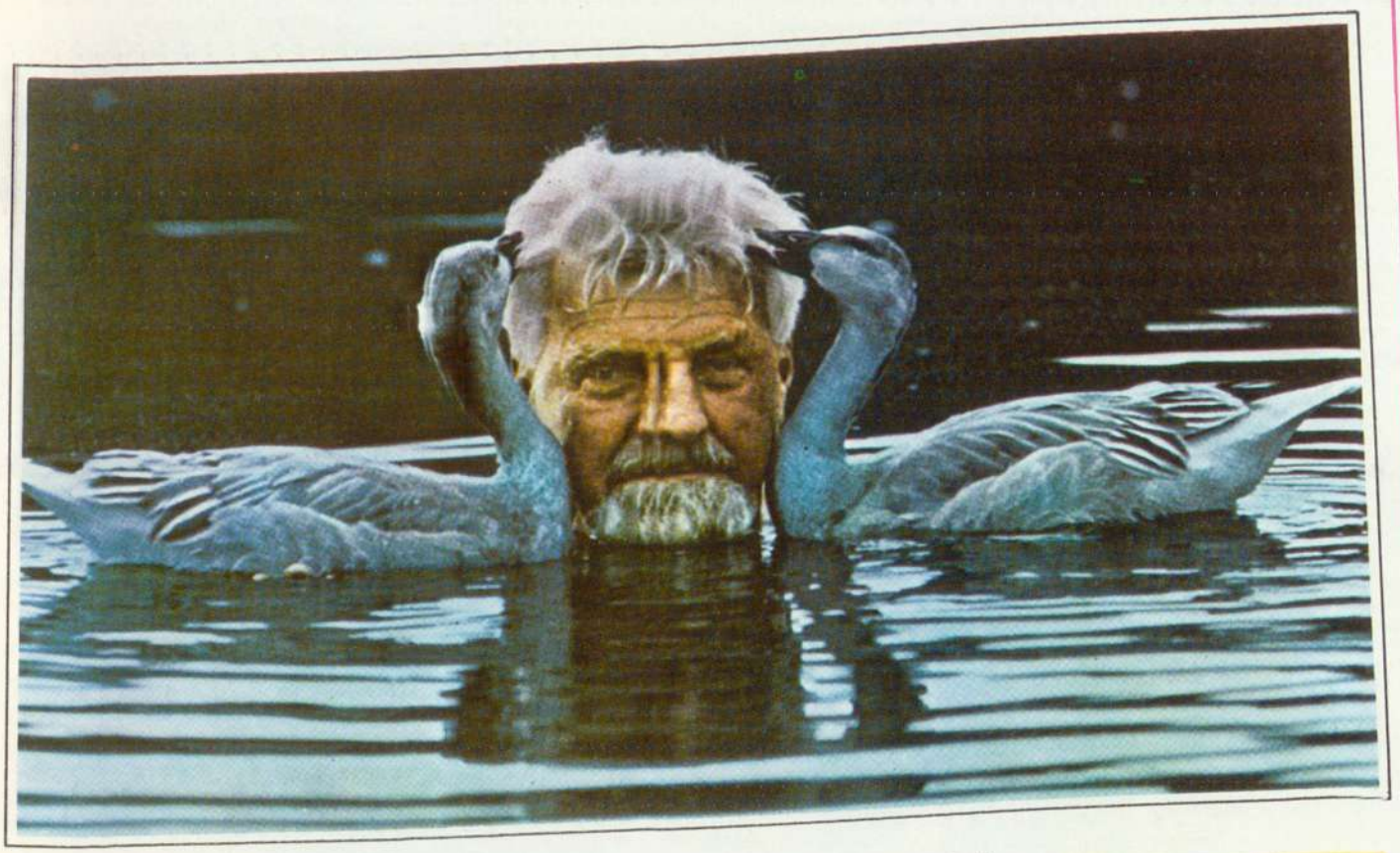
لقطات من الكون المثير



خدعة أم حقيقة ؟!

هل يطير حقا فى الهواء بمثل هذا التشكيل الغريب . ؟ ! .

نعم .. فالصورة حقيقية ، إذ أن هؤلاء الرجال يسبحون فى الهواء كما نسبح نحن مثلا فى الماء ، ولهذا يطلق عليهم غواصو الفضاء أو الهواء . أما لماذا قاموا بهذا التشكيل ، فذلك يرجع الى حقيقة معروفة ، وهى الاقلال من سرعة الهبوط من خلال مقاومة اجسامهم وأرجلهم وأذرعهم المفرودة للهواء ، وهو أمر معروف فى الطيور ولطائرات والبذور ذات الأجنحة وما شابه ذلك ، وطبيعى أن هؤلاء يقومون بتدريب جماعى ، وقد ارتدوا ملابس و « عواءات » هوائية تساعدهم على الهبوط التدريجى دون أن يلحق بهم الأذى عند اصطدامهم بالأرض ، ولكل شىء هنا حساب ومقدار . .



ليست خدعة .. بل من ورائها حكمة !

أحيانا ما يتصرف بعض العلماء بطريقة قد يظنها عامة الناس أمرا مضحكا ومثيرا للسخرية والتعليقات اللاذعة ومن هؤلاء العلماء من يدرسون مثلا سلوك الحيوان ، فهذه الرأس الطافية فوق سطح الماء ليست إلا رأس العالم النمسوى الشهير كونراد لورينز الذى أثرى المراجع العلمية بحقائق كثيرة عن سلوك الحيوان ، ولقد غاص بجسمه فى الماء ، وأسلم رأسه لهاتين الأوزتين اللتيتين تدغدغان له شعره ، كأنما هو بمثابة الأم ، فاذا سبح سبحتا وراءه ، وإذا توقف ، توقفتا معه لتدغدغانه بمنقاريهما ، أو تطلقان صيحات وكأنما هما تريدان أن تقولا له شيئا ، ثم إذا خرج من هذه البحيرة الملحقة بمعهد البحوث الذى سمى باسمه ببافاريا (المانيا) خرجتا وسارتا وراءه ، ولقد أوضح لنا لورينز انه بالامكان تعلم لغة الطير والحيوان ، والسيطرة والنداء عليه وتوجيهه ، والواقع انه ربى هاتين الأوزتين منذ الصغر ، وعاش معهما ، فلم تفارقاه معظم الأوقات ، وكأنما هو بمثابة أمهما التى افتقداها ، فعوضهما الله بلورينز خيرا .

أرقـام قياسيـة

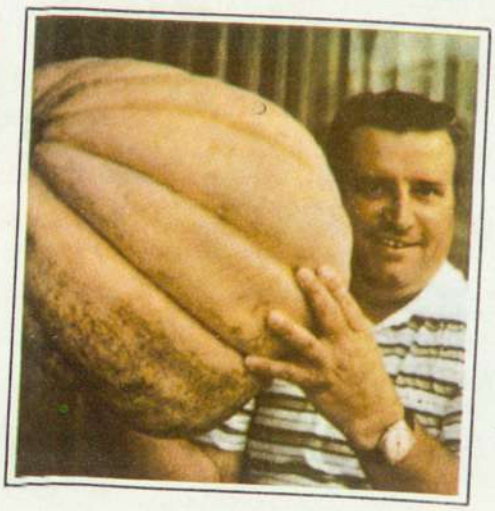
فى كل عام تجرى مسابقات بين محترفى وهواة تربية النباتات ليحققوا أرقاماً قياسية فى وفرة انتاج الثمار من حيث النوع أو الكم ، وأحياناً ما تصل الثمرة الى احجام وأوزان يصعب تصديقها ، لكن الصورة المنشورة هنا تغنى عن الكلام .. إذ يعرض علينا كل متسابق ما حققه فى هذا المجال ، وإليك البيان :

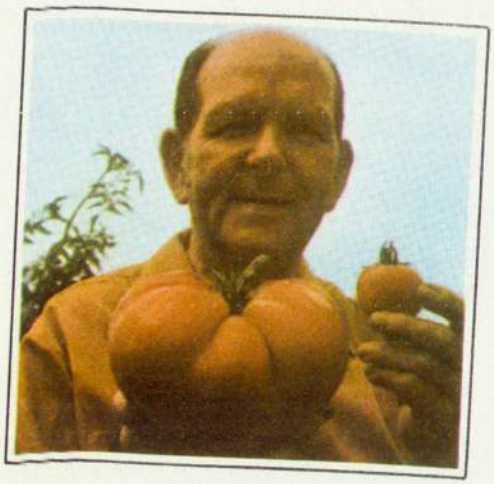
١ ثمرة شمام عملاقة تزن ٨٩٫٣ كيلوجراما نمت فى كارولينا الشمالية .

٢ ـ ثمرة طماطم تزن حوالى كيلوجرامين ..... (بالتحديد ١٫٩٢٥ كيلوجراما) .

وانعم بها من مسابقات ، وانعم بهم من متسابقين يسعون دائما الى تحقيق كل ماهو مفيد فى عالم يحتاج دائماً الى مزيد من الطعام .

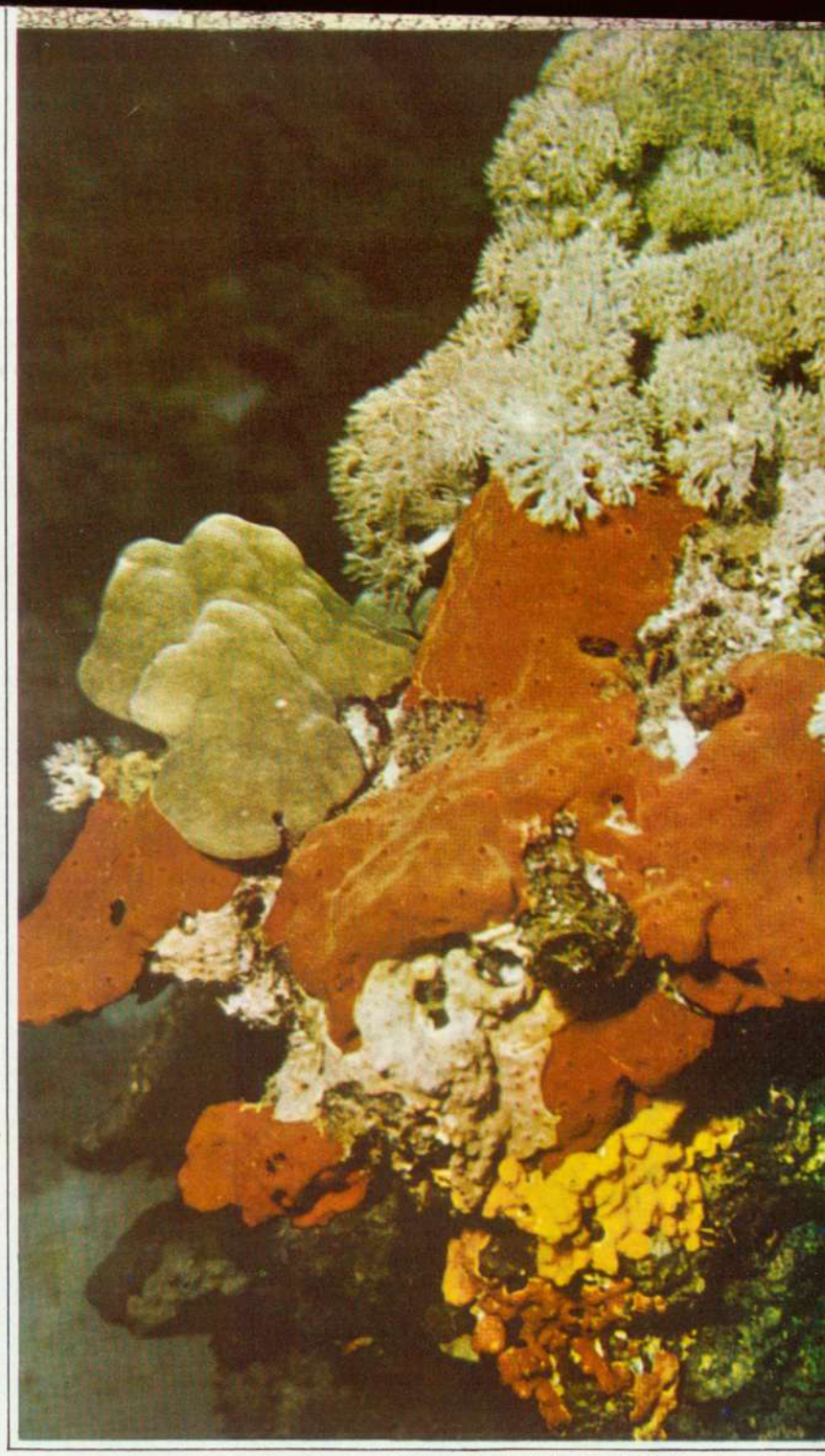




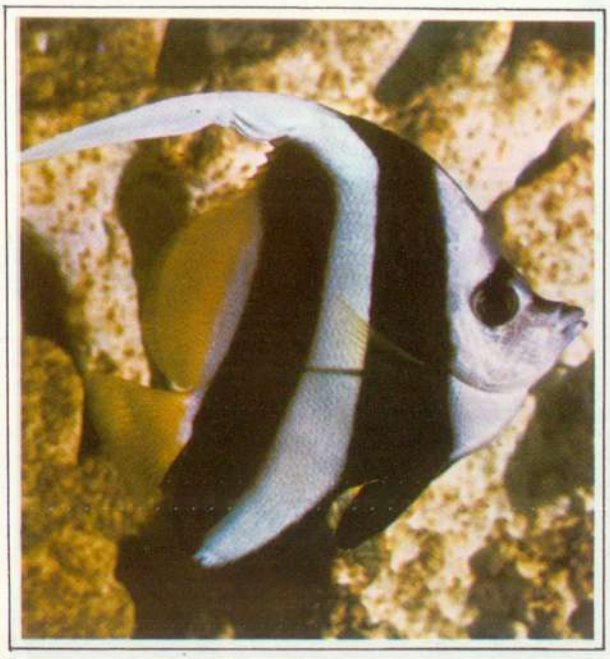


لكل عالم ما يناسبه من ابتكارات

فى شموخ واعتداد يقف هذا الكائن وكأنما هو أحد مخلوقات الفضاء التى جاءت الى أرضنا غازية .. مع أنه أحد أبناء هذا الكوكب الذى يحتوى من صور الحياة كل ما هو مثير ومرعب وغريب .. فهذا المخلوق يعرف باسم فرس النبى ، أو « حصان ابليس » فى بعض الدول العربية ، وطالما حكيت حوله الأساطير لسلوكه الغريب ، خاصة فى فصل التزاوج ، إذ غالباً ما تأكل الأنثى زوجها أثناء فترة الجماع ، لكن ما علينا من ذلك ، فالذى يجتذب النظر هنا هما هذان الـ التصميمان الطويلان اللذان يشبهان ريشتين أو مشطين ذاتا تناسق ودقة وجمال .. انهما قرنان للاستشعار يشبهان الى حد ما «الهوائى» أو الرادار الذى يلتقط الموجات ، لكن قرنى الاستشعار هنا جاءا ليلتقطا الروائح العطرية التى تفرزها الاناث ، وبهذا يستطيع الذكر أن يهتدى الى انثاه ، حتى ولو باعدت بينهما المسافات ، ولكل عالم ما يناسبه .. ألا ترى معنا أن الحياة ذات أفكار خصبة سبقت بها أفكارنا منذ ملايين السنين ؟ ... ولا جديد تحت الشمس ـ كما يقولون .



التناسق والجمال فى اسماك شعاب المرجان يظهر هنا دون ما حاجة الى تعليق .



تشكيل بديع من جزء من شعاب البحر الاحمر المرجانية ، إذ تبدو هنا وكأنما هى حدائق « بابل »المعلقة .



زينة وأناقة تشهد بابداع « الذى خلق فسوى »

..وللبحار متاحف متحركة وتحف حيّة!

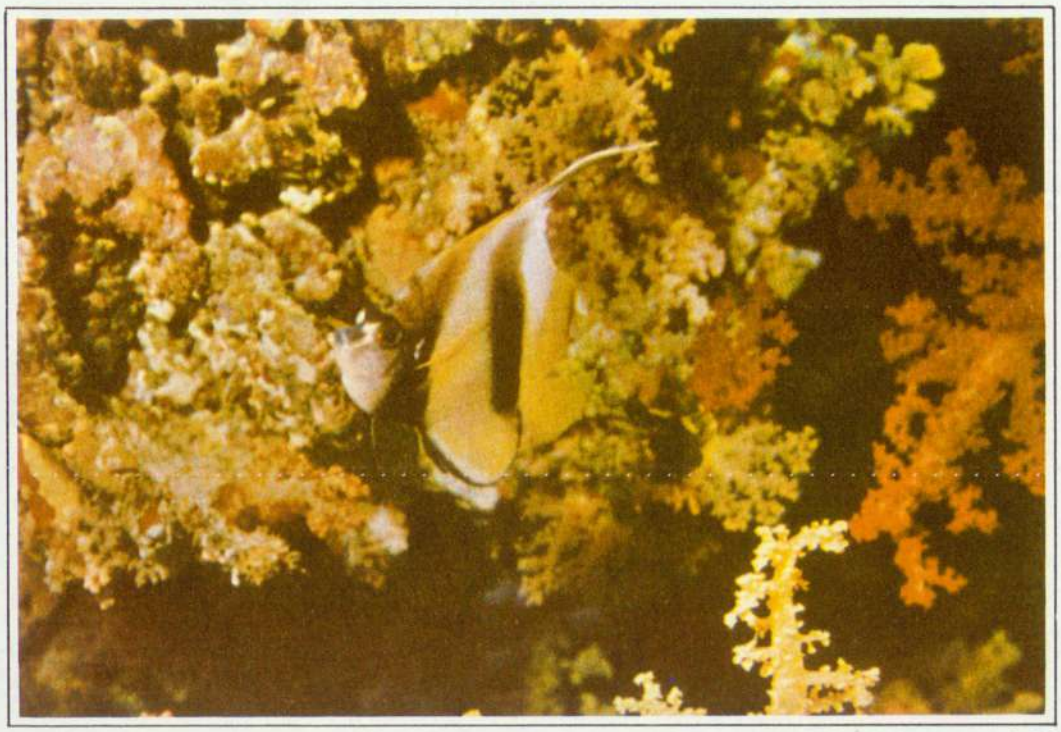
د. عبدالمحسن صالح



ليست فراشات البر أجمل من فراشات البحر .. ولكل عالم ما يناسبه ، فهذه السمكة قد جاءت تحفة فنية حية ، .. فجاء كل جزء من جسمها ، وكأنما هو فراشة من فراشات عالمنا .. وكم تضم شعاب المرجان من لوحات تثير فضول هواة الجمال .

نحن ندعوك لرحلة قصيرة نستكشف فيها سوياً بعض الصفات الجمالية التى اتحفت بها الحياة الكثير من مخلوقاتها ، حتى لكأنما هى لوحات من أبدع ما نظرت اليه العين ، وارتاحت له النفس ، وخشع به الوجدان ، فيروح الانسان فى تأملات صامتة عابدة لمبـــدع هذه الأكوان !

ولتكن وجهتنا هذه المرة الى مياه البحار والمحيطات ، حيث تسكن فيها حياة من صنوف الأشكال ، وجمال الألوان ، ما يأخذ بنواصى العقـول والألباب ، وعندئذ سندرك الكثير مما خفى على السمع والحس والبصر والفؤاد!



كأنما هى زهور نباتات ، لكنها نوع من الحيوانات الذى ينتشر على الشعاب المرجانية .

..وللبحار متاحف متحركة وتحف حيّة!

فالذين غاصوا فى أعماق البحار والمحيطات ، وتجشموا المتاعب ، وتعرضوا للأخطار ، قد نسوا كل ما يجول فى خاطرهم من أفكار ، إذ عندما وقعت عيونهم على كنوز من الجمال تهون بجوارها كنوز المال ، عرفوا أنهم أمام لوحات جمالية كثيرة ومتباينة .. بعضها ساكن ، وبعضها متحرك ، ومن امتزاج هذا وذاك ، تتبدل المناظر الممتعة ، وتتباين اللوحات المبدعة ، فتند عن الانسان شهقة لهذه الصور الحية المذهلة ، ويتأكد لديه أن الجمال والمتعة الحقيقية ليس مكانها اليابسة ، بل ان مجالها يكمن فى ثنايا هذه البحار التى انطوت على كل تلك الكنوز من الأسرار !

حسنات العلم

لكننا لن نكلفك مغبة الغوص فى البحار والمحيطات ، فهذا أمر يستدعى كفاءات واستعدادات خاصة ، وكل ذلك قد تحمله علماء البحار نيابة عنا ، وذهب بعضهم ضحايا حب الكشف والمعرفة ، ولقد استنبطوا لكشف المستور وسائل علمية متطورة ، فنقلوا الينا ما عجزنا نحن عن تحقيقه ، أو الاطلاع عليه ، فنراه أحياناً فى هيئة صور متحركة على شاشات السينما والتليفزيون ، وكأنما نحن نغوص مع الغائصين ، وأحياناً أخرى نراه فى صور ولوحات يعجز الفنانون عن محاكاتها ، حتى ولو اجتمعوا لها ، وهذا ينبئك بالخبر اليقين .. خبر أن الله قد تجلى فى مخلوقاته ، فأبدع فيها وأتقن وسوى .. «صنع الله الذى أتقن كل شىء» !

وتلك واحدة من حسنات العلم التى لا تكاد تعد ولا تحصى .. فأماطت اللثام عن عيوننا ، وكشفت الحجاب عن مداركنا ، وأوضحت لنا أسراراً هائلة فى الكون والحياة ، ثم علمتنا ما لم نكن نعلم ، وخير الناس هو من بصر الناس بما يدور حولهم من روائع الخلق التى ظلت خافية عن عيون الأجيال السابقة ، فزادت الأجيال الحاضرة معرفة وعلماً وحكمة ، ومع ذلك نرى بعض الناس وقد تهجموا على العلم والعلماء ، واتهموهم بالجمود والمادية وانعدام الصفاء الروحى ، ولاشك أن ذلك محض افتراء ، فالعلماء بشر أولا وأخيراً ، وهم يرون ما لا يرى الناس ، لأنهم يتعمقون فى أسرار الخلق ، فيتضح لهم أن كل شىء قد قام على نظام ، وسار بقانون ، وسرى بناموس ، ومن هنا جاء التفكير العلمى منظماً ومرتباً وصافياً ، لأنه يستمد زاده من الشرائع الطبيعية ، والسنن الكونية التى تحكم كل ما فى الوجود من أمور ظاهرة وخافية ، فلا نكاد نرى فيها عوجاً ولا خللا «سنة الله ، ولن تجد لسنة الله تبديلا» ..

هذا اذن هو الفرق الأساسى بين تفكير الناس ، وتفكير العلماء .. فالعلم ملتزم بشرائع الوجود ، ومن أجل هذا حقق أهدافاً رائعة ، ومنح القوة والسيادة لكل من اتخذه فى الحياة سبيلا ، فى حين لم يحقق الذين يعيشون فى عالم الخيال والقوى الخفية والأرواح والجن والأشباح شيئاً مذكوراً ، لأن أفكارهم غير ملتزمة ولا منظمة ولا منطقية ، كما أنها لا تتمشى مع القوانين الكونية الصامدة الأصيلة ، فمن سار على هديها ، تفتحت له أسرارها ، ومنحته خيراً كثيراً ، ومن حاد عن سبيلها ، اشاحت عنه بوجهها ، وتركته فى غيه وخياله جامداً ، والجمود فى الفكر قتال «لو كنتم تعلمون» !

ثم ان كل شىء حولنا يتطور تطوراً سريعاً ومذهلا ، وما لم نأخذ بأسباب هذا التطور فى حياتنا فلا نلومن إلا أنفسنا .. ولاشك أن خير الناس أنفعهم للناس ، ولقد طور العلم حياة الناس ، وجعلها يسراً من بعد عسر .. فحارب الأمراض ، ويسر سبل المواصلات ، واكتشف منابع الثروات ، وجعل كوكبنا كأنما هو بين أيدينا ، وتحت أقدامنا .. الى آخر هذه الانجازات التى تقع تحت بند الحسنات .. لا السيئات !



تشكيل آخر بديع من تشكيلات الشعاب المرجانية التى لا تتشابه على امتداد آلاف الأميال .

عودة الى عالم الجمال

لقد قدمنا الفقرات السابقة ، ليس من قبيل تحصيل الحاصل ، ولكن الكلام يجر بعضه – كما يقولون – فكل كشف جديد فى أسرار الكون والحياة ، انما هو زاد جميل للعقول الواعية .. لا اللاهية . وهو يقربنا أكثر الى خالق هذه الأكوان ، علنا نقدره حق قدره ، لأن الكشوفات العلمية تفصح عن آيات الخلق البديعة، فتسعد العقول الساعية الى المعرفة فى اية صورة من صورها .. «وفى الأرض آيات ، وفى أنفسكم ، أفلا تبصرون» ؟

وكما يسعد المؤمن بقراءة أو سماع آيات القرآن الكريم ، كذلك يسعد العلماء بآيات أخرى تتجلى لهم فى الخلق – ظاهراً وباطناً – فيرون فيها من دقة النظام ، وعظمة التناسق ، وروعة الاحكام ، ما يجذب ذوى العقول والأفهام وكأنما عقولهم تقول «هل من جديد ؟ .. هل من مزيد» .. ذلك أن العقل لا يشبع أبداً ، لأن زاده يختلف تماماً عن زاد البطون !

وفى البحر آيات .. وفى كائناته علامات دالات على تجليات الذى خلق فأبدع ، وسوى فأتقن ، وصور فأحسن .. وهو فوق كل هذا «جميل يحب الجمال» .. «فأينما تولوا وجوهكم فثم وجه الله» .

ومن هذا المنطلق ، دعنا نتوجه الى عالم البحار ، لنلقى نظرة سريعة على الشعاب المرجانية ، أو على ما يحيطها من كائنات بحرية تزيدها جمالا وبهاء ، حتى لكأنما نحن أمام جنات وبساتين من أروع ما وقع عليه البصر ، وتقبله العقل قبولا حسناً .

فالشعاب المرجانية لا توجد إلا فى المناطق الحارة والمعتدلة ، ومع ذلك تكمن بكثرة فى أماكن محددة ، ومن حسن الحظ أن شاطئى البحر الأحمر غنيان بالمرجان ، إذ تمتد عليهما الشعاب المرجانية من خليجى السويس والعقبة شمالا ، حتى جيبوتي وباب المندب جنوباً ويتراوح عرض هذه الشعب ما بين ١٥ ، ٣٠٠ كيلو متراً ، وهذا يعني أنها تحتوى على ثروة هائلة من التكوينات الجميلة ، والألوان البديعة .

والمرجان قسم كبير من الكائنات الحيوانية البسيطة التكوين ، وهو يضم حوالى ٢٥٠٠ نوع ، ويسكن المياه البحرية الضحلة أو العميقة نسبياً ، ورغم أن المرجان ذاته صلب البناء ، إلا أن الذى يكونه كائنات رقيقة الأجسام ، وهى دائبة العمل فى استخلاص أملاح الجير من الماء ، فترسبها وتشكلها وتلونها على هيئات بنائية تختلف باختلاف النوع ، ولاتزال هذه العملية ساريّة عبر آلاف السنين ، حتى تظهر الشعاب المرجانية المغمورة فوق سطح البحر ، وتتحول الى جزر صغيرة أو كبيرة يمكن التجول عليها دون خوف من البلل ، ولهذا تعرف هذه الكائنات باسم بانيات أو منشئات الجزر المرجانية .. صحيح أن العملية بطيئة ، لكن أعطها عمراً طويلا ، تعطيك تلالا من هياكل يهول العين مرآها .. فلقد تحولت المسلحات المغمورة الى يابسة ، وقدتتحول اليابسة بعد زمن طويل الى أرض مغمورة بالنباتات التى تجذب الحيوانات ، وبهذا تعمر بساكنيها من «أهل» البر ، بعد أن كانت يوماً معمورة «بأهل» البحر .. فلا شىء يدوم إلا وجه ربك الكريم !

هياكل .. وهياكل

ومن المتناقضات الغريبة أن يصبح الهيكل أروع من الحى ، أو العكس أيضاً .. خذ لذلك مثالا بانسان وحيوان حى ، فالذى يهبه جماله هى حياته .. فاذا حل الموت بهذا أو ذاك ، تحلل وترك وراءه هيكلا عظمياً لا يسر الناظرين ، فى حين أن الكائنات المرجانية الحية عكس هذا تماماً ، ذلك أن الكائن الحى منها قد لا يجذب الاهتمام ، ولا هو على شىء من الجمال .. لكن جماله فى هيكله الذى



ثلاثة أسماك من أنواع السمكة العذراء ، تسكن بين أذرع حيوان شقائق النعمان فى الشعاب المرجانية التى تفرز سموماً قاتلة تصيب بها كل من تسول له نفسه لمسها إلا أن السمكة العذراء لا تصاب .

..وللبحار متاحف متحركة وتحف حيّة!

سواه وبناه ، فاذا ماتت تلك الكائنات تحللت ، وتركت وراءها هياكلها الجذابة التى كانت ترتكز عليها وتعيش .. وما أعجب المفارقات .. مفارقات الحياة حتى لو كان ذلك على مستوى هياكل تسر ، وأخرى تغم !

والشعاب المرجانة فى البحر ، كالغابات الاستوائية على البر ، وكما تأوى الغابات صنوفاً كثيرة من الطيور والزواحف والحشرات والحيوانات المفترسة والمسالمة ، كذلك كانت الشعاب المرجانية مأوى وملاذاً لصنوف كثيرة من الكائنات المائية ، وهى فى بناياتها تشبه غابة ذات مسالك وطرق ومتاهات ومخابىء وجيوب تلجأ اليها الحيوانات البحرية الرقيقة ، وبها تحتمى من الأفواه الجائعة .. فالصراع الأزلى فى البحر ، أقدم وأشد من صراع البر ، ولا حكم هناك إلا حكم القوى على الضعيف ، ومع ذلك لم يترك الضعيف لضعفه ، بل منحته الحياة سلاحاً أو سماً أو حيلة أو مأوى ، ليقف بها فى وجه ما هو أقوى ، ومن لا يستخدم سلاحه ، فلا يلومن إلا نفسه .. لا فرق هنا بين كائنات برية وبحرية ، بما فى ذلك الانسان ، وطبيعى أن سلاحه يكمن فى فكره وعقله ، ومع ذلك فهو يعيش فى كوكب أشبه بالغابة ، إذ لازالت القوة هى المسيطرة .. ولا حكم فيها إلا حكم القوى ..فأفيقوا يرحمكم الله !

وعندما رأى الانسان الشعاب المرجانية ، ظنها لأول وهلة غابات مائية ، إذ أن بعضها ينمو ويتفرع كما تتفرع النباتات ، أو قد تتخذ شكل الأوراق والزهور ، والمراوح الورقية «والفازات» .. ومن أجل هذا أطلق الناس عليها مسميات اشتقوها من اسماء الكائنات البرية .. منها مثلا الزنابق المائية ، وشقائق النعمان البحرية (وهذه وتلك زهور برية) ، ومنها ما يشبه مخ الانسان فى تعاريجه وشكله وحجمه ، وأحياناً لونه ، ولهذا سميت باسم «مخ نبتون» ، وهو إله البحر عند الرومان !

جمال الساكن مع جمال متجول !

وتعتبر الشعاب المرجانية بتشكيلاتها المتنوعة ،وألوانها الجذابة ، وبناياتها الفارعة التى قد ترتفع لعشرات الأمتار – تعتبر محط أنظار الكائنات البحرية التى تنشد السلامة والأمان .. لكن أهم ما يميز قاطنات الشعاب أنها جاءت هى الأخرى بأشكال وألوان ولمسات جمالية يسيل لها لعاب كل من يهوى الفن ، ويسعى للجمال ، ولا شك أنها كنوز حية من الفنون المتحركة حول



الحياة فى الشعاب المرجانية ليست هينة ، ولكنها خطرة ، ومن اجل ذلك دخل هذا السرطان بجسمه داخل قوقع مناسب ، فاذا احس بالخطر تراجع وتقوقع داخل القواقع ، واحيانا يختار السرطان قوقعا يشبه الزهور .

جمال آخر من شعاب ذات رونق وبهاء .. فكأنما الجمال السلكن قد جذب اليه الجمال المتحرك ، ليمتزج هذا بذاك ، ويعطينا لوحات بديعة سبحان من نمقها وأخرجها ، لتصبح آيات فى الخلق بينات ولا يطلع على ذلك ، ولا يعرف مغزاه ، إلا كل من سعى إليه ، ونظر نظرة المتأمل الخاشع القانت ذى الاحساس المرهف ، والنفس الصافية ، فيعبد عبادة صامتة لا ركوع فيها ولا سجود .

هذا إذن متحف الطبيعة الحية بكل لوحاته التى تمتد عبر آلاف الأميال ، لكنها جاءت مغمورة تحت سطح الماء ، وقد يكون الماء ذا ضحالة وصفاء ، وعندئذ يتجلى للعين البشرية هذا المهرجان السابح من كائنات متحركة يذهل جمالها العقول ، وعندئذ تتضاءل أمامها متاحف الانسان ذات اللوحات الصامتة ، أو التماثيل الجامدة ، أو النماذج الساكنة ، ومهما أضفى عليها الانسان من نظام فى العرض ، وتنسيق فى الشكل ، وتوزيع فى الأضواء ، فان هذا وغيره لن يرقى بها الى مصاف «متاحف» الخالق المتقنة والمذهلة .. وشتان ما بين هذا وذاك .. أو بين ما خلق الله فأبدع ، وما قدم الانسان وقلد ! .

لكن .. أنى لنا أن نصف هذا الجمال الذى يتوزع بين آلاف الأنواع من الكائنات التى تقطن الشعاب المرجانية ؟

الحق نقول : ان أحدا ـ مهما بلغ فى دقة الوصف وجنوح الخيال ـ لا يستطيع ذلك ، وما عليك ـ إذن ـ إلا أن تتأمل فى واحدة من الاسماك المتشابكة الألوان ، والمنشورة هنا ، وحاول وصفها لتعطى لمستمعيك صورة دقيقة لما انطبع فى ذاكرتك ، وعندئذ قد لا يسعفك ذلك فى توضيح ما عولت عليه !

فجمال الخلق لا يوصف ، بل الأحرى به أن يرى .. صحيح اننا نرى هنا صوراً ، ويراها غيرنا أصولا حية متحركة .. لكن ليس من رأى الأصول ، كمن رأى الصور ، ومع ذلك فلا مناص من الصور فى هذا المجال ، ثم ان شيئا خير من لا شىء !

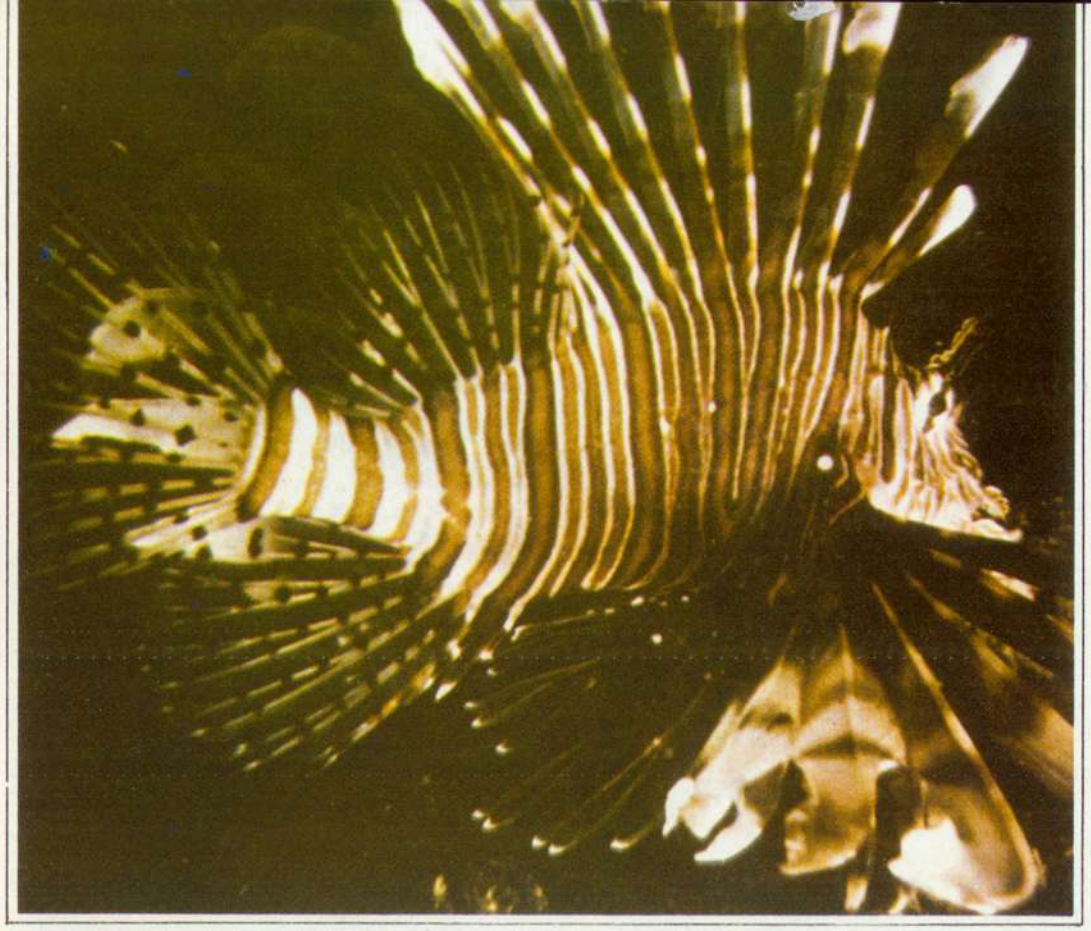
وجزى الله علماء الأحياء البحرية خير الجزاء ، فلقد يسروا للناس رؤية هذه العوالم الجميلة فى متاحف الأحياء البحرية ، وقدموها فى أحواض من زجاج شفاف ذات مياه صافية ، وأمدوا كل كائن بحرى بظروف بيئية شبيهة ببيئته الطبيعية ، ولا شك أن وفرة المعروض وتنوعه ، وذوق العرض وتناسقه ، انما هو جزء من حضارة الأمم وسعيها لكل ما هو جميل وجذاب ، ولهذا لا ننتظر من مفلسى الروح والذوق إلا شططاً ! .

على أن هواة هذا النوع من الجمال قد استضافوا فى بيوتهم اسماكاً جذابة يطلقون عليها أسماك الزينة ، وبعضها باهظ الثمن ، ويتطلب عناية فائقة ، لكن كل هذا يهون عندما نعلم أن التطلع الى هذا المهرجان السابح فى الأحواض يبهج النفس ، ويزيل الملل ، ويريح الأعصاب المتوترة والمكدودة ، وفوق كل ذلك تصبح المتعة لا تمل العين رؤياها ! .

حياة غريبة

وتمتاز الشعاب المرجانية بغناها فى الكائنات البحرية ، فهناك عدة آلاف من الأنواع التى تتبع اجناساً وعائلات ورتبا وقبائل شتى .. فمن كائنات جوفمعوية ، الى ديدان ، الى محاريات وقواقع ، الى سرطانات ، الى جمبريات ، الى نجوم بحر ، الى اسماك صغيرة وكبيرة .. الخ .. الخ ، وطبيعى أن تقديم ذلك يحتاج الى دراسات ودراسات ، لكن يكفى أن نذكر هنا أن هذه المجتمعات تعيش مع بعضها حياة متصارعة فى أغلب الأحيان ، أو قد يحل السلام بين بعضها من خلال معاهدات وأحلاف ومواثيق غير مكتوبة ولا مسجلة .. ومع ذلك فقد استمرت قائمة لملايين السنين دون أن يخل أحد الطرفين بمواثيقه ، والأمثلة هنا كثيرة ، لكن يكفى أن نذكر منها مثالا يوضح لنا معنى ذلك .

فبين الشعاب المرجانية تسكن سمكة رقيقة الحال ، زاهية الألوان ، وهى لا تستطيع لنفسها حماية من أسماك أكبر مفترسة ، ومن أجل هذا لجأت الى أحد شقائق النعمان البحرية لتستجير به ، فأجارها وحماها ، إذ أنه يمتلك ترسانة



جميلة كالفراشة .. لكنها سمكة تسكن شعاب المرجان .. ومن أجل هذا يسمونها « السمكة العقرب » .. وهكذا يقترن الجمال بالسموم

.. وللبحار متاحف متحركة وتحف حيّة!

هائلة من أسلحة حية دقيقة ، لكنها فعالة ، فاذا اقترب منه كائن ، ودخل مجاله ، اطلق عليه أبرا صغيرة مزودة بخلايا تحتوى على مادة تشل وتسم ، وكأنما هذه الأبر بمثابة السهام التى يستخدمها الانسان ، وطبيعى أن لكل عالم ما يناسبه ! .

لكن الغريب أن السمكة الصغيرة (واسمها « العذراء ») تتجول وتتمسح بين أذرع شقائق النعمان دون أن يصيبها مكروه ، لكن السمكة قد جاءت لتكون حليفته ، وهى التى تسحب الاسماك الصغيرة التى لا تتبع نوعها ، وتغريها فى الدخول معها الى شقائق النعمان ، فعلها تنعم مثلها بالأمان ، وتجوز عليها المناورة ، فاذا بها تصبح لشقائق النعمان لقمة سائغة .. وخدمة بخدمة .. فهذا يمنحها الأمان ، وتلك تموله بالطعام ، وتستمر الحياة بينهما على ما يرام !

وهناك أيضاً انواع اخرى من الاسماك الصغيرة ، ويطلق عليها اسم اسماك التزيين أو التمريض أو التنظيف ، ومهمتها أن تسعى للأسماك الكبيرة ، فتنظف لها جروحها ، وتخلصها من طفيلياتها ، وقد تتجول فى داخل أفواهها الواسعة ، وتخلصها مما علق بأسنانها الحادة – أى كأنها مسواك أو طبيب اسنان ، ومن الميسور جدا أن تروح فى خبر كان ، لكن السمكة الكبيرة لا تفعل ، إذ أنها تقابل الاحسان بالاحسان ، وبمثل هذه الخدمات البحرية التى تتم بين الشعاب المرجانية ، ضمنت أسماك التنظيف حياة آمنة ، وكأنما الكل يعرفها ويجلها ويحافظ عليها ، وهى – فى الوقت ذاته – تحصل على غذائها من التهام ما تعلق بزبائنها من طفيليات وأنسجة متهتكة .. الخ .

وقد يكون هناك سرطان مائى من ذلك النوع الرقيق الغض ، وهو لا يمتلك غطاء صلباً كأترابه ، ولو تواكل فى حياته ، فان الحياة لا تحب المتواكلون ، وسيكون الموت جزاءه ، ومن أجل هذا يبحث عن قوقع أو محارة ، فيختفى بداخلها ، وكلما سار ، حملها فوق ظهره ، لتصبح له درعاً ، فاذا أحس بالخطر ، انزوى فى داخلها ، وإذا زال ، خرج بأرجله وسار .. أو قد ينتقى محارة نما عليها أحد أنواع شقائق النعمان السام ، فيدافع عن السرطان « بسهامه » ، وعندما يتجول مع السرطان بما حمل هنا وهناك ، يضمن « الكسيح » (أى شقاق النعمان) سفرا مجانيا على ظهر القوقع المسكون بالسرطان ، ولا شك أن هذا نوع من المنفعة المتبادلة .. سفر بالمجان ، مقابل حماية بالسهام !

ومن الحيل المتقنة التى تلعبها الكائنات التى تسكن بين شعاب المرجان ، لعبة التمويه أو الاختفاء أو « الاستغماية » .. وبها تتلون كما تفعل الحرباء ، وتصبح غير مميزة عن البيئة التى تعيش فيها ، وبهذا تهرب من عيون الأعداء ! .

وللكثير من الأسماك الجميلة التى تعيش فى بيئة الشعاب المرجانية أشواك حادة وسامة ، ولهذا تخشى الكائنات الأخرى بأسها ، وتتجنب سمومها .. ومن بين هذه الأسماك سمكة الشيطان ، والسمكة العقرب .. الخ ، وهى أسماء على مسميات !

وصور الحياة بعد ذلك كثيرة ومتصارعة ومثيرة .. وكأنما هى تقوم على مبدأ اكل ومأكول ، وغالب ومغلوب ، وصيد وصياد .. انها حياة تعيش على حياة ، ومن لا يأخذ فيها حذره ، فلا يلومن إلا نفسه .. وفى ذلك الكفاية لقوم يتفقهون .

دكتور عبد المحسن صالح

من أجلى

شعر: جليلة رضا



من أجلِكَ قضَّيتُ حياتي وأنا فى الأسْر
أقتطِع الاحجارَ الصَّلبةَ ، أحملها فوق الظهْر
الموتُ العشرون أتانى .. وأنا حيَّه
أتمشَّى بين الأطلالِ
أبلع فى نهَمٍ وشهيَّهْ ...
العسَلَ المرَّ .. وأرفُلُ فى الأغلالِ
فالقيدُ ـ بلا كرهٍ ـ حريَّه
و لأجل أمانيك النفسيَّهْ
أطبقتُ عيوناً وشفاه
وكتمت الآه ..

* * *

من أجلكَ .. هاجرتُ الى أرض المنفَى والنسيانْ
ورفعت العلَمَ الأبيضَ فى الميدانْ
ووقفتُ بآخر صف للشعراءْ
اتجنبُ ضوءَ الأضواءْ
اتجنبُ زهوَ الفنِّ ، غرُورَ الفنِّ
وأقيك من الغيرة والظنِّ
وتلفعت بشال مغزول من وبر الأغنامْ
وحلبت الأبقار .. وأوقدت الأفرانْ
وبلا إكراهْ ..

* * *

من أجلكَ صاحبتُ الغرباءْ
ولكيلا تطفو فوقَ السطح
ولكيلا أنبش فيك الجرح
ولكى تحيا فى البيت السيد والرُّبَّانْ
.. أخفيتُ عليك شعورَ الأم . مع الأبناءْ
ولبست قناعَ الصحة ، وارَيْتُ الداءْ
ومنحتُكَ فى العش الهادىءِ كلَّ أمانْ
ورضِيتُ بما قَسَمَ اللَّهْ ..

فدوى طوقان

وحياتها العاطفية

مناقشة صريحة.. وحقائق غائبة

د. عيسى الناعوري

● قبل خمس سنوات ، فى شهر شباط سنة ١٩٧٦ ، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، فى بيروت ، كتاب «صفحات مجهولة فى الأدب العربى المعاصر» . ويقع الكتاب فى ٣٣٥ صفحة من القطع الكبير . وقد صدره المؤلف بكلمة للدكتور طه حسين ، كأنما شاء أن يدعم بها ما سيضمنه الكتاب من عمل ، فيه خروج على المألوف ، وتصريح بأمور تدعو الى التحرج والحذر وعدم الخوض فى شئون الآخرين الحميمة جداً ، أو العاطفية بشكل خاص.

هذه الكلمة يقول فيها طه حسين :

«لا أظننى أعرف أدباً مقيداً ، غالياً فى الاحتياط ، كأدبنا العربى الحديث ، الذى ينشئه أصحابه وهم يفكرون فى الناس أكثر مما يفكرون بأنفسهم ، حتى أطمعوا الناس فيهم ، وأصبحوا عبيداً للجماعة ، وخدماً للقراء . فلنتمرد على الجماعة ، ولنثر بالقراء ، ولننبذ الاحتياط كله ، إلا هذا الذى يثير الشر أو يؤذى الأخلاق ●

وأنا أتساءل عن الفائدة من هذا التصدير ؛ وقد كان المؤلف يستطيع أن يضمن مقدمة كتابه ما شاء من التبرير لما هو مقدم عليه فى كتابه ، دون استعانة برأى طه حسين أو غيره ؛ لأن رأى طه حسين ما كان ليبرر الخطأ – إن كان فى العمل خطأ – ولا كان ليدعم الصواب – إن كان العمل صائباً – .

صفحات مجهولة

يدور الكتاب على حياة الأديب والناقد المصرى المعروف أنور المعداوى وأدبه ، ويتناول على الأخص سبع عشرة رسالة كتبها أنور الى الشاعرة فدوى طوقان ما بين ٢٦/١١/١٩٥١ و ١٣/٩/١٩٥٤. ويحلل المؤلف هذه الرسائل ، ويتحدث حديثاً مستفيضاً عما جاء فيها من أمور تتعلق بحياة المعداوى ، وأدبه ، ومقالاته وعلاقاته بالآخرين ، ووقائع عمله ، وظروفه الحياتية والمعاشية ، وصلاته العاطفية ، ومرضه ، وموته . وهذا كله – من الرسائل الى التحليلات – هو ما يعنيه المؤلف فى عنوان كتابه «صفحات مجهولة فى الأدب العربى المعاصر» .

الكثير من هذا يرويه مؤلف الكتاب رجاء النقاش فى كتابه هو فعلا من (الصفحات المجهولة) ، ولكن بعضه – مثل مقالات المعداوى وقصائد فدوى – ليس مجهولا لدى من يعرفون فدوى وأنور ، ومن كانوا على اطلاع على الحركة الأدبية فى أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات . والمجهول وحده منها هو مناسبات قصائد فدوى وموحياتها ، اذا صح ما يسوقه الأستاذ النقاش من تلك المناسبات وهذه الموحيات . ولكنه هو نفسه ليس واثقاً مما يستنتجه من مناسبات هذه القصائد . فهو ، مثلا ، حين يعلق على رسالة المعداوى السادسة ، ويذكر قصيدة فدوى التى عنوانها «فى سفح عيبال» ، – وهى من قصائد ديوانها الأول (وحدى مع الأيام) – يقول فى الصفحة (١٨٨) ما يلى :

«ترى هل يكون فى هذه القصيدة شىء من التلميح بميلاد عاطفة جديدة فى قلب فدوى نحو المعداوى ؟» ثم لا يلبث أن يتراجع عن استفهامه، فيقول بعد ذلك بقليل : «ولكننا لا نستطيع أن نقطع بأن هذه القصيدة كانت هى البداية من جانب فدوى ؛ والمعداوى نفسه لم يلتفت الى شىء من هذا المعنى فى القصيدة ...» ثم يعود فى الصفحة التالية (١٨٩) فيستنتج شيئاً آخر ، فيقول : «قد تكون هذه القصيدة من وحى الشاعر المصرى الذى اشترك فى حرب فلسطين – ويعنى به الشاعر كامل أمين – » ، ثم لا يلبث أن يرجع عن كل

● كل شعرها في ذلك الحين كان شعر العاطفة الذائبة ، وكان فيه تعبير صارخ عن الحرمان والكبت وحياة السجن الكبير التي تعيشها الفتاة العربية

● هي دائماً رقيقة ودود ، تعطي قلبها كله بملء البراءة والثقة لأصدقائها وتتوقع نفس البراءة والثقة منهم



فدوى طوقان



أنور المعداوى

استنتاجاته تلك ، ويقول بعد ذلك مباشرة : «وقد يكون هذا المقطع ـ ويقصد به قول الشاعرة :

وأرسل (الأوف) غناء حنون
يسيل من روحي وأوصالي
فتنتشي بالأوف حتى السفوح
لحن هوى مرتعش بالحنين
سمعته يوماً (بعيبال)
إذ أنت في السفح غريب الجروح

صادراً عن خيال الشاعرة ، ولا أساس له في الواقع» .

وهكذا يظل الأمر مجرد استنتاجات لا حقيقة مسلمة بها ، ولا يجوز أن نستسلم اليها باعتبارها حقائق أدبية ثابتة .

وقبل الرسائل وتحليلاتها ، يقدم المؤلف مقدمة طويلة ، يحكى فيها قصته مع هذه الرسائل ، وكيف حصل عليها من الشاعرة فدوى نفسها . ويروى قصة الصلة بين المعداوى وفدوى ؛ وهى قصة ظلت تدور فى رسائل يتناقلها البريد بينهما ، ولم تصل قط الى أن يلتقيا فى مكان . وكان من السهل جداً أن يلتقيا لو كان فى الأمر أكثر من صداقة بالمراسلة ، فقد زارت فدوى مصر أكثر من مرة .

لقد كان الأستاذ النقاش يريد أن يكتب كتاباً عن صديقه وأستاذه ـ كما يقول ـ أنور المعداوى وعن مأساته ، ومن أجل ذلك طلب الى فدوى أن تعطيه ما لديها من رسائل أنور ، لعلها تكشف له شيئاً يساعده فى هذه الدراسة . كذلك يقول فى مقدمة الكتاب ، مبرراً طلب الرسائل . وقدمتها اليه فدوى وما كانت تتصور أنها ستخلق له قصة حب طويلة عريضة ، تضاف الى حكايات قيس وليلى ، وروميو وجولييت ، ثم تتفرع وتتوزع على قصص أخرى من هذا النوع مع شعراء آخرين من مصر ، وفى الفترة عينها ... حتى قصائد فدوى ـ وكانت حتى سنة ١٩٦٧ ، وسقوط فلسطين كلها تحت قبضة الاحتلال الاسرائيلى ـ كلها من النوع العاطفى الرقيق الحنون ـ أصبحت لدى المؤلف أجزاء من أجوبة فدوى على رسائل المعداوى ، وفسرها تفسيرات تتلاءم مع سياق الرسائل .

ولعل الأخ الأستاذ رجاء النقاش لو اطلع على رسائل فدوى الى جميع أصدقائها ، فى أى بلد عربى ، لرآها تتشابه رقة وانسانية وعاطفة مودة أخوية ؛ ولو اطلع على جميع رسائل أصدقائها اليها لوجدها تشبه رسائل أنور اليها مودة واعزازاً وعاطفة أخوية . وليس فى ذلك شىء من الغرابة ، ففدوى شاعرة رقيقة ، عذبة العبارة ، لطيفة الحس ، تبادل الصداقة بصداقة مثلها ، والمودة بمودة من نوعها .

والأستاذ النقاش يقدم الدليل على ذلك من عنده : ففى الوقت نفسه الذى كانت تدور فيه المراسلات بين فدوى وأنور ، كانت المراسلات تدور كذلك بين فدوى والشاعر المصرى ابراهيم نجا ،وبينها وبين الشاعر المصرى الآخر كامل أمين ـ وكان كامل أمين رفيقاً لشقيقها الحاج رحمى طوقان فى الجهاد فى معركة الزراعة علم ١٩٤٧ ، وهناك جرح ، ونقله رحمى الى منزل أسرته فى نابلس ، وقامت فدوى وأمها وشقيقاتها على العناية به حتى شفى من جراحه ، وعاد الى مصر سليماً معافى . وكانت بينه وبين فدوى مراسلات ، وكانت بينهما قصائد ـ أما ابراهيم نجا فان فدوى لم تره يوماً ، ولم تر أنور المعداوى عن قرب .

الفرق بين علاقات فدوى مع أنور المعداوى وعلاقاتها مع زميليه المصريين الآخرين ، هو أن فدوى الشاعرة الرقيقة ، الطيبة القلب ، الودودة بطبيعتها ، قدرت لأنور فضله فى الاهتمام بطبع ديوانها الأول لدى دار النشر للجامعيين ، فى القاهرة ، واشرافه عليه ، والاعلان عنه ، واستكتاب الأدباء عنه ، فقابلته لذلك مودة بمودة ، وطيبة بطيبة . وهل من الممكن أن تقابله بغير ذلك ؟ وكل من يعرف فدوى يعرف فيها كل الرقة واللطف والدماثة .

لقد كان كل شعرها فى ذلك الحين شعر العاطفة الذائبة ، وكان فيه تعبير صارخ حار عن الحرمان والكبت ، وعن حياة السجن الكبير التى تعيشها الفتاة

فدوى طوقان

وحياتها العاطفية

مناقشة صريحة.. وحقائق غائبة



فدوى طوقان



أنور المعداوي

الشرقية . ولذلك كانت تفسر قصائدها تفسيرات شتى . وكانت تكثر فى قصائدها القديمة من النداء «يا شاعرى» ومن هنا تعددت تفسيرات شعرها ، وتعدد الشعراء الذين يدعون أنهم المعنيون بهذا النداء ، وبالخطابات اللهيفة المتناثرة فى قصائدها . أما الحقيقة فى كل ذلك فلا يعرفها غير الشاعرة وحدها . وإلا فليقل لي أخى الأستاذ النقاش كيف يمكن أن تراسل الشاعرة ثلاثة أدباء وشعراء فى مصر ، فى فترة واحدة ، رسائل متشابهة العبارة ويراسلونها هم أيضاً رسائل متشابهة العبارة والعاطفة ، ويدعى كل منهم أنه يحبها وأنها تحبه ؟ ومن يدرى كم من الأدباء الآخرين كانوا يراسلون فدوى وتراسلهم فى الفترة عينها ، وكانوا يدعون أنهم معها وأنها معهم على صلات عاطفية حميمة ؟

للقضية وجه آخر

القضية لها وجه آخر دون ريب . ونحن لم نلمس حتى نهاية الرسالة الخامسة عشرة من رسائل أنور المعداوى اليها ، أية عاطفة خاصة ، غير ما يذكره هو ، ويؤكده مراراً ، من أنه يحبها حب الأخ لأخته . وأما الرسالتان الأخيرتان ففيهما شىء من الحرارة أكثر مما فى الرسائل الخمس عشرة السابقة ؛ ولكن الغريب أنهما متباعدتان : فالأولى تاريخها ١٩٥٤/٥/١٢ ، والثانية ١٩٥٤/٩/١٣ ؛ أى أن بينهما أربعة أشهر . وكان بين الرسالة السادسة عشرة والرسالة التى قبلها أربعة أشهر أخرى . وقبل ذلك انقطعت رسائل أنور اليها سنة كاملة ، ولم تحاول هى من جانبها أن تكتب اليه خلال تلك السنة كلها . وأغرب من ذلك كله أن فدوى لم تهتم بأن ترد على رسالتى أنور الأخيرتين بأية كلمة ...

فى يقينى أن السبب الذى ذكرته فدوى فى رسالتها الى الأستاذ النقاش المرافقة لرسائل أنور ، لم يكن هو السبب الحقيقى . لا أظن أن من الممكن أن يكون هو السبب الحقيقى ، لأن الذى يحب حقاً لا يفتعل مثل هذا السبب .

وماذا كان السبب الذى افتعلته فدوى ؟

تقول الرسالة ، كما هى واردة فى الكتاب : «فى العامين الأخيرين من مراسلاتنا كنت قد ضقت ذرعاً بالتوتر الذى يسببه لي فتور بانقطاعه المفاجىء عنى ، ثم عودته من جديد معتذراً بالمرض وحين تكرر ذلك توهمت أنه كان يحب اللعب بعاطفتى تجاهه . وتسلطت علي تبعاً لذلك الوهم كبرياء غبية حمقاء ، خلقت عندى احساساً خاطئاً بأن قصة مرضه كانت غير حقيقية مئة بالمئة . لذلك لم أرد على رسالتين بعث بهما الي ، وصممت على رفع جدار بينى وبينه . وكانت النهاية عند هذا الجـــدار المصمت» ...

هل من الممكن أن يقوم هذا سبباً حقيقياً لو كان هنالك حب حقيقى ؟

الأمر يحتاج الى علامة استفهام كبيرة جداً . والذى أتصوره أن فدوى كانت تعوض عن شعورها بالسجن الكبير الذى تفرضه البيئة المتحجرة على الفتاة بالرسائل الرقيقة تتبادلها مع الأدباء هنا وهناك ، بكثير من البراءة وسلامة النية . وهذا ما تؤكدة رسائلها المتشابهة الى الكثيرين الذين كانت تتبادل معهم الرسائل .

ولأن فدوى كانت تتصور ـ بشعور باطنى غريب ـ أن هذه الرسائل يمكن أن تكون يوماً مصدر اساءة اليها ، كانت ـ كما أعرف أنا شخصياً ، وكما يؤكد الأستاذ النقاش فى كتابه ـ تطلب ، وتلح فى الطلب ، أن تعاد اليها رسائلها .

يقول الأستاذ النقاش فى الصفحة (٢٠) : «ان فدوى تحرص دائماً على التخلص من رسائلها العاطفية ، باستردادها من أصحابها ، أو بأن تطلب اليهم تمزيقها ، أو بأى وسيلة أخرى» ؛ وأقول ، ورسائل الصداقة العادية ، وكذلك الرسائل الأدبية .

ويذكر الأستاذ النقاش أنها فعلت ذلك مع الشاعر المصرى ابراهيم نجا ، وأن أنور المعداوى اهتم كثيراً بأن يعيد اليها رسائلها من ابراهيم ؛ وقد ورد فى ذلك أكثر من رسالة من رسائله اليها . وأنا أعرف أن فدوى قد فعلت مثل ذلك مع غير ابراهيم نجا كذلك . وأنا نفسى واحد منهم ، وكانت بينها وبينى مراسلات صداقة فى الفترة عينها التى كانت تراسل فيها أنور المعداوى ، وابراهيم نجا ، وكامل أمين ؛ وكنت كثيراً ما أزورها فى منزل أسرتها فى نابلس ، وأسهر معهم وأتناول الطعام مع الأسرة كلها . ولقد أعدت الى فدوى ، بطلب منها ـ بتاريخ ١٩٥٤/١٠/٦ و ١٩٥٤/١٠/٢٣ ـ كل ما كان لدي من رسائلها والنسخ الثانية من رسائلى ، وكانت فى مجموعها أكثر من خمسين رسالة . وفدوى ماتزال صديقة عزيزة لي ولأسرتى ؛ فما تجيء مرة الى عمان حتى تتصل بى هاتفياً ، وتزورنى فى أسرتى ، وأسرتى تحبها كواحدة منها ، وهى تحب أسرتى كذلك ، وتشعر بيننا كأنما هى فى أسرتها . وهى دائماً رقيقة ، ودودة ؛ تعطى قلبها كله بملء البراءة والثقة لأصدقائها ، وتتوقع أن تلقى منهم مثل هذه البراءة والثقة الودودة .

والغريب جداً أن آخر مراسلات فدوى لي كانت فى الشهر التاسع من عام ١٩٥٤ أى فى الشهر عينه الذى انتهت فيه المراسلات بين أنور المعداوى وبينها !!! وآخر رسالة وصلت الي منها ، تسلمتها يوم ١٩٥٤/٩/٢٦ ، ولم تكن تحمل تاريخاً ؛ وهى الرسالة التى طلبت الي فيها اعادة رسائلها اليها .

ويذكر الأستاذ النقاش أن المعداوى نفسه فكر كثيراً فى أن يرد الى فدوى رسائلها أو يحرقها ، لئلا تقع فى غير يده . وليس من شك فى أنه فعل شيئاً من هذا ، لأن النقاش لم يستطع الوصول الى شيء من رسائل فدوى الى أنور ، ولا يعرف عنها شيئاً . وهو يقول فى ذلك فى الصفحة (٢٠) والصفحة (٢١) : «وقد حاولت أن أعرف مصير رسائلها الى المعداوى ، وكان قد وضع كل الرسائل التى كانت تصل اليه فى صندوق كبير . ومات المعداوى فجأة ، فبقى هذا الصندوق على ما هو عليه : حتى قام أحد أصدقائه ، وهو الأديب الأستاذ علي شلش ، بالبحث فى هذه الرسائل تمهيداً لنشر ما يستحق النشر منها ، ولم يجد فى هذا الصندوق أى شيء من رسائل فدوى طوقان . وقد سألت الفنان الشاب الأستاذ شاكر المعداوى ، ابن شقيق أنور المعداوى ، وهو الذى يحتفظ بأوراق عمه ، عن رسائل فدوى ، فقال لي انه لم يعثر على أية رسالة لفدوى طوقان بين أوراق المعداوى ... وفى اعتقادى أن فدوى قد استردت رسائلها فى حياة المعداوى ، أو طلبت تمزيقها ، وقام المعداوى بتمزيقها بناء على طلبها : أو أن المعداوى نفسه كان يحس بدنو أجله فقام وحده وبدافع ذاتى بتمزيق هذه الرسائل .. المهم أن هذه الرسائل غير موجودة عند المعداوى ، ولا يعرف سرها ومصيرها الآن سوى فدوى نفسها» .

وفى اعتقادى ، مما أعرفه ، أن فدوى نفسها قد تكون طلبت الى المعداوى أن يرد اليها رسائلها ، فلم يستطع أن يرفض طلبها .

ترى ، أكان من الممكن أن تجرى الأمور على هذا الشكل لو كان فى الأمر قصة حب حقيقى متبادل ؟

فدوى عاتبة جداً

هنا أيضاً أرانى أضع علامة استفهام أخرى كبيرة جداً .

لقد كنت أود لو لم يصل الأمر بالأخ الأستاذ النقاش الى الحد الذى وصل اليه من التأكيد الجازم ، والالحاح فى التأكيد الجازم على ما ارتاه من أمر المعداوى والشاعرة فدوى طوقان ، ولم يؤلف كتاباً ضخماً فى هذه الحكاية التى ليس من دليل لكيد على صحتها .

والذى نعرفه حتى الآن أن المرأة مظلومة دائماً فى الشرق العربى : كل كلمة منها ، وكل همسة ، وكل نظرة ، وكل ابتسامة ، تفسرها البيئة الظالمة ـ حتى الأدباء والنقاد منها ـ تفسيراً ظالماً قاسياً . وما كان فى الحب ما يعيب ، لو كان فى الأمر حب حقيقى ، أما نشر حكايات الحب غير الأكيدة فهى التى تسيء . والبيئة لا ترحم ، والفتاة هى الضحية دائماً ، ولا يحس الرجل بشيء من ظلمها ومن احتمالها للتضحية .

ولقد دار بينى وبين فدوى ، فى احدى زياراتها لي فى أسرتى ، حديث عن كتاب الأخ الأستاذ النقاش ، وكانت فدوى عاتبة جداً ، لأن الأستاذ النقاش حول كتابه الى هذا الاتجاه ، وما كانت تعرف إلا انه كان يريد أن يكتب كتاباً عن صديقه وصديقها الراحل أنور المعداوى ، ولم يقل لها انه سيجعل من رسائل المعداوى اليها قصة حب كبير متبادل بهذا الشكل . وأكدت لي فدوى فى حديثها أن الأمر لم يتطور بينها وبين المعداوى الى الحد الذى يلح الأستاذ النقاش على تأكيده ، وكل ما فى الأمر أن المعداوى كان صديقاً لها مثل أصدقاء آخرين كانت تكاتبهم ، ولكن له فضلا فى أنه اهتم اهتماماً خاصاً باصدار أول ديوان لها (وحدى مع الأيام) ، فكان لابد لها من تقدير تلك البادرة الكريمة بالمودة التى تستحقها .

أذكر أننى حين اعتزمت اصدار مجلتى الأدبية (القلم الجديد) فى شهر أيلول ١٩٥٢ ، أشارت علي فدوى بأن أكتب الى أنور المعداوى ـ مثلما كتبت الى كثيرين غيره فى جميع أنحاء الوطن العربى وفى المهاجر الأميركية ـ وأطلب منه أن يكتب للمجلة . وفعلا نزلت على رغبة فدوى ؛ وكان يهمنى أن يكتب أنور فى مجلتى ، فأنا أعرفه بين أكبر كتاب مجلة الرسالة فى أواخر عهدها . ولقد أشار المعداوى الى ذلك فى رسائله الى فدوى ، كما ورد ذكرى وذكر (القلم الجديد) مراراً فى رسائله . وقد أكد المعداوى أنه لم يتسلم رسالتى اليه ، وذلك فى الرسالة التاسعة ، التى يقول فيها : «بقى ان أقول لك اننى لم أتلق كتابَيْ الأستاذ الناعورى ولا رسالته . وأرجو أن تنقلى اليه هذه الحقيقة المؤسفة .. فكيف يظن الأستاذ الناعورى أننى أهملت الرد عليه ؟» (ص ٢٣١) ثم يقول فيها كذلك : «أكون شاكراً لو بعثت

● كيف يمكن أن تراسل الشاعرة ثلاثة أدباء وشعراء في مصر في فترة واحدة رسائل متشابهة؟

● لماذا تعددت تفسيرات شعرها؟ ولماذا تعدد الشعراء الذين يدّعون أنهم المعنيّون بقصائدها؟

● فى الشرق العربي.. المرأة مظلومة دائما: كل كلمة منها وكل همسة، وكل نظرة، وكل ابتسامة.. تفسرها البيئة الظالمة تفسيرًا ظالما قاسيًا. وما كان في الحب ما يعيب لو كان في الأمر حُبٌّ حقيقى

فدوى طوقان

وحياتها العاطفية

مناقشة صريحة.. وحقائق غائبة



فدوى طوقان



أنور المعداوى

الي بعدد من المجلة التى يصدرها الأستاذ الناعورى وهو العدد الذى ظهر فيه مقاله عن ديوانك» (٢٣٢) .

●●●

صور حية

أترك هذا الآن لأقول ان الأستاذ النقاش قد قدم صديقه المعداوى فى كتابه من كل جوانب حياته وأدبه . وقد أحسن كثيراً إذ علق على جميع رسائله بشروح وافية لما ورد فيها من أحداث واشارات ، موضحاً ذلك بالاستشهاد بعدد من مقالات المعداوى ومناسباتها ، ومن مقالات الآخرين وقصائدهم وحكاياتهم التى ورد ذكرها فى رسائل المعداوى . وبهذا استطاع الأستاذ النقاش أن يقدم فعلا (صفحات مجهولة) فى الأدب العربى المعاصر ، وأن يجعل من هذه الصفحات المجهولة صوراً حية تخدم الأدب العربى المعاصر ، وتعطى صورة أصيلة واضحة عن حياة أنور المعداوى وأدبه ، وعن كفاحه الأدبى والشخصى فى الحياة .

وجميل جداً من الأستاذ النقاش أنه ـ وهو الأديب الناقد ـ لم يجعل من المعداوى تمثالا معبوداً ، ، ولم يقدمه على أنه انسان كامل ، لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من أمامه . لقد قدمه انساناً ككل الناس : فيه عيوب كثيرة الى جانب الفضائل الكثيرة . فمثلا بين كيف أنه كان يجب أن يبين نفسه فى رسائله انساناً أمرأ مسموع الكلمة ، فى حين أن هذا كان «كله من أوهام الغرور الأبيض الذى كان فى شخصية المعداوى علامة واضحة ، وهو نوع من الغرور كان يزداد وضوحاً فى شخصيته عندما كان يتحدث الى أحد محبيه ...» (ص ١٩١) .

ولقد كان يخالفه ، فى تعليقه على رسائله ، فى أمور كثيرة ، منها رأيه فى الشعر العربى القديم . حتى فى بيت المتنبى :

أتراهـــا من كثـــرة العشـــاق
تحســـب الدمـع خلقة فى المآقـى

الذى يرى المعداوى أنه نموذج من شعر «الأداء النفسى» ... ولكن الأستاذ النقاش يراه من «شعر المهارة والصنعة والصور الذكية البعيدة كل البعد عن القلب والاحساس» (ص ١٨٣) .

وكذلك يخالفه فى أمور كثيرة أخرى يجدها القارىء فى فصول كتابه . وهذا دليل على أن الأديب الناقد فى رجاء النقاش لم ير أن انصاف المعداوى انما يتم بتغطية عيوبه وبتأييد آرائه ، بل دفعه الى أن يقدم صديقه وأستاذه الغالى الى القراء انساناً يخطىء ويصيب مثل كل انسان آخر . وهذه فضيلة كبيرة تسجل للنقاش الناقد .

وقد أحسن الأستاذ النقاش بتأكيده أن المعداوى كان يهمه كثيراً أن يكون كاتباً عربياً ، لا كاتباً مصرياً فقط . فهو يقول فى الصفحة (٢٠٦) والصفحة (٢٠٧) ما يلى : «من الواضح أن المعداوى كان شديد الحساسية لكل ما يقال عنه ، وخاصة فى الوطن العربى وهذه ميزة هامة فى أنور المعداوى ، فقد كان يعتبر نفسه كاتباً عربياً ، لا مصرياً ... والحق اننى لم أعرف أديباً مصرياً فى جيل المعداوى كان حريصاً على الاتصال بالأدباء العرب خارج مصر ، مثلما كان المعداوى حريصاً على صلته بهؤلاء الأدباء .. كان المعداوى عربى النزعة والميول والثقافة ، وكان من أكثر الكتاب احساساً بعروبة مصر ، وبأن مصر لها مكان الأم فى الوطن العربى كله» .

واذا كنت أعتبر هذا اعترافاً جريئاً من الأستاذ النقاش ، فأنا اذن أعتبره ينطبق على النقاش نفسه ـ مادام متحمساً له الى هذا الحد ـ مثلما ينطبق على المعداوى .

وفى كتاب الأستاذ النقاش آراء وتصريحات أخرى جريئة ، وجديرة بأن نقف عندها فى تأمل وتمعن . من ذلك ما أورده فى الصفحة (٣٢٦) ، وهو : «علينا أن نتذكر أن معظم كتاب الجيل الأول ، مثل طه حسين ، والعقاد ، وأحمد أمين ، والمازنى ، وهيكل ، لم يستطيعوا أبداً أن يحتلوا مكانهم فى مجتمعنا عن طريق الأدب ، بل عن طريق أعمال أخرى يعترف بها المجتمع ويحترمها : فبعضهم عمل فى السياسة ، وساعدته السياسة على أن يحتل مكانته الأدبية ، ومعظمهم عملوا فى الصحافة ، وبعضهم عمل فى الجامعة . وهم جميعاً اهتموا بأن يكتبوا فى قضايا الدين حتى يستطيعوا أن يصلوا الى القارىء العربى العادى . ولو اكتفى هؤلاء بكتاباتهم الأدبية لما استطاعوا أن يحققوا ما حققوه من مكانة ونفوذ معنوى فى المجتمع العربى ... الأدب فى مجتمع مثل مجتمعنا لا يكفى لفتح الطريق أمام صاحبه» .

وهو يعود الى تأكيد ذلك فى الصفحة (٣٢٨) إذ يقول : «ان الثقافة مازالت عنصراً غريباً على مجتمعنا العربى ، ولم تدخل فى البناء الأصلى لهذا المجتمع» .

إلا أننى آخذ على الأخ الأستاذ النقاش كثرة تكراره للرأى الواحد ، وللحادثة الواحدة فى أماكن متعددة من فصول كتابه . لقد أكثر من تكرار الحديث عما دعاه (الغرور الأبيض) لدى المعداوى ، وأكثر من تكرار الحديث عما يراه من أن المعداوى كان مصاباً بالعجز الجنسى ، وأن هذا العجز الجنسى هو الذى كان يفشل كل علاقات الحب لديه ، فلم يكن يستطيع أن يبلغ حد التفكير بالزواج . وكذلك فعل ببعض آرائه الأخرى ، وبتكرار بعض الحوادث والوقائع . وكان حسبه أن يورد الرأى مرة واحدة ، أو مرتين بالأكثر ، دون أن

● موقفان نادران في حياتنا أعتبرهما من المواقف الإنسانية التي يسجلها التاريخ الأدبي العربي

يظل يعاود الرأى نفسه فى فصول متعددة .

موقفان نادران

على أن فى الكتاب فصلين عن المعداوى وحياته ومأساته يستحقان من القارىء أشد الاهتمام : فقد استطاع الأستاذ النقاش أن يدرس كل ذلك فيهما دراسة وافية شاملة ودقيقة ، يعيش معها القارىء فى جو المعداوى ، ويرافقه فى لحظات مجده الأدبى القصير الخاطف ، وكفاحه لأجل العيش ، وعمله فى الوظيفة ، ومأساة مرضه ، وفى علاقات حبه وفشله .

وهنالك موقفان قدمهما الأستاذ النقاش ، يضربان أروع الأمثلة فى النبل النفسى والمشاعر الانسانية . الموقف الأول هو موقف طه حسين من محاولة سيد قطب الاستقالة من وزارة المعارف ، وقد كان على خلاف مع طه حسين : يقول الأستاذ النقاش فى الصفحة (٢٧) من الكتاب : «روى لي أنور المعداوى أن طه حسين استدعى سيد قطب ، الذى كان قد قدم استقالته الى طه حسين ، وقال طه حسين لسيد : اننى أعرف ظروفك الاقتصادية السيئة ، فلماذا تستقيل ؟ اننى لن أقبل هذه الاستقالة بحال من الأحوال . وأنت وأمثالك من المفكرين والأدباء أمانة فى عنقى ما دمت وزيراً للمعارف . أما ما قد يتبادر الى ذهنك من أننا على خلاف أدبى ، فأرجو أن تمحوه من رأسك ، فنحن عائلة واحدة ، هى عائلة الفكر والأدب ، وأنا أبوكم جميعاً ، ولن أسمح لأحد منكم أن يتالم أو يسيء الى نفسه ... ومزق استقالة سيد قطب» .

والموقف الثانى شبيه بهذا ، وقد وقع لأنور المعداوى من صديق أديب موظف فى وزارة الثقافة، اسمه محمد شعبان . يقول الأستاذ النقاش فى الصفحة (٥١) ما يلى :

«ولقد جاء الى علمى أن أحد الأدباء ميسور الحال من المشتغلين بشئون الثقافة ، كان يرسل له ـ للمعداوى ـ كل شهر من ماله الخاص مرتبه الذى كان يتقاضاه من وزارة الثقافة ، بعد أن قطعت وزارة الثقافة هذا المرتب بسبب انقطاع المعداوى عن العمل .. ليجعله يحس أنه لايزال موظفاً فى الدولة ، وأن الأسباب لم تنقطع بينه وبين الحياة ، وأن مكانه فى المجتمع لايزال محفوظاً له ... وكأنه الآن فى اجازة ، لا أكثر ولا أقل» .

هذان الموقفان نادران جداً فى حياتنا ، ولذلك أعتبرهما من المواقف الانسانية التى تستحق التسجيل ، لتكون منارة وقدوة ، ومثلا يسجله التاريخ الأدبى العربى .

● ● ●

وبعد ،

فان اهتمامى بكتاب الأخ الأستاذ النقاش هو الذى دفعنى الى هذا الحديث الطويل الضافى . ولم أقرأ هذا الكتاب من قبل ، ولكننى علمت بالضجة التى أثارها ظهوره ، حتى تفضل الصديق العراقى الأستاذ صبيح الغافقى فأهداه الي أخيراً ، وله الفضل والشكر .

لقد جاء الأستاذ النقاش فى كتابه باجتهادات كثيرة وجريئة ، وهو جدير بأن يناقش باجتهادات مثل اجتهاداته ، وبجراة مثل جراته ، لعلنا نصل من ذلك الى تثبيت الحقيقة ، التى هى رائد الأستاذ النقاش ورائدى .

د. عيسى الناعورى
(عمان ـ الأردن)

إذا ذهبت فلاتجعل رجوعك من هنا

نزل رجل بصومعة راهب ، فقدم اليه الراهب أربعة أرغفة وذهب ليحضر اليه العدس ، فلما جاء به وجده قد أكل الخبز ، فذهب وأتى بخبز جديد وعاد فوجده قد شرب العدس ، ففعل معه ذلك عشر مرات ، فلما يئس الراهب سأل ضيفه : أين مقصدك ؟ : الأردن ، فساله الراهب : وماذا تريد منها ؟ فقال الرجل : بلغنى أن بها طبيباً حاذقاً فقلت أقصده لأساله عما يصلح معدتى ، فانى قليل الشهوة للطعام .. فقال له الراهب : إن لى عندك رجاء ، قال وما هو ؟ ، قال : إذا ذهبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك من هنا !!

طـــــرائف

جر اللحم !!

كان آل « مرو » مشهورين بالبخل ، فكان القوم منهم إذا ترافقوا فى سفر ، يشترى كل واحد منهم قطعة لحم ويشبكها فى خيط ويجمعون اللحم كله فى قدر . ويمسك كل واحد منهم بطرف خيطه ، ويظل ممسكاً به حتى ينضج اللحم ، فيجذب كل منهم طرف الخيط فيجر به قطعة اللحم وقد أمن الا تختلط مع القطع الأخرى ، أما المرق فقد كانوا يختلفون حوله ولا يهدأ لهم بال حتى يتم توزيعه بالقسطاس !!

أحمد شفيق أبوعوف



محمد عثمان .. صوت متميز فى النغم العربى

محمد عثمان
عبقري النغم العربي

جلس الفتى اليافع الى جوار أمه المربية الكبيرة يستمع فى خشوع واضح الى فرقة الموسيقى العربية فى احدى عروضها بقاعة سيد درويش الأنيقة بأكاديمية الفنون بمنطقة الهرم . وأسرته الألحان الحالمة التى كانت تؤديها هذه الفرقة الجديدة باتقان شديد لم يألفه الفتى من قبل . وأثناء الاستماع كان يسترق النظر الى وجه أمه الذى ارتسمت عليه سحابة من التأثر الشديد وكأنها تتأهب لبكاء حار نتيجة الانفعالات التى كانت تحس بها أثناء الاستماع . فلما انتهى أداء الفرقة دوت القاعة بتصفيق طويل صادق فيه تحية حب مخلصة وليست مجاملة حضارية زائفة .. وتحمس الفتى وهو يشارك الجميع فى التصفيق .. وسأل أمه بغتة ....

ـ ما هذا الغناء يا أمى ؟ إننى لم استمع لمثله من قبل ـ وقد شعرت الآن فقط بذاتى وكأنها تبعث من جديد ـ شعرت بأيامى الأولى تعود عندما كنت طفلا صغيراً أنهل من عطفك ومن عطف أبى ، وارتع فى الساحة المباركة بطيبة قلبيكما وحنانكما المفرط .. أشعر وكأننا نجلس كما كان عهدنا الأول حول «الطبلية» لنأكل أشهى الأطعمة البسيطة ، ثم نحمد الله كثيراً ، ويقوم والدى ليتوضأ ، ويؤدى صلاة الظهر ...

أشعر بشارعنا وحارتنا وجلساتنا وضحكاتنا وبكائنا وكل ما كان يجرى حولنا فى الماضى البعيد و ....

وهنا توقف الفتى عن الحديث بايماءة من أمه بعد أن بدأت الفرقة فى تقديم عمل غنائى جديد .

كنت جالساً خلف الفتى وأمه بقاعة سيد درويش أرقب الأداء وأرقب المستمعين وأستمع الى حديثهم الخافت عن أداء الفرقة التى بذلت فى انشائها عناء اسطورياً وابرزتها الى حيز الوجود رغم المعارضة المفرطة والمناوأة الشديدة من كبار المسئولين عن مسار الحركة الثقافية فى مصر فى ذلك الوقت .

بدأت الاستراحة بعد انتهاء الفاصل الأول ، قدمت نفسى للفتى وأمه كمدير لهذه الفرقة ودعوتهما لتناول المرطبات فى فترة الاستراحة .

سألت الفتى بعد أن جلسنا فى ركن قصي من القاعة :ـ

ـ هل معك برنامج الحفل ؟ ... وأجاب الفتى بالنفى لأن جميع البرامج نفدت ، ولاحظ أن الجميع يحرص على قراءتها خلال الاستراحة ..

قلت للفتى ....

ـ الموسيقى لغة كالشعر تماماً لا يمكن أن تتذوقه دون أن تفهمه ، فاحرص دائماً

على اقتناء البرنامج فى حفلات الموسيقى العربية التقليدية .

واستطردت قائلا للفتى وقد بدا عليه الاهتمام ...

ـ إنك استمعت فى الفاصل الأول الى موشح «ملا الكاسات وسقانى» من مقام الراست . ثم الى دور «كادنى الهوى» مقام نهاوند . وكلا العملين الغنائيين من تلحين الموسيقار الخالد محمد عثمان .. قاطعنى الفتى ..

ـ ومن هو محمد عثمان هذا ؟ ..

ضقت بينى وبين نفسى لهذا الفتى الجامعى ـ شأنه فى ذلك شأن جميع أقرانه دون استثناء ـ الذين يجهلون محمد عثمان ، بينما يلقنون فى الجامعة أشعار بايرون وشيللـــى وكيتس وورد ثوورت . واذا عشقوا الموسيقى فانهم يرددون اسماء موزارت وبيتهوفن وفاجنر وتشايكوفسكى ثم يجهلون كل شىء بعد ذلك .

وتذكرت فى الحال ما قاله آرثر ميللر عندما زار القاهرة مؤخراً قال «إن أعمالكم الابداعية والفكرية العظيمة تنقصها الدعاية» .

لاحظت أن الفتى قد استبطأ الرد على سؤاله فقلت له ...

ـ محمد عثمان عبقرى مصرى ولد فى القاهرة فى منتصف القرن التاسع عشر (١) ، وعاش فى بيئة أسرية متواضعة . إلا أنه لقى رعاية مفرطة من والده الشيخ عثمان حسن الذى كان يؤمن أن بدء تعليم الطفل يكون بحفظ القرآن الكريم . استمر الطفل ثم الصبى محمد عثمان يصحب والده الى جامع السلطان «أبو العلا» حيث كان يدرس بينما يحفظ الصبى آيات الذكر الحكيم . أنس محمد عثمان الى قراءة القرآن وكان يجد متعة طاغية عندما كان يخلو الى نفسه ويقلد تلاوة كبار المقرئين فى ذلك الوقت ، ثم ينتقل لغناء الانشاد الدينى فى مدح الرسول عليه السلام الى أن استطاع فى خلوته خارج المسجد أن يغنى أدوار الشيخ عبد الرحيم المسلوب وفى احدى هذه الخلوات استمع الوالد الى آراء الفتى الصغير فطاب نفساً بما سمعه فأخذه على الفور الى عازف مجيد على آلة العود فى ذلك الوقت هو المرحوم عبد الله منسى (٢) الذى بدأ يعلم الفتى الصغير بحماس بالغ . لم تكن هناك مدرسة واحدة للموسيقى فى ذلك الوقت ـ لا فى مصر ولا فى أى بلد عربى ـ فما ان قنع محمد عثمان بقدر من التعليم على آلة العود ـ حتى بدأ فى صياغة ألحان لنفسه أهلته بعد ذلك للالتحاق بتخت محمد الرشيدى الكبير المكون من أربعة عازفين على العود والقانون والناى والرق . علاوة على اثنين أو ثلاثة من المذهبجية (الكورس) . بدأ محمد عثمان يصعد بتؤدة ورسوخ سلم الشهرة ولحن من الأدوار والموشحات ما أثرى الذخيرة الابداعية التى توارثتها الأجيال التى جاءت بعده ، وها نحن نستمع الى عملين غنائيين مر على تاليفهما أكثر من مائة عام وسوف تعيش هذه الألحان مئات الأعوام لأنها تجمع بين الأصالة والصدق وسلامة البناء وعمق التعبير .

كان الفتى يستمع الي بشغف شديد ، وكانت أمه ترقبه فى سعادة غامرة واستطردت قائلا ...

ـ لم يكن محمد عثمان صاحب صوت ممتاز مثل معاصريه عبده الحامولى ، وسلامة حجازى رائد المسرح الغنائى العربى . كان يلهث وراء الجدة فى الشكل والمضمون ، وهذه بضاعة كل عبقرى ، البحث عن جديد ودائم .. وفى احدى الحفلات أصابه برد شديد ألزمه الفراش فترة طويلة فلما شفى من مرضه عاد الى الغناء ، إلا أنه لاحظ أن صوته قد أصابه ضعف ووهن ، فاستلهم عبقريته وابتكر الترديد الملقب فنياً (بالهتك) حيث جعل المذهبجية (الكورس) يرددون بعض مقاطع الغناء للدور أو الموشح حتى يستريح صوته بعض الشىء من عناء الغناء المتواصل . وأحدث هذا الابتكار دوياً هائلا حتى أصبح تقليداً رسخ حتى الآن فى الغناء لكل الأشكال والقوالب والصيغ الغنائية فى أى بلد عربى .

سألنى الفتى ....

ـ وهل أداء الفرقة الجماعى الآن يشبه غناء محمد عثمان كما كان يؤديه منذ ١٠٠ عام ؟

ابتسمت وقلت له ...

ـ إنه سؤال ذكى ووجيه .. والرد عليه هو الايجاب .. فان أدوار محمد عثمان وموشحاته شان باقى أعمال أعلام الموسيقى العربية فى الماضى القريب والبعيد تجمع أولا من الحفظة ثم يحقق تحقيقاً علمياً دقيقاً للتأكد من عدم الخروج قيد شعرة عن النص الأصلى ، ثم يدون ، ثم يحفظ حفظاً دقيقاً قبل أن تستمع اليه .. لذا فان عمليات احياء التراث الموسيقى والغنائى شأن عمليات احياء التراث الشعبى كله تحتاج الى دقة شديدة وعمل مجهد متواصل ، وعناء ومثابرة وتصميم للوصول الى الأصالة والصدق لأن التراث الشعبى والتقليدى هو أصدق مرآة تعكس حضارة وثقافة أية جماعة بشرية فى أى عصر من العصور . وكل ما تفعله الآن هو تعميق أدوات التعبير للأصل القديم بزيادة الآلات الحديثة المتطورة واستخدام الأصوات الغنائية المدربة لاحداث التاثير العميق الذى شعرت به أثناء استماعك للفرقة .

تلفت حولى لأجد أننا الوحيدون بقاعة الاستراحة ، فهرولنا جميعاً الى مقاعدنا نستمع الى الفصل الثانى من الحفل .

أحمد شفيق أبو عوف

صورة نادرة للموسيقار محمد عثمان



(١) اختلف المؤرخون فى تحديد سنة ميلاده : قال بعضهم انه ولد عام ١٨٤٥ م ، وقال البعض الآخر انه ولد عام ١٨٥٥ م .

(٢) عميد عائلة منسي الموسيقية التى منها عازف القانون عبد الفتاح منسي ، وعازفا الكمان جميل منسي ، والمبدع المرحوم انور منسي .

هل كان شارلي شابلن صهيونيا ؟



سمير فريد

كان هدف الحركة الصهيونية قبل انشاء اسرائيل اثبات أن لليهود حقاً تاريخياً فى فلسطين ، ودعوة يهود العالم للهجرة اليها حتى يستقروا فيها ، ويتم انقاذهم من الشتات . وقد استمر هذا الهدف بعد انشاء اسرائيل ، ولكن التعبير عنه اختلف باختلاف الظروف . فاسرائيل أصبحت موجودة بالفعل ، وعلى اليهودى الحق – أى الصهيونى من وجهة نظر اسرائيل – أن يؤكد وجودها .

وقد يكون لبعض اليهود الحق فى العيش فى فلسطين ، ولكن ليس للصهيونية الحق فى اعتبار فلسطين وطن كل اليهود فى العالم ، وليس لها الحق فى أن تضطهد الشعب العربى الفلسطينى الذى عاش على أرض فلسطين طوال تاريخه ، وقبل أن يتوجه اليها بعض اليهود عبر نهر الأردن : ليس من حق الصهيونية انشاء اسرائيل بدلا من فلسطين .

وتنقسم السينما الصهيونية قبل انشاء اسرائيل الى قسمين الأول الأفلام التى تم انتاجها على أرض فلسطين ، والثانى الأفلام التى تم انتاجها فى الولايات المتحدة وأوربا .

– ١ –

يذكر جورج سادول فى «تاريخ السينما فى العالم» أن أول فيلم روائى طويل صور على أرض فلسطين هو فيلم «حياة اليهود فى أرض الميعاد» اخراج جاكوب بن دوف عام ١٩١٢ – وهو روسى هاجر من روسيا بعد ثورة ١٩٠٥ ، وتذكره المراجع الصهيونية باعتباره «أب السينما الصهيونية» .

وقد أخرج جاكوب بن دوف بعد ذلك فيلماً آخر بعنوان «الفيلق اليهودى» عام ١٩٢٣ . (١) و «الفيلق اليهودى» عبارة تطلق على التشكيلات المكونة من المتطوعين اليهود والذين حاربوا فى صفوف الجيش البريطانى فى الحرب العالمية الأولى مثل فرقة البغالة الصهيونية والكتائب حملة البنادق الملكية، وقد بدأت فكرة الفيلق اليهودى كاقتراح تقدم به بن جوريون وبن تسفى للقائد التركى فى القدس ليلحق بعض المتطوعين اليهود بالجيش التركى ، ولكن جمال باشا قائد عام الجيش التركى سحب الموافقة ، ورفض تجنيد اليهود ، فتقدم جابوتنسكى بفكرة بديلة هى فكرة فرقة البغالة الصهيونية الملحقة بالجيش الانجليزى . وتأرجح الصهاينة بين قوة امبريالية وأخرى هو قانون أساسى يحكم الحركة الاستيطانية الصهيونية الباحثة عن سيد يحميها على أن تصبح له عميلا أو قاعدة . ولكن هذا لم يكن هدف الفيلم بالطبع .

لقد كان هدف جابوتنسكى أن يحمل اليهودى السلاح ، وكان هدف الفيلم التأكيد على القوة العسكرية اليهودية فى فلسطين .

وفى الثلاثينات أخرج ناثان اكسلرود «اودد» عام ١٩٣٢ الذى تدور أحداثه فى المزارع الجماعية لليهود ، واخراج باروخ اجداتى فيلم «هذه هى أرضك» عام ١٩٣٢ أيضاً ، وكان أول فيلم ينطق بالعبرية . (٣) كما أخرج المخرج البولندى الكسندر فورد «صابره» عام ١٩٣٣ عن هجرة يهود أوربا الى فلسطين وحقهم فى «العودة الى أرض الميعاد» . وقد هاجر فورد الى اسرائيل بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، وأخرج ثلاثة أفلام اسرائيلية . (٤) وفى عام ١٩٤٧ تم تصوير ثلاثة أفلام صهيونية على أرض فلسطين هى «الأرض» اخراج هملر اداماه عن شاب يهودى أنقذ من معسكرات الاعتقال النازية ، ولا يتمكن من استعادة توازنه إلا فى أرض فلسطين . و «بيت أبى» اخراج هربرت كلين عن صبى أنقذ من معسكرات الاعتقال النازية أيضاً ، ويبحث عن أبيه فى أرض فلسطين ثم «الوعد الكبير» اخراج جوزيف ليبتز . (٥)

آل روتشيلد

لعل أهم فيلم صهيونى أنتج فى الولايات المتحدة الأمريكية فى الثلاثينات هو فيلم «آل روتشيلد» اخراج الفريد وركر عام ١٩٣٤ ، وتشيل جورج ارليس ولوريتا يونج



شارلى شابلن فى دور الدكتاتور الكبير

وبوريس كارلوف وروبرت يونج .

وعائلة روتشيلد «عائلة من رجال المال ويهود البلاط يعود أصلها الى فرانكفورت فى القرن السادس عشر . وقد حققت العائلة شيئاً من الثراء فى القرن الثامن عشر بعد أن حقق ماير روتشيلد (١٧٤٣ ـ ١٨١٢) تاجر العملات القديمة أرباحاً طائلة أثناء حروب الثورة الفرنسية . وقد تفرق أبناؤه الخمسة وتوطنوا وأسسوا أعمالهم فى خمسة بلاد أوربية مختلفة ، فاستوطن الابن الأول ناثان ماير روتشيلد (١٧٧٧ ـ ١٨٣٦) فى انجلترا . حيث أصبح شخصية هامة فى عالم المال أثناء الحروب النابليونية بسبب صلاته العائلية فى الخارج . وساهم أكبر أبنائه ليونيل (١٨٠٨ ـ ١٨٧٩) فى تحويل شراء أسهم قناة السويس ، وكان أول عضو يهودى فى البرلمان الانجليزى .

أما الابن الثانى ليونيل والتر (١٨٦٨ ـ ١٩٣٧) فتعود أهميته الى أنه كان يمتلك حديقة حيوانات خاصة ، وان وعد بلفور أخذ شكل خطاب موجه اليه .

وبدأ نشاط العائلة فى فرنسا باستيطان ابن ماير روتشيلد المسمى جيمس (١٧٩٢ ـ ١٨٦٨) فيها حيث أصبح شخصية مالية مرموقة احتفظت بنفوذها الواسع فى عالم المال رغم تغير الحكومات . وورثه خمسة أبناء من بينهم البارون ادموند دى روتشيلد الذى تبنى النشاط الصهيونى فى فلسطين» (٦)

السينما اليهودية

ان السينما التى تستطيع أن نطلق عليها أكثر من غيرها ، تعبير السينما اليهودية «هى تلك السينما الناطقة باللغة اليديشية فهى سينما تعبر عن ثقافة الجيتو اليهودى خير تعبير . ولكن لأن هذه السينما أيضاً لا تعبر عن «اليهودية» كديانة من الديانات ، لذلك فان التسمية الصحيحة لها هى السينما اليديشية .

واليديشية لهجة ألمانية جنوبية يستخدمها يهود شرق أوربا . وقد أشتق اسمها من كلمة «يهودى» وقد ظهرت اليديشية بين عامى ١٠٠٠ و ١٢٥٠ ميلادية ، وهى عبارة عن خليط من المفردات الألمانية (٨٥٪ من المفردات) دخلت عليها بعض الكلمات السلانية ، ولكن أساسها اللغوى هو المانية العصور الوسطى ، وقد نشأت اليديشية فى ألمانيا وحملها اليهود معهم حينما هاجروا فى القرن الخامس عشر الى بولندا وروسيا . واللغة اليديشية كانت هى لغة الجيتو ، وينشأ الأطفال اليهود فلا يتعلمون لغة سواها اللهم إلا اذا كانت العبرية . ومعظم المفكرين الصهاينة يتحدثون إما اليديشية أو الألمانية» (٧) وقد بدأت السينما اليديشية فى الولايات المتحدة فى أواخر عصر السينما الصامتة حيث كان الحوار يطبع على الأفلام فى كادرات منفصلة . وكان ذلك فى أفلام مثل «مازل توف» عام ١٩٢٤ ، و «القلوب المحطمة» عام ١٩٢٥ ، و «الجانب الشرقى لمسارى» عام ١٩٢٩ ، وكلها من اخراج سيدنى جولدوين .

ومع بداية نطق الأفلام عام ١٩٣٧ ، بدأ عصر ازدهار السينما اليديشية الذى وصل الى ذروته فى النصف الثانى من الثلاثينات حيث بلغ عدد الأفلام الطويلة

الناطقة بهذه اللغة حوالى مائة فيلم أغلبها أمريكى ، وبعضها بولندى أو من بلاد أوربية أخرى. الى جانب حوالى ٣٥ فيلم تسجيلى وقصير .

ومن أهم الأفلام اليديشية الأمريكية «الأب ابراهام صوت اسرائيل» عام ١٩٣١ ، و «كول نيدر» عام ١٩٣٩ ، و « يا إلهى يا إلهى» عـــام ١٩٤٠ ، و «اللحن اليهودى» عام ١٩٤١ اخراج جوزيف سيدنى . وأفلام «شباب روسيا» عام ١٩٣٤ ، و «أغنية الأغنيات» عام ١٩٣٥ ، و «قوة الحياة» عام ١٩٣٨ اخراج هنرى لين . وأفلام «يوسف فى مصر» عام ١٩٣٢ ، و «اليهودى التائه» عام ١٩٣٣ ، و «أريد أن أكون أماً» عام ١٩٣٧ اخراج جوزيف رولاند . وأفلام الحقول الخضراء» عام ١٩٣٧، و «المغنى الحداد» عام ١٩٣٨ ، و «أضواء القمة» عام ١٩٣٩ اخراج ادجار اولمير . أما فى بولندا فقد كان أهم مخرجى الأفلام اليديشية هو جوزيف جرين ، ومن أفلامه «بيدل وقيثارته» عام ١٩٣٦ ، و «مهرج عيد البوريم» عام ١٩٣٧ ، و «خطاب الى أم» عام ١٩٣٨ (٨) . وقد انخفض عدد الافلام اليديشية فى الاربعينات ، ثم كاد يندثر بعد ذلك حيث لا يعرف إلا فيلمين طوال الخمسينات ، وهما الاله والانسان والشيطان و «مونتيشيللو : هنا جئنا» اخراج جوزيف سيدنى عام ١٩٥٠ ، وفيلم واحد طوال الستينات ، وهو «الشقيقات الثلاث» ، اخراج جوزيف سيدنى أيضاً عام ١٩٦١ .

والسينما اليديشية «سينما عنصرية» (٩) وترجع جذور هذه السينما الى المسرح اليديشى حيث التأكيد على «الوحدة العرقية والتقاليد والميعاد والقربان والخلاص» . فهى شأنها شأن المسرح اليديشى يرجع معظمها الى التراث اليهودى» (١٠) ورغم أن الحركة الصهيونية سعت الى احياء اللغة العبرية إلا أن أغلب الأفلام اليديشية ، خاصة التى تعتمد على التراث اليهودى، هى افلام صهيونية . ولكنها تعبر عن الصهيونية الدينية أكثر مما تعبر عن الصهيونية السياسة .

ويقول روب ادلمان فى مقالة عن الســـينما اليديشية «يوجد الآن بعث جديد للاهتمام بالأفلام اليديشية . ففى مهرجان نيويورك الأول للافلام الناطقة باليديشية ، والذى ترعاه ثمانية مؤسسات ، تم عرض برنامج من ٩ أفلام عام ١٩٧٨ وتدخل معهد «بيفر» للأبحاث اليهودية لحفظ رباعية جوزيف جرين . كما أهدت الجمعية التاريخيـــة اليهوديـــة الأمريكية ثلاثين فيلماً ناطقاً باليديشية الى معهد الفيلم الأمريكى» . (١١)

هـــل كـــان شـــارلي شـــابلن صهيونيـــاً؟

الحركة النازية

رأينا كيف استخدمت الحركـــة الصهيونية ، ولاتزال ، عنصرية الحركة النازية فى المانيا ضد اليهود فى خدمة أهدافها ، كما فى فيلم «الأرض» اخراج هلمر آداماه ، و «بيت أبى» اخراج هربرت كلين عام ١٩٤٧ . حيث يتم التركيز على اليهود كضحايا للنازية ، بينما لم يكن اليهود فقط هم ضحايا النازية ، ويتم الربط بين اضطهاد اليهود على أيدى النازى ، وبين هجرتهم الى فلسطين وكأن الصهيونية ، أى انشاء اسرائيل ، هى الحل الوحيد المتاح أمام اليهود للتخلص من الاضطهاد .

ولكن هذا لا يعنى ان كل فيلم معاد للنازية هو فيلم صهيونى . وإنما المحك فى ذلك هو مضمون الفيلم ذاته . ومن شأنه تعميم الحكم على الأفلام المعادية للنازية خدمة الصهيونية ذاتها وكأنها حركة معادية للنازية ، وكأن العرب هم امتداد للنازى فى اضطهادهم لليهود ، كما تصور الدعاية الصهيونية، بينما الواقع أن الصهيونية حركة نازية جديدة فى جوهرها ، كما أن التاريخ يثبت أن تعاوناً قد تم بين النازية والصهيونية أثناء الحرب العالمية الثانية ، وبلغ حد توقيع معاهدة بين الطرفين .

ومن الأفلام المعادية للنازية التى انتجت قبل انشاء اسرائيل واعتبرها بعض النقاد صهيونية ، نتيجة تعميم الحكم على الأفلام المعادية للنازية بأنها صهيونية ، الفيلم الأمريكى «الديكتاتور الكبير» اخراج شارلى شابلن الذى انتج أثناء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٠ . صحيح أن شابلن قام فى هذا الفيلم بدور حلاق يهودى يعيش فى الجيتو ، ولكن اليهودى هنا ولا يجب أن ننسى تاريخ انتاج الفيلم ١٩٤٠ ، ليس سوى رمز لضحايا النازية .

إن يهودى شابلن فى «الدكتاتور الكبير» هو «اليهودى الفقير ، اليهودى البروليتارى . ومن الطبيعى أنه فى نفس الوقت الفقير والبروليتارى المنتمى لأى عرق وأى بلد ، وأى زمـــن على الاطلاق» (١٢) كما أن قيام شابلن فى نفس الفيلم بدور هتلر ، وقد كان باستطاعته طبعاً اسناد الدور لأى ممثل آخر ، يعبر عن فكرة أن الجلاد هو ضحية بقدر ما يعتبر الضحية جلاد لنفسه . وحديث اليهودى فى هذا الفيلم عن العالم الجديد الذى يتطلع اليه بعد الحرب ليس اشارة الى أرض الميعاد فى التراث اليهودى كما ذهب بعض النقاد . وإنما اشارة الى العالم الجديد الذى كانت تتطلع اليه كل الانسانية بعد الحرب .

لقد قال شابلن انه صنع فيـــلم «الدكتاتور الكبير» من أجـــل يهود العالم (١٣) ولكن تفسير ذلك يجب أن يكون فى اطار موقفه الانسانى الشامل . وهو موقف أبعد ما يكون عن التعصب لليهود ، أو الاعتقاد فى الصهيونية كحل للمشكلة اليهودية . وقد حاولت الصهيونية دائماً أن تكسب شابلن باعتبار أصله اليهودى من جهة أمه ، ولكن شابلن كان أحد الفنانين القلائل فى العالم الذين أدانوا الصهيونية صراحة ، وكان ذلك انسجاماً مع موقفه الانسانى الشامل .

ففى عام ١٩٤٧ قال شابلن:الكثير من الناس يقولون «شابلن يهودى» أنا لم أنكر أصلى ، كما أنى لم أتباه به .. أنا رجل لا يختلف عن الآخرين .. هل يقلل أصلى من شأنى ، أم يضفى علي أهمية أكبر ؟ لا أعتقد أنه ينبغى ارسال اليهود الى فلسطين . معنى هذا أن يتم ارسال الكاثوليك الى روما . يتعين على الأمم المتحدة ألا تعاون أية دولة للاقليات أو المجموعات العنصرية . ولو تقرر هذا فان الأمر يعنى أن الحرب قامت بدون جدوى

... من حق اليهود الذين ولدوا فى دولة ما مثل بولندا أو المانيا أن يعيشوا فى هذه الدولة مثل بقية المواطنين ان مولدهم وحياتهم يكفلان لهم هذا الحق» .

ويستطرد شارلى شابلن فى تصريحه التاريخى «يتحتم عدم تحويل فلسطين الى معسكر اعتقال لليهود ... إن هذا «التصدير لليهود» يؤدى فى الواقع الى انشاء مشكلة يهودية .. وأنا أعرف الكثير من اليهود ، وقعوا ضحية الدعاية .. لقد تلوثوا بدون وعى بالكراهية لليهود ويعيشون فى حالة رعب وخجل من أنفسهم ومن شعبهم ، ولا شك أن هذه أكبر مأساة فى عصرنا .. ان اليهود يسعون بأنفسهم الى الهروب ، والى حفر قبورهم ، بل والى احتقار ذاتهم .. ان تسلل السم الهتلرى فى جسد العالم بلغ درجة جعلت المضطهدين يضطهدون أنفسهم . لقد تحولوا الى جلادين لأنفسهم» (١٤) وربما يفسر هذا التحليل أيضاً سبب قيام شابلن بدور اليهودى وبدور هتلر فى فيلم «الديكتاتور الكبير» .



ويروى كامل التلمسانى فى كتابه «عزيزى شارلى» عام ١٩٥٧ موقف شابلن من مصر ، بعد تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ ، فيقول :

«وقف عزيزنا شارلى بجوار جمهوريتنا الشابة ، وشعبها المكافح يوم كانت الجمهورية وشعبها فى حاجة حيوية الى مناصرة الرأى العام العالمى لقضيتنا العادلة الخاصة بتأميم قناتها ، وحقها المطلق فى الاحتفاظ بسيادة أراضيها ، وحريتها وسلامها . كان يتابع أحداث بلادنا يوماً بيوم ، ويترجم صديق عربى له اذاعة القاهرة حتى يقف بنفسه على حقيقة أنباء المقاومة الشعبية ، وحتى يعرف حقيقة انباء المعتدين على استقلال وحرية هذه الجمهورية الشابة التى وقفت فى جرأة نادرة رائعة تعيد للانسانية ثقتها بنفسها لتقول لطغيان الاستعمار المتجبر لا .

لقد هزت شارلى هذه الجمهورية العارفة لحقوقها ، والتى خرج منها عبد الناصر ، والتى جعلت المعجزات تسير فى ركابه ، حتى أصبحت المعجزات روتيناً فى حياة بلادنا فى أيام رجل المعجزات هذا الذى انبته صعيد مصر» .

أدلى شارلى بحديث صحفى نشرته وترجمته له أكثر من جريدة ومجلة فنية وغير فنية ، ولم يمنعه من تصريحاته المستنكرة للعدوان علينا ان اهم المعتدين هم رجال حكومة انجلترا . ولقد عادى شابلن ـ المنصف للحق ـ حكومة بلاده هذه من أجل قضية شعب لا تربطه به صلة إلا صلة الحق والعدالة والانسانية ، وقف فى صف بلادنا ضد حكومة بلاده فى وقت هو فى أشد الحاجة فيه الى الاحتفاظ بجنسيته الانجليزية بعد ما كان من موقفه من أمريكا ، وموقف حكومتها منه .

قال شابلن للصحفيين : ـ

ـ إن واجب ادباء العالم وكتابه اليوم هو الكتابة عن الكفاح الشعبى المسلح فى مصر وإن هذه المهمة ليست مهمة أدباء مصر وحدهم ، بل هى أيضاً واجب الأدباء والكتاب الشرفاء فى العالم كله .

وقال :

ـ إن مصير الاستعمار حتما الى زوال . انه لا يبنى سياسته على أسس علمية ولذلك يعتقد المستعمرون اليوم أن هزيمة الشعوب لا تستحيل عليهم . ان قواعد الاستعمار العسكرية كاسرائيل وغيرها ستلغى جميعاً بارادة الشعوب ...

ثم قال عن اسرائيل :

ـ إن الدولة التى يقوم كيانها على دعوة عنصرية دينية لا يمكن لها أن تعيش ، ولا يمكن لها البقاء ... لقد أقام الاستعمار اسرائيل لتصبح قاعدة له فى الشرق الأوسط يضرب منها شعوب هذه المنطقة كلما أرادت الثورة عليه أو الاستقلال عنه ... (١٥) .

سمير فريد

هـــوامـــش

١) مصطفى درويش : فلسطين ولغة السينما ـ مجلة «الكاتب» المصرية عدد مايو عام ١٩٧٣ .

٢) د. عبد الوهاب المسيرى : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية القاهرة عام ١٩٧٥ .

٣) مصطفى درويش : المرجع السابق .

٤) سمير فريد : السينما الصهيونية ـ جريدة «الجمهورية» المصرية عدد ٢٠ اغسطس ١٩٧٠ .

٥) مصطفى درويش : المرجع السابق .

٦) ـ ٧ ـ د. عبد الوهاب المسيرى : المرجع السابق .

٨) علي أبو شادى : السينما الناطقة باليديشية ـ بحث مقدم الى المهرجان الدولى الرابع لأفلام وبرامج فلسطين فى بغداد عام ١٩٨٠ .

٩) ١٠ ـ ١١ روب اللان : السينما اليديشية ـ مجلة «فيلم إن ريفيو» الأمريكية عدد يونيو ويوليو عام ١٩٧٨ .

١٢) مارسيل مارتان وآخرين : شارلى شابلن ، ـ ترجمة ابراهيم العريس عام ١٩٧٩ .

١٣) باكستر فيليبس : سينما القهر وسينما التحرير ـ نيويورك عام ١٩٧٧ .

١٤) شارلى شابلن : جريدة «فران تيرو» السويسرية فى ٢٨ يناير عام ١٩٤٧ .

١٥) كامل البستانى : عزيزى شارلى ـ القاهرة عام ١٩٥٧ .

نافذة على الثقافة العالمية

محمد العزب موسى

نـــاسك من الغـــرب

لم أجد كاتباً غربياً مهتماً بقضية الألوهية والجانب الروحى فى الانسان قدر دكتور بول برنتون الكاتب والمفكر الانجليزى المعاصر ، ومن عجب أن هذا المفكر على فرط شهرته فى الغرب والعالم (وبخاصة فى انجلترا والهند) لا يكاد يكون معروفاً فى شرقنا العربى ، إذ لم أعثر على أية ترجمة الى العربية لواحد من كتبه الكثيرة المثيرة ، ولا أكاد أعثر على مثقف عربى واحد قرأ له أو سمع باسمه (!) ولست هنا بصدد تفسير هذه الظاهرة ولكنى أسجلها فحسب بشىء من الحيرة ، إذ ما كان الأحرى بكتابات دكتور برنتون أن تنتشر فى بلاد الاسلام حيث مناخ الروحية والايمان بالله ، ولاسيما أن هذه الكتابات على استقلالها وحريتها ليس فيها ما يتعارض مع الفكر المستنير .

اكتشفت الكاتب والمفكر الانجليزى دكتور بول برنتون حين قرأت له عرضاً منذ سنوات بعيدة كتاباً بعنوان «البحث عن مصر الخفية» ، كان عبارة عن سياحة روحية تأملية قام بها المؤلف فى مصر خلال الثلاثينات منقباً عن بقايا وآثار المعارف الخفية والأسرار القديمة ، وقام خلال سياحته بتجارب غريبة منها أنه قضى ليلة كاملة داخل الهرم الأكبر ، وكتب فصلا بديعاً عن تلك التجربة المخيفة حيث قبع فى الظلام الدامس داخل غرفة الملك خوفو بعد أن أغلق عليه الحراس أبواب الهرم وانصرفوا ، وحدثت له فى تلك الليلة تجربة «طرح روحى» إذ خيل اليه أن روحه قد هامت خارجة عن جسده حتى نظر تحته فرأى جسده مسجى بلا حراك فوق التابوت ، والتقت روحه بأرواح قديمة تبادلت معها أحاديث مختصرة بالغة العمق والدلالة ، بدون ألفاظ منطوقة ، ثم اصطحبتها هذه الأرواح فى جولة داخل دهاليز سرية بالهرم !

وبالرغم من غرابة هذه التجربة وأشباهها إلا اننى لم أستطع أن أمر بها بخفة وعدم اكتراث كخيال كاتب ذى شطحات ، فالمؤلف كما يبدو من أسلوبه على قدر كبير من الثقافة والوعى والجدية ، وهو قادر على تأصيل أفكاره واقناع القارىء بها ، كما أنه حاصل على أرفع الدرجات العلمية من جامعات الغرب .

وعلمت فيما بعد أن بول برنتون واحد من كبار المهتمين بالأبحاث والتجارب الروحية وظواهر ما وراء المادة والطبيعة ، وقد ولد فى لندن عام ١٨٩٨ ، ودرس فى أرقى المعاهد الانجليزية حتى حصل على درجة الدكتوراه فى فلسفة النفس ، ثم اشتغل بالصحافة فى بلاده ولمع سريعاً وكاد يصل الى صفوفها الأولى فى سنوات قلائل ، ثم فجأة تغلبت عليه اهتماماته المبكرة فى الفلسفة والتصوف والاديان المقارنة ، فترك مهنته وبلاده ، وقام بسياحات طويلة مضنية فى بلاد الشرق باحثاً عن الصوفيين والزهاد ، والنساك ، والقديسين ، ورجال اليوجا ، والرهبان البوذيين كى يحاورهم ويقتبس منهم ويقف على حقيقة معارفهم ، وعندما عاد الى بلاده بعد أن تجاوز منتصف العمر لزم الريف البريطانى حيث كتب عن رحلاته وتجاربه وتأملاته مجموعة من أروع الكتب وأعمقها .

وقد شوقنى كتاب «البحث عن مصر الخفية» للاطلاع على أعمال أخرى للكاتب وجدت اسماءها مكتوبة على غلاف الكتاب ، غير أنى لم أعثر فى ذلك الحين على أى واحد منها . ومرت السنون الى أن قمت بجولة فى جنوب الهند فى خريف عام ١٩٧٧ وفى محل لبيع الكتب بأحد فنادق مدينة مدراس عثرت ـ لفرحتى الشديدة ـ على كل أعمال الدكتور بول برنتون فى طبعات هندية رخيصة الثمن ، فاقتنيتها لاحتفظ بها ككنز فكرى ثمين .

فى خفايا الهند والهيمالايا

من أروع كتب بول برنتون وأكثرها تشويقاً كتابه الأول «البحث عن خفايا الهند» وهو يسجل رحلة «الأوديسية» المهولة فى ربوع الهند بحثاً



المفكر الانجليزى المعاصر دكتور بول برنتون

عن خفاياها الروحية وحكمتها القديمة على النحو الذى رأينا مثيلا له فى كتابه الثانى عن مصر وقد استغرقت رحلة الدكتور برنتون فى ربوع الهند زهاء أربع سنوات قضاها متجولا على قدميه أو مستخدماً أبسط أنواع المواصلات، لا تفت فى عضده المخاطر والمشاق وقلة النقود ، وبدون أن يسعى للاتصال بأصحاب النفوذ من انجليز أو هنود ، فقد أراد أن يعيش فقيراً بين الفقراء وهو يقتحم المدن الهندية المكتظة ، والغابات الموحشة ، والجبال الصامتة ، بحثا عن حكمة الهند الخفية التى ظلت محجوبة عن الأعين المتلصصة آلاف السنين . فكان يقطع مئات الأميال للقاء ناسك فى قلب غابة ، أو «مهاريشى» فوق قمة جبل ، أو «يوجى» فى معبد ناء ، وهى مهمة عسيرة ليس لأن الهند فحسب بلاد شاسعة وإنما لأنها أيضا مليئة بنوعيات لا حصر لها من الدجالين ، والمشعوذين ، والحواة والمهرجين ، والبلهاء الكثيرين ممن ينبغى على الباحث عن الحقيقة أن يزيحهم بمرفقيه جانباً وهو يشق طريقه بينهم بصعوبة ، وسود برنتون خلال رحلته آلاف الصفحات أودعها عشرات النماذج التى التقى بها ، ولكنه عند عودته الى انجلترا وعكوفه فى الريف البريطانى على اعداد أوراقه للنشر اختصر حجم الكتاب الى نيف وثلثمائة صفحة من الحجم الكبير اقتصر فيها على عدد محدود من النماذج التى توسم لديها شيئا حقيقيا .

ومن الهند نصحب الدكتور برنتون فى سياحة روحية أخرى فى كتابه «ناسك فى الهيمالايا» وهو كتاب بديع آخر يصعب تصنيفه تحت أى فرع محدد من فروع التاليف لفرط تنوعه الأدبى والفكرى ، فيه نصحب المؤلف خلال سلسلة جبال الهيمالايا قاصداً جبل «كيلاس» المقدس بالتبت فى رحلة استغرقت شهوراً طويلة وسط ثراء من الجمال الطبيعى والفكرى الذى لا مثيل له ، وحيث أتاحت السكينة النفسية الوارفة للمؤلف القيام بتجارب عميقة من التأمل الروحى ، ونعثر خلال صفحات الكتاب على كنز من الاشارات القيمة عن اليوجا والتجارب الصوفية فى ثنايا خلفية متالقة من المناظر الطبيعية الآخاذة التى يصفها المؤلف بحيوية وعمق ممتزجة بتاملاته فى الشئون العالمية والدنيوية وذكرياته عن شخصيات بارزة او مجهولة مرت فى حياته ، كل ذلك مع ملاحظات بقيقة عن الحياة النباتية والحيوانية فى الجبال والسفوح والقمم والوهاد التى يجتازها ، فهو كتاب يحمل القارىء من عتمة المدن المزدحمة وهوائها الخانق الى جو الهيمالايا النظيف الطليق ، وعندما يعود القارىء من هذه الرحلة التى تحمل برنتون مشاقها بدلا عنه ، يجد نفسه أقدر على خوض معمعة الحياة الحديثة .

وقد يرتبط بهذين الكتابين كتاب آخر بعنوان «رسالة من أروناشالا» ، وأروناشالا جبل فى جنوب الهند له مركز سام فى التراث الهندوسى المقدس ، إذ تقول الأساطير التاميلية انه أقدم يابس ظهر فى الأرض وتجلى فى قمته نور الله (من العجيب أن الجيولوجيين المحدثين يعترفون بأن صخوره من أقدم مكونات القشرة الأرضية بالفعل) ومعناه بالسنسكريتية «الجبل الأحمر» أو «جبل النور» وكان يقيم فيه الماهاريشى العظيم الذى حكى عنه برنتون طويلا فى رحلته الهندية وكان لقاؤه به بمثابة الجائزة الروحية الكبرى لتلك الرحلة الشاقة إذ أقام فى كنفه عدة أسابيع يعب من ينبوعه الروحى الصافى . وقد كتب برنتون هذا الكتاب فى شكل تاملات مركزة عميقة أثناء اقامته فى جبل كروناشالا الى جوار الماهاريشى العظيم ، وخصص قسمه الأول لنقد الحضارة الغربية المادية وإظهار افلاسها وزيفها ، وخصص القسم الثانى من الكتاب لبناء فكر جديد يقوم على الروح والرقى النفسى .

الطريق الى الله

وقد كان على دكتور برنتون ، وهو الذى لا يكره شيئاً قدر احتكار المعرفة أو اخفائها ، أن يدل بنى جلدته الغربيين على الطريق العملى الى الجانب الآخر من الحياة .. الجانب الروحى الذى يكتمل به فهم الانسان لذاته .

ولهذا الغرض وضع برنتون كتابين توأمين هما «البحث عن الذات العليا» و «الطريق السرى» .

والكتاب الأول عبارة عن دراسة نظرية وعملية فى فن التأمل ، ذلك الفن الذى نسى تماماً فى زحمة الحياة الحديثة ، وقدم فيه دكتور برنتون منهاجاً متكاملا للتحليل الذاتى الروحى المرتكز على الفلسفات الصوفية الشرقية ، ويستطيع به أى قارىء جاد عادى أن يكتشف ذاته الداخلية عن طريق التركيز الذهنى والقيام ببعض التدريبات البدنية البسيطة التى انتقاها المؤلف من بين أرقى نظم اليوجا الهندية وأكثرها أمناً . وينقسم الكتاب الى قسمين أحدهما تحليلى ويشمل فصولا عن «لغز الانسان» و «تحليل النفس المادية» و «تحليل النفس العاطفية» و «تحليل النفس المفكرة» كما يتحدث عن الأبدية أو ما وراء الزمن ، وعن العبقرية والالهام والوحى والآخر عملى أو تطبيقى ويشمل طرق التحليل الذاتى مع شرح لأسرار النفس ، وأسرار العين ، واسرار القلب .

ناسك من الغرب

● إنه واحد من كبار المهتمين بالأبحاث والتجارب الروحية وظواهر ماوراء الطبيعة

● من أروع مؤلفات برنتون وأكثرها تشويقاً.. كتابه: البحث عن خفايا الهند

أما الكتاب الثانى «الطريق السرى» فهو أيضاً مرشد عملى ونظرى الى الذات الكامنة فى أعماق نفوسنا وكيفية الوصول اليها عبر ذلك الطريق السرى الذى أضحى مجهولا لدى الأغلبية الساحقة من بنى البشر، انه الطريق المؤدى الى «مملكة الله داخل نفوسنا» هناك حيث منبع كل إلهام، وحيث يتحول الذكاء الى حدس وندخل فى دائرة التنوير التى يحيا فيها الصوفيون العظام. والثمرة التى نجنيها من اقتحام تلك القلعة المنيعة هى ما يعرفه الصوفيون بالتجلى.

فهذا الكتاب مثل سابقه عبارة عن طريقة للتحليل الذاتى وصولا الى مركز الضمير أو المطلق الذى هو الله. فكما يقول الحكيم الألمانى ايكرهارت «الله يوجد فى مركز الانسان» ولا سبيل الى الوصول الى هذا المطلق بغير الحياة داخل الذهن، فهذه هى وسيلة المعرفة الحقيقية التى لا تغنى عنها آلاف الكتب، أو كما يقول فولتير «ان أربعة آلاف مجلد فى الميتافيزيقا لا يمكن أن تعلمنا ما هى النفس» ومن يصل الى هذا المركز ينعم بالراحة والسلام والاطمئنان، إنه موطىء القدم الثابت للانسان بين دوامات العالم التى تمور بجنون من حوله.

وقد أفرد دكتور برنتون كتاباً قائماً بذاته للحديث عن هذه الحقيقة المركزية، وهو كتاب كبير الحجم دسم المعلومات بعنوان «الحقيقة الداخلية» يمزج خلاله المؤلف فى نسيج واحد بين ثلاثة مصادر هائلة من المعرفة هى: التراث الدينى المقارن من عقائد وأديان، وتجارب المؤلف الذاتية وتأملاته الروحية والفكرية، وفلسفة ومكتشفات العلم الحديث.

ومن أروع فصول هذا الكتاب فصل بعنوان «الله» وإذا كان من المتفق عليه أن الله تعالى لا يمكن تصوره أو معرفة كنهه، أو كما يقول فقهاء المسلمين «كل ما طاف ببالك فهو ليس كذلك»، إلا أن دكتور برنتون يقترب قدر الامكان من السر المقدس باعتقاده أن الله أقرب ما يكون الى النور، وفى هذا لا يبتعد عن قول القرآن الكريم «الله نور السماوات والأرض».

ويلاحظ برنتون أن العلم الحديث أسقط دعاوى الماديين فى أقمية المادة وجمودها وأثبت إمكان حدوثها بل وضرورة حدوثها، فقد بين العلم الحديث أن التحول بين المادة والطاقة ممكن، فالمادة طاقة مكدسة، والطاقة مادة مشعة والعنصر الأساسى الوحيد وراء هاتين الظاهرتين الطبيعيتين هو الضوء، وكما ثبت عملياً إمكان تحول المادة الى طاقة وضوء كذلك من الممكن نظرياً أن يتحول الضوء الى مادة، ولكننا فى هذه الحالة نكون بحاجة الى فوتونات (ضوء) قوتها أكبر من بليون الكترون فولت لكى نخلق نواة ذرة واحدة، وليست لدينا فى الوقت الحالى – ولا ينتظر أن تكون – أجهزة معملية قادرة على تحقيق ذلك، بل لا توجد أشعة طبيعية تصل الى أرضنا قادرة على انتاج مثل هذه الفوتونات الخلاقة، ولكن قد تكون هذه الظاهرة موجودة ضمن الأشعة الكونية فى مكان ما بالكون، وبذا تكون عملية بناء أكوان جديدة قائمة حالياً بالفعل فى مكان ما بمملكة الله الشاسعة ولكنها ليست تحت قيادتنا أو ملاحظتنا.

وإذا كان كل ما هو مادى فى هذا العالم، بما فى ذلك جسمك المادى والكرسى الذى تجلس عليه عبارة عن تركيز لطاقة ضوئية مشعة فانك بذلك تجد الله فى كل شىء، وهو يحيط بك فى كل مكان «فاينما تولوا وجوهكم فثم وجه الله» فالعالم المادى كله مبنى من الله، ومملوء بالله، وليس هذا خيال شاعر أو صيغة تقريب وإنما حقيقة واقعة لا سبيل الى الهرب منها، انت أقرب الى الله بأكثر مما تتصور، وهو أقرب اليك من حبل الوريد.

هذه فكرة الله التى يؤمن بها بول برنتون وهى أقرب الى الفكرة الصوفية التقليدية، وإذا تعمقنا فيها فسوف نجدها فكرة المؤمنين جميعاً، فالله موجود فى جميع شئون الكون والبشر. على أننا يجب أن نبحث عن الله دائماً فى الداخل أولا قبل أن نبحث فى الخارج، والطريق الى الدين لا يكون بالفكر وحده فالأفكار تختلف باختلاف أصحابها، والدين لا يفهم فقط وإنما يذاب فيه.

إن الفكر يمكن أن يضع ستاراً بينك وبين الدين، وعندما يتمزق هذا الستار، فانك تخرج الى الدين الممكن لأى انسان أن يجد طريقه اليه لأنه موجود فى داخله فعلا ويقيناً. ابحث أولا فى قلبك ثم انظر الى الخارج تجد القوة العليا مجسدة فى كل شىء.

فالله يجب أن يبحث عنه فى الداخل لا فى الخارج، والقوة التى يستشعرها الانسان فى الدين إنما تنبع أيضاً من داخله ولا تأتيه من أى مكان بالخارج، والدين قبل أى شىء آخر هو علاقة شخصية بين الفرد والله كروح خالد وليس علاقة بين الفرد وأية مؤسسة قائمة كمعبد أو كنيسة أو جماعة.

ولن تستطيع أن تسلك هذا الطريق بغير التواضع، فالتواضع الشديد أو الاحساس بفقر القلب هو أساس العبادة، وينبغى أن تسمو العبادة عن الرغبة فى «إملاء» شىء على الروح المطلق حتى لو كان طلباً خيراً أو فائدة مادية أو روحية، فاذا كان الروح المطلق حكيماً وعليماً بلا نهاية فلا أقل من أن تعترف بأنه أعرف منك بحاجتك، فلست بحاجة كى تطلب منه شيئاً محدداً فى العبادة أو الصلاة، وكذلك فانه ليس

● الطريق السرّى مرشد عملي ونظري إلى الذات الكامنة في أعماق نفوسنا

● الله يوجد في مركز الإنسان، ولا سبيل إلى الوصول إلى هذا المطلق بغير الحياة داخل الذهن

● كان يقطع مئات الأميال للقاء ناسك في قلب غابة أو مهاريشي فوق قمّة جبل ، أو يوجي في معبد ناءٍ وهي مهمة عسيرة وغاية في الصعوبة والمخاطر

● لا تحدوني أية رغبة في إقناع الآخرين أو كسب تلاميذ أو أنصار من بينهم ، إن كل ما أفعله هو أنني أشع حقيقة يخيل إليّ أنني اهتديت إليها

بحاجة الى المدائح التى لا تنتهى والصيغ المحفوظة المكررة . المطلوب فحسب لحظة صدق مع اعماق القلب .

لا أحمل رسالة معينة

هذه لمحة عابرة من أفكار هذا الناسك الغربى دكتور بول برنتون ، لمحة أشبه بأصبع صغير يشير الى جبل كبير ، فلا يمكن لأى مقال أن يحيط بكتابات هذا المفكر العظيم ، وإذا كنا قد استعرضنا بعضها فى هذا المقال فتبقى منها دون استعراض مجموعة أخرى من الكتب القيمة ومن أهمها «التعاليم الخفية وراء اليوجا» و «حكمة الذات» و «الأزمة الروحية للانسان» .

والكتاب الأخير بالذات من أهم كتبه على الاطلاق مما يجعله جديراً بدراسة خاصة به ، إذ أنه يحوى تحليلا عميقاً شاملا لأزمة الانسان فى العصر الحديث من كل جوانبها السياسية والفكرية والاقتصادية والنفسية والاجتماعية ومرجع هذه الأزمة جميعاً الى افتقار العصر الحديث الى الروحية وافراطه فى المادية ، ولكن برنتون يعتقد جازماً ان المادية الراهنة لن تسيطر على العالم الى الأبد ولديه «دلائل تنبؤية» بتحول قادم فى الفكر البشرى ، غير أن ذلك التحول لن يحدث فى الأزمنة الحاضرة عن طريق المعجزات ، أى بخرق قوانين الطبيعة ، وإنما سوف يحدث نتيجة لفهم المزيد من قوانين الطبيعة ، وعندما تكتشف طلائع العلماء والمفكرين مساحات جديدة غير مستكشفة من أسرار الكون والانسان سوف تتغير نظرة الانسان الى الوجود بما يشبه فعل المعجزات .

وبرنتون فى النهاية لا يدعى لنفسه أى دور مقدس أو رسالة ولا يبحث عن تلاميذ ، نجده يقول فى بعض كتبه :

«لا تحدونى أية رغبة فى اقناع الآخرين ، أو كسب تلاميذ أو انصار من بينهم ، إن كل ما أفعله هو أننى أشع أية حقيقة يخيل لي اننى اهتديت اليها ، وللآخرين أن يلتقطوها أو يتركوها إذا أرادوا ، إن عليهم أن يتقدموا نحوى بكامل ارادتهم الحرة وليس لأنى أريد أن أقوم بينهم بدور المبشر ، فانا لا أريد أن أحول أحداً عن معتقداته أو أرغمه على معتقداتى ، وبصراحة أقول انى لم أفطن لكونى مكلفاً باية رسالة الى هذا العالم ، كما اننى مستقل عن كل الولاءات ولا أنتمى الى أية مدرسة دينية أو فلسفية أو عقائدية محددة ، ولكن الشيء الوحيد الذى يعنينى القيام به ، إذا منحنى الله القدرة على ذلك ، أن أجعل الناس أكثر وعياً بقيمة نفوسهم ، وأن أقدم لهم ما أعتقد أنه حقائق قد اخفيت بطريقة أنانية أو اكتشفت فى الماضى ثم شوهت بحماقة مع مرور الزمن .

محمد العزب موسى

الإضـــراب عن الـــــزواج

إننى احترم المرأة وأقدر دورها فى بناء الأسرة والمجتمع ، وبخاصة المرأة العاملة والمثقفة ، فليس إضرابى عن الزواج ناتجاً عن عدم تقديرى للمرأة أو للدور الذى تقوم به فى حياتنا ، ولكنه يرجع إلى سبب آخر أقوله بمنتهى الصراحة : لقد تعودت أن أعيش شجاعاً ومرفوع الرأس ، والزواج بمسئولياته ومشكلاته قد يرغم إنساناً مثلى على أن يتخلى عن شجاعته وهو يواجه الحياة من أجل مستقبله ومستقبل أولاده . وأنا لا أريد أن أكون هذا الرجل . وقد يرغمه أيضاً ـ فى سبيل ذلك ـ على أن يحنى رأسه لمطالب العيش وضغط الحاجة .. ومرة أخرى لا أريد أن أكون هذا الرجل .. وأؤكد لك أننى أتحمل من المسئوليات ما يفوق إنشاء بيت وتكوين أسرة ، فليس موقفى هروباً من المسئولية أو من تحمل التبعات ، ولاتنسى آخر الأمر أننى أشعر بعد أن تجاوزت الأربعين أننى قد تجاوزت مرحلة الشباب المتفتح للحياة .

الناقد المصرى الراحل أنور المعـــداوى
في حديث له قبل وفاته سنة ١٩٦٥ بعام واحد

ليلة العجب

عباس خضر

قال محمود لزوجته نبيلة بعد أن وضعت سماعة التليفون :

ـ من كنت تكلمين ؟

قالت فى لهجة مستاءة :

ـ سميحة .

ـ وما لك منفعلة هكذا ؟

ـ «قال ايه» .. تريد أن تشترى فستانا ؟

ـ تشترى ، وأنت لماذا غاضبة ؟

ـ ألا تعرف لماذا ؟ لأنها تريد أن أنزل معها الى السوق وأعاونها فى اختيار فستان ..

ـ وماذا فى ذلك ؟ فهى دائما تستعين بذوقك فى اختيار اللون وبراعتك فى الشراء .

ـ ولكن فى هذه المرة تريد أن تؤجل موعدنا الليلة لزيارة منيرة وزوجها بعد أن خرجا من المستشفى ، وقد ارتبطت مع منيرة على ذلك .

ـ حقا ، هذه الزيارة مهمة ، يجب أن نطمئن عليهما بعد حادث السيارة الذى وقع لهما .

قالت نبيلة وقد تمكن الغضب منها :

ـ هل تريد (حضرتها) أن ألغى مواعيدى من أجل سواد عينيها .. ؟ لا ، لست تحت أمرها .. يجب أن تفهم ذلك ، لن أمكنها من أن تتعود على ذلك .

ـ ستغضب منك .

ـ فلتغضب ..

ـ ولكنها على كل حال صديقتك ، ثم هى تعتمد عليك .

ـ حتى زوجها يضيق بتسكعها فى المحال التجارية ويتهرب منها .. فلا تجد إلا إياى توافقها على هواها ..

قال محمود وكأنما يبغى تغيير الموضوع الذى أثار انفعال زوجته :

ـ ألا قولى لى يا نبيلة ، هل سميحة متخرجة من الجامعة ؟

ـ نعم ، ولم هذا السؤال ؟

ـ أتذكرين يوم أن كنا عندهم فى ذلك اليوم ـ وأظنه كان يوم جمعة ـ فأردت أن أتمدد بعد الغداء وأتصفح بعض الكتب أو المجلات ، لم أجد عندهم أى كتاب ولا مجلة ولا جريدة اليوم التى قرأتها أنا فى الصباح ، تصورى أنها مدرسة دين وليس فى منزلها مصحف !

ـ إنها لا تعرف فى الدين أكثر مما تتداوله العاميات .. أنا مدرسة علوم وأعرف فى الدين أكثر منها ..

ـ وكيف حصلت إذن هى على «الليسانس» ؟

قالت نبيلة وهى تحس فى أعماقها بانها مثل صاحبتها سميحة فى ذلك ، ومما يضايقها من زوجها محمود انغماسه أحيانا فى قراءة كتاب ـ قالت :

ـ أوه .. ياما ليسانسات !

ـ شىء مؤسف أن تصبح الشهادات العلمية بمثابة بطاقات تموين فقط !

قالت نبيلة وكأنها تدافع عن نفسها :

ـ ألم يتعلم الخريجون والخريجات فى كلياتهم ما فيه الكفاية ؟

ـ كلا ، فالمفروض أن يواصلوا اطلاعهم ، وإلا فكأنهم لم يتعلموا ، حتى ما درسوه وامتحنوا فيه ينسونه .. والنتيجة أن الجامعات أصبحت «معامل تفريخ» للقوى العاملة أو «الضعف غير العامل» المتمثل فى الموظفين والموظفات ! والمصيبة أن المعلمين والمعلمات أقل الناس علما واطلاعا !

ـ هل هناك وقت للقراءة والاطلاع ؟

ـ أؤكد لك أن من يريد أن يقرأ لا يعوقه شىء .

كان فكر نبيلة مشغولا بسميحة والخروج معها الى السوق . ساد صمت قطعته بقولها :

أ ـ لابد أنها الآن تغلى ، هل أنا تحت يدها فبمجرد أن تشير إلي أجرى اليها ؟

● ● ●

كانت سميحة فعلا تغلى من الغيظ ..

ـ لا تريد أن تذهب معى ؟ لا ذهبت .. فلأذهب أنا وأشترى ما أريد . وماذا لو أجلت زيارة منيرة الى الغد ؟ طيب يا نبيلة ..

كانت كأنها تحدث نفسها ، وزوجها يسمع ساكتا .. واستمرت تقول :

ـ هى تظن نفسها ماذا ؟ أنا أحسن منها وألبس أحسن منها ..

قال حمدى زوجها :

ـ ولكن لا تنسي يا حبيبتى أنها كانت تنتقى لك الملابس .

ـ تنتقى لى ؟ ماذا تعنى ؟ أتقصد أنى لا أعرف كيف أشترى لنفسى ؟

ـ لا يا حبيبتى لا أقصد ذلك . أردت أن أقول انها كانت ترافقك وتعاونك .

ـ سترى كيف أنتقى لنفسى . قم بنا نذهب بسيارتنا .

كان الزوجان قد عملا بضع سنين فى



احدى البلاد العربية البترولية ، وجلبا فيما جلبا معهما سيارة تعلم عليها الزوج القيادة هناك ، أما هى فلم تستطع ، لأن قيادة النساء للسيارات ممنوعة هناك ، أو هى ممنوعة بحكم الأوضـــاع الاجتماعية ، فهى لا تخرج إلا محتجبة تلبس العباءة السابغة ، وليس من المألوف أن تسير المرأة وحدها ، لهذا كان يستريح حمدى الى مرافقة احدى الزميلات لزوجته ، إذ تدلفان الى المحال التجارية ، وهو ينتظر فى السيارة أو يقصد الى قهوة مختفية فى «زقاق» ويطلب «تعميرة» وكوباً من الشاى ، يقضى الوقت فى التدخين ورشف الشاى. والقهوات هناك أماكن جانبية لا يحتل روادها الأرصفة والنواصى كما فى القاهرة مثلا ، يتطلعون الى الغاديات والرائحات ..

وفى القاهرة ، حيث نحن الآن وقعت الموافقة بين نبيلة وسميحة ، وحيث لابأس على النساء فى تجوالهن منفردات جعلت سميحة تنتقل بين المحال التجارية مقارنة بين الأسعار والأنواع ، وهى تشعر أنها تتحدى .. تتحدى من ؟ هى تتحدى والسلام ..

على حين جلس حمدى ينتظرها فى السيارة ، وقد ندم على أنه لم يحضر رواية يتسلى بقراءتها ، وهو يزمع ذلك ، وينسى ، ويندم دائماً .

كما ينسى أن يسأل الأستاذ محمود عن الروايات وأيها يصلح للتسلية ؟ فقد حاول ـ أى حمدى ـ مرة أن يقرأ رواية فوجد دمها ثقيلا عليه .. لم يكمل تعليمه إذ اقتصر على إتمام المرحلة الثانوية ، وإن كان لا يختلف كثيراً عن زوجته سميحة فى المستوى التعليمى ، ولكنه يختلف عنها فى خبرته الحياتية العميقة الشاملة . وكان أهلها يعارضون فى زواجه بها لأنه لا يحمل مثلها شهادة ، عالية ، ولكنها تزوجته بارادتها لأنها تحبه .

● ● ●

محمود فى منتهى العجب والاندهاش .. ترامى الى سمعه وهو فى حجرته فرقعة قبلات .. وأصوات نسائية تبين منها :

«أهلا يا سميحة ، أهلا يا حبيبتى ، وحشانى موت ..»

ثم مد بصره الى الصالة فرأى سميحة وزوجته نبيلة فى عناق وتفرقع بينهما القبلات !

يا للعجب ! ولكن لا عجب تحت الشمس .

ثم جلست «الصديقتان» فى حجرة الجلوس ، ووضعت أمام سميحة أطباق الحلوى والفاكهة . وجرت كلمات مثل :

كلى من هذا فهو صنع يدى ، سلمت يداك ، لابد أنه لا يعجبك لأنك لم تأكلى منه كثيراً .. الى آخر العبارات النسائية المألوفة والتى تتضمن افتخار صاحبة البيت بما عندها .

سلم محمود ، ثم انتحى جانباً يريد البعد عن ضجة الأولاد : ولديهما الصغيرين وابنة سميحة الصغيرة «العفريتة» .

ورأى أن يفتح التليفزيون ليجذب انتباه الأطفال ويحد من ضجتهم ، وكان الوقت موعد برنامج الأطفال ، وظهر على الشاشة الصغيرة فيلم كرتون ، فجذب انتباه الأطفال فعلا ، واستغرقوا فى مشاهدته .

ومن العجيب عنده أن يرى الصغار يلتفتون أشد الالتفات الى أفلام الكرتون، كما يشاركهم فى هذا بعض الكبار ، وهو يضيق بها كما يضيق بلعبة الكرة التى تذاع بالتليفزيون فى أحيان كثيرة . وإن التفت الى تلك الأفلام لا يفهمها كما يفهمها الصغار .. وهذا وجه العجب !

وجاء بعد برنامج الأطفال برنامج للكبار ، هو «أحداث الأسبوع» . فشغل بمشاهدته ، على حين نام بعض الأولاد ، وانشغل من لم ينم منهم بمشاهدة الصور التى تظهر فى خلال الكلام .

وكان «لقاء الأسبوع» بين زعيمين عرفا بعداء كل منهما للآخر وتبادلهما الشتائم والاتهامات فى الخطب والتصريحات ، وطالما صالت الصحف المنتمية لأحدهما ضد الآخر وجالت فى كيل الشتائم والاتهام بالخيانة القومية .

ورأى على الشاشة الزعيمين يلتقيان فى مكان ما ، ويتعانقان ، ويقبل كل منهما الآخر ..

إنها ليلة العجب ، ولكن لا عجب تحت الشمس ...

عباس خضر



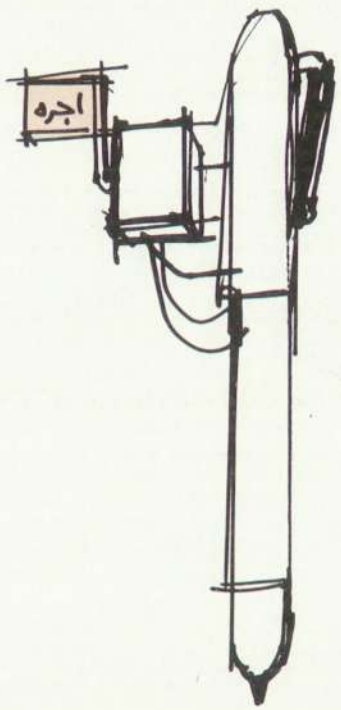
ضحكات الشهر

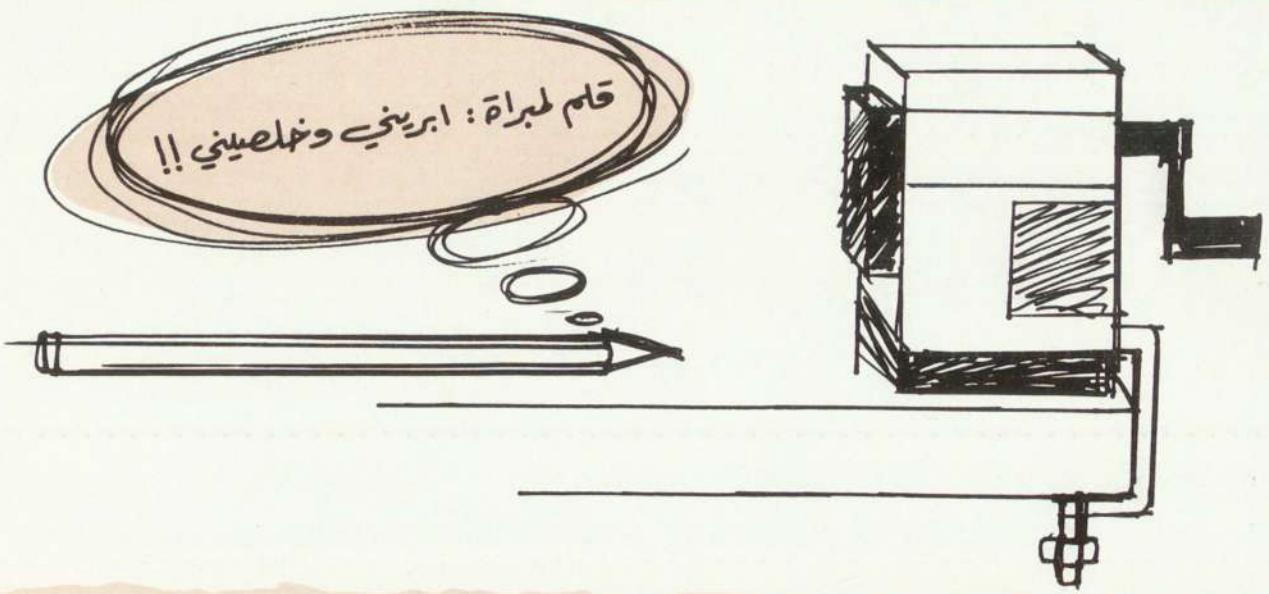


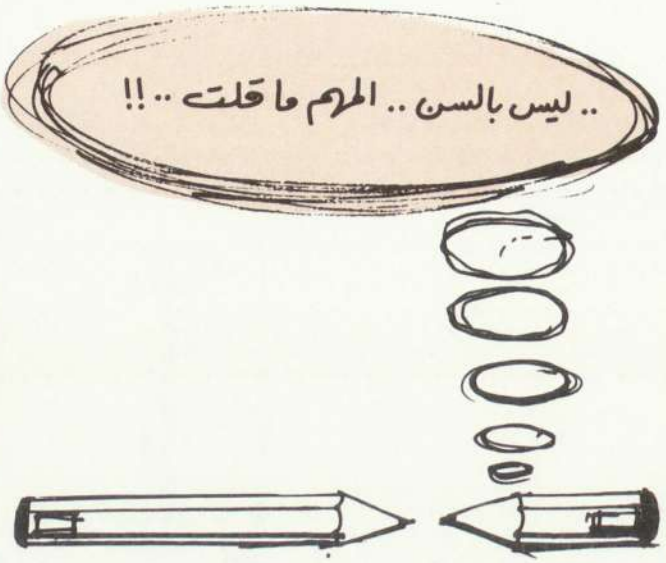
صلاح البيتي

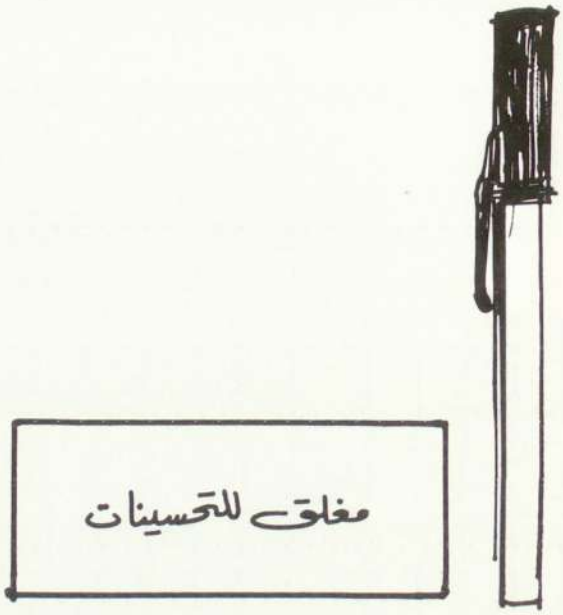
أشياء بتتكلم

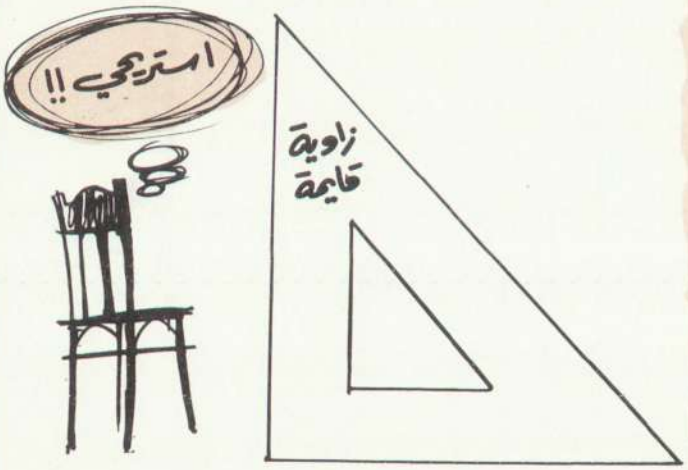




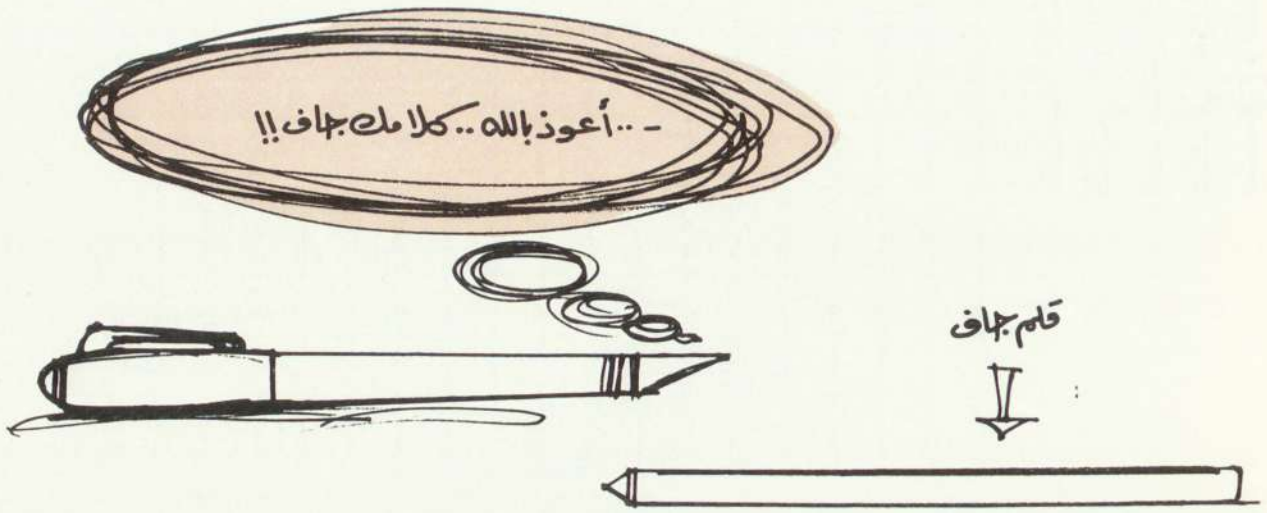



.. ليس بالسن .. المهم ما قلت .. !!


مغلق للتحسينات


امتريحي !!
زاوية قايمة


لاوي بوزك ليه


- ..أعوذ بالله .. كلامك جاف !!
قلم جاف

بَنَفْسَجَةٌ لِلْجَحِيمْ

شعر: حسن طلب

الكسَـادْ
الوجوهُ الكسـادْ
الجَرادُ الوجوهُ الكسـادْ
الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكسـادْ
الجُسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكسـادْ
اصْطَفَتْني الجسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكسادْ
للجحيمِ اصْطَفَتني الجسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكسادْ
بَنَفْسَجَةٌ للجحيمِ اصْطَفَتنى الجسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكسادْ
يا بنفسجةً للجحيمِ اصْطَفَتني الجسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكسـادْ
أَنْ يـا بنفسجةً للجحيمِ اصْطَفَتني الجسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكسـادْ
حنَانَيْكِ أَنْ يـا بنفسجةً للجحيمِ اصْطَفَتنى الجسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكسـادْ
الوجومَ حنانيكِ أن يـا بنفسجةً للجحيمِ اصْطَفَتني الجسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكسـادْ
النجاةَ الوجومَ حنانيكِ أنْ يـا بنفْسَجَةً للجحيمِ اصْطَفتني الجسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكسـادْ
الهُجومَ النجاةَ الوُجومَ حنانيكِ أَنْ يـا بنفسجةً للجحيمِ اصْطَفَتني الجسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكسـادْ
النجاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانيكِ أنْ يـا بنفسجَةً للجحيمِ اصْطَفتني الجسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكسـادْ
المقيمِ النجاةَ الهجومَ النَّجاةَ الوجومَ حنانيكِ أَنْ يـا بنفسجةً للجحيمِ اصْطَفتني الجسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكسـادْ
السوادِ المقيمِ النجاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانيكِ أَنْ يـا بنفسجةً للجحيمِ اصْطَفَتني الجسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكسـادْ
هـذا السوادِ المقيمِ النَّجاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانيكِ أنْ يـا بنفسَجَةً للجحيمِ اصْطَفتني الجُسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكسادْ
سُويْداءُ هـذا السوادِ المقيمِ النجاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانيكِ أَنْ يـا بنفسَجَةً للجحيمِ اصْطَفتنى الجُسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكسـادْ
السَّوادُ سُوَيْداءُ هـذا السوادِ المقيمِ النجاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانيكِ أن يـا بنفسجةً للجحيمِ اصْطَفتني الجسومُ الفسادُ الجرادُ الوجوهُ الكسادْ

كَسَادُ الكَوْنِ يمنعُني رُقادي ... ويُشعِلُ لي قناديلَ السُّهادِ
فليْلي ، والصّباحُ وما تلاهُ ... سَوادٌ .. في سوادٍ .. في سوادِ
فصِرتُ كأنَّ جِنًّا قيَّدَتْني ... فلا ساقٍ تَخِبُّ ولا جَوادي
كأني ، والمكانُ ، ومَنْ عَلَيْهِ ... جمادٌ .. في جمادٍ .. في جمادِ
يُلَوِّحُ باثنتَيْنِ من الأماني ... غَدِي ، لا باثنتَينِ من الأيادِي

فأصْـرُخُ : وَيْ كأنِّي واثْنَتَيْـهِ ... فسَـادُ .. في فسَـادٍ .. في فسَـادِ
فلاهـزَجٌ ، فيَجْـمَحُ بي قَصِـيدِي ... ولاخَبَبٌ ، فيَجْنَحُ بي فؤادِي
فقَـلْبي ، والحَبيبَـةُ ، والقَـوافي ... رمَـادُ .. في رمَـادٍ .. في رمَـادِ
فَـأيُّ الأشْـأمَيْنِ : هَـوًى وشِـعْرٍ ... أُصَادِقُـهُ ؟ وأيُّهُـمَا أُعَـادِي ؟
وأسْـمائي ، إلى أَلِفِي وَيَـائِي ... كَسَـادُ .. في كَسَـادٍ .. في كَسَـادِ !

السَّـوادُ سُوَيْدَاءُ هَـذا السَّـوَادِ المقيمِ النَّجَاةَ الهُجومَ النَّجـاةَ الوُجومَ حَنَانَيْكِ أَنْ يَا بَنَفْسَجَـةً للجَحِيمِ اصْطَفَتْنِي الجُسُومُ الفَسَادُ الجَرادُ الوُجوهُ الكَسَادْ
السـوادُ سويداءُ هَـذا السّـوادِ المقيمِ النجَاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانيكِ أَنْ يَا بنفسجَـةً للجحيمِ اصْطفتني الجُسُومُ الفسادُ الجرادُ الوُجوهْ
السـوادُ سويداءُ هَـذا السـوادِ المقيمِ النجاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حَنانيكِ أَنْ يا بنفسجَـةً للجحيمِ اصْطفتني الجسومُ الفسادُ الجرادْ
السـوادُ سويداءُ هـذا السـوادِ المقيمِ النجـاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانيكِ أَنْ يا بنفسجَـةً للجحيمِ اصْطفتني الجسومُ الفسـادْ
السـوادُ سويداءُ هـذا السّـوادِ المقيمِ النجـاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانيكِ أَنْ يا بنفسجـةً للجحيمِ اصْطفتني الجُسـومْ
السـوادُ سويداءُ هـذا السّـوادِ المقيمِ النجـاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانيكِ أَنْ يا بنفسجَـةً للجحيمِ اصْطفتني
السوادُ سويْداءُ هَـذا السـوادِ المقيمِ النجـاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانيكِ أَنْ يا بنفسجـةً للجحـيمْ
السـوادُ سويداءُ هَـذا السـوادِ المقيمِ النجـاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانيك أَنْ يا بنفسجَـةً
السـوادُ سويداءُ هـذَا السـوادِ المقيمِ النجـاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانيكِ أَنْ يـا
السـوادُ سويداءُ هـذا السّـوادِ المقيمِ النجـاةَ الهجومَ النجاةَ الوجومَ حنانيكِ أَنْ
السـوادُ سويداءُ هذا السـوادِ المقيمِ النجـاةَ الهجومَ النجـاةَ الوُجومَ حنانيكِ
السـوادُ سويداءُ هذا السّـوادِ المقيمِ النجاةَ الهجومَ النجـاةَ الوُجـومَ
السـوادُ سويداءُ هـذا السّـوادِ المقيمِ النجـاةَ الهجومَ النجـاةْ
السـوادُ سويداءُ هـذا السـوادِ المقيمِ النجـاةَ الهجومْ
السـوادُ سويداءُ هـذا السـوادِ المقيمِ النجـاةْ
السـوادُ سويْداءُ هـذا السـوادِ المقيمْ
السـوادُ سويْداءُ هَـذا السـوادْ
السـوادُ سويْداءُ هَـذا
السَّـوادُ سُويْداءْ
السَّـوَادْ

تنشر الدوحة هذه التجربة الشعرية الجديدة للشاعر حسن طلب بهدف أساسي هو «فتح باب الاجتهاد فى الشعر العربى» حتى لا يظل هذا الباب مغلقاً أمام المجتهدين والمجددين من الشعراء ، ونحن نطرح هذه التجربة الشعرية أمام الباحثين والنقاد والقراء ، ليروا فيها رأيهم بالتأييد أو الاعتراض ، وسوف تنشر الدوحة ما تتلقاه من تعليقات حول هذه التجربة الشعرية سواء كانت هذه الآراء بالنقد للتجربة والرفض لها ، أو كانت مساندة ومؤيدة .



عزيزي القارئ

ـ ترى ماذا كان يجرى فى مثل هذه اللحظة منذ قرن كامل ؟ .. كيف كان الناس يعيشون ؟ . ماذا ياكلون ويشربون ؟ .. ماهى همومهم الصغيرة ، وماهى مشاكلهم الكبيرة ؟ . من يسمعون .. ولمن يخضعون وبماذا يحلمون ؟ . ماذا يقراون ومن من الشعراء يحبون .. وكيف يكون الحال لو ان تاريخ العدد الذى بين يديك من « الدوحة » تغير من يونيه ١٩٨١ الى يونيه ١٨٨١ م ؟!

فى الطريق الى الاجابة ، بدا الامر مجرد خيال جموح لا يخلو من عبث جاد ، إلا انه لم يعد كذلك فى حين غرقنا بين مجلدات الدوريات الثقافية التى كانت تصدر منذ مائة سنة . تتخلق امامنا ملامح الماضى ، نشم رائحته ، نتحسس همومه واحزانه واحلامه ، نحاول ان نضحك من فكاهاته . مجلدات متواضعة ولكنها انيقة ، ووقور لكنها ليست ثقيلة الظل ، تُصَف حروفها يدوياً لذلك يندر الخطأ فيها . تطبع على مطابع حجرية وعلى ورق نباتى اصفر ذهب الزمن بلمعته . تباع بالقرش او بالبارة او بالفرنك وتنشر اسماء المتاجر التى تباع بها .

تصدر فى تونس ، او القاهرة ، او طرابلس ، او الآستانة ، او بيروت .

وتتلقى رسائل من قرائها فى قرى فلسطين ، وشمال العراق ، ونجوع اليمن ، بل ومن الهند وسلن باولو . يحررها فى الغالب محرر واحد او عدد قليل من المحررين . يكتبونها من الغلاف للغلاف ، ومع ذلك تبهرك اهتماماتها المتنوعة : علم النفس وعلم الجمال والموسيقى وفلسفة التاريخ ، والمتابعة المثابرة لكل جديد فى دنيا العلم والتكنولوجيا ،

مباحث عميقة بلغة رصينة حية مطوعة لشرح اعقد العلوم . من تقاليدها ان يتوسل المحرر للمشتركين مرتين او ثلاث فى العام ليدفعوا الاقساط حتى تواصل المجلة دورها فى نشر العلم والمدنية فى ربوع البلاد العربية ، واحياناً يرجوهم ان يعذروه لانه سيعوضهم عن فترة تعطل صحيفته باهدائهم كتباً ثمينة «لان رد الاشتراك عن فترة التعطيل محال ، ولا ذنب للمجلة فى عدم صدورها فقد عطلت لتداخلها فى الامور البوليتيقية» !

وهى مجلات لا تكف عن التدخل فى امور البوليتقا جنباً الى جنب مع قصائد الشعراء وابحاث الزراعة والصناعة واخبار المكتشفات والاختراعات ، وابواب النوادر والطرائف ومجادلات النحاة والنقاد ، تتقدم بجسارة لتقود الوطن فى طريق العقلانية والاستنارة وتبشر بحرية الراى والمعتقد والضمير ، وتحرث الأرض ليقظة عربية بدا مخاضها انذاك !

مجلات يحررها جيل من العمالقة لم يجد بمثلهم زمن واحد : الطهطاوى ، والافغانى ، والشدياق ، والنديم ، وال البستانى ، وال شميل . نمر وصروف . محررون يقراون الموسوعات ويؤلفون الكتب ويحققون المخطوطات ، ويكتبون مقالات فى الأدب والطب وعلم الفيزياء وتفسير الأحلام ، فاذا ما انتهوا من كل هذا تفرغوا للرد على رسائل المشتركين ، وساعدوا العمال فى طي النسخ وتغليفها قبل ان يحملها البريد الى قرائها فى اربعة ارجاء المعمورة !

خيالنا الجموح ، قادنا الى متحف الصحف القديمة .. بعد خطوات من البداية غرقنا تماماً فيه ، نسينا حتى السؤال الذى رحلنا نبحث له عن اجابة . بعد كل مقال .. وبعد كل صفحة ، كنا نتذكر هؤلاء الذين تعودوا ان ينظروا بخجل الى كل ماضينا .. كانه عورتنا التى ينبغى ان نسترها ، وجريمتنا التى يتعين ان ننكرها .. فى اعقاب كل مقال ونحن نتساءل بدهشة عن موطن الجريمة فى هذا الماضى الجليل ، الفوار بالاحلام ، والمتلىء بالطموح النبيل للعدل والحرية والاستقلال !

هذه وبعد عزيزى القارىء .. مقتطفات من المجلة التى كان يقراها جد ابيك .. وربما جد جدك عليهما رضوان الله ورحمته ..

إذا استطاعت ان تجعلك تنظر الى الماضى دون خجل .. فقد حققت هدفها ، فنحن نؤمن ان من فات قديمه تاه .. وقد تهنا نحن العرب اكثر مما يحتمل .

«صلاح الدين المقريزى»



انظر إلى الماضي دون خجل

مجلة ثقافية
لمنشئها ومحررها صلاح الدين المقريزي

العدد رقم "١" - مايو ١٨٨١

لقطة

تعطيل الجوائب إلى برهة ما

في يوم الجمعة الماضي جاءنا مدير المطبوعات بالاخطار الآتي متضمنا تعطيل الجوائب مدة ما فنشرنا هذه العلاوة إشهاراً بذلك لحضرة المشتركين في الجوائب ، وهذه ترجمة الاخطار المذكور :

« من حيث انه وجد بعض مقالات أدرجت في نسخ الجوائب الأخيرة اشتملت على افكار سيئة لا يجوز نشرها قد قفلت اعتبارا من هذا اليوم في ٢٣ جمادى الأولى ١٢٩٨ (١٨٨١/٤/٢٣) . فغاية ما نقوله الآن انه حيث لم يصرح في هذا الاخطار بالمقالات المسيئة التي نشرتها «الجوائب» ليتاتى لنا اجتنابها لا يمكننا الخوض في ذلك فنشرنا الاخطار بدون تعرض للمناقشة فيه .

وحيث أن الباب العالي لم يعين مدة التعطيل يترجح عندنا انها غير مديدة . ومهما يكن فانا بعد استئناف طبع الجوائب نعلن المشتركين إذا كنا نسقط عنهم مدة التعطيل او نعطهم في مقابلها بعض كتب من الجاري طبعها مثل احصائيات الممالك وغيرها .

سليم فارس الشدياق



الشاعر في بداية القرن التاسع عشر كما رسمه فنان الحملة الفرنسية (١٧٩٨ ـ ١٨٠١)



تأثير الموسيقى

كتب الدكتور جنغس الطبيب الباريسى المشهور رسالة الى احدى جرائد لندن يتكلم فيها على المعالجة بالموسيقى ونفعها فى تسكين الأمراض ومن جملة ماذكره فيها انه لا ريب فى تاثير الموسيقى او الألحان فى النفوس والاجسام البشرية .

وذهب فيثاغوروس الى ان الألحان علاج ينجح فى امراض مختلفة وذهب مذهبه كثيرون من الأطباء على توالى القرون الى هذه الساعة . وقال اسكيلور ان الألحان تؤثر فى الجسم البشرى باهتزاز اعصاب معينة تاثيرا طبيعيا وتؤثر فى الأخلاق تاثيرا أدبيا وقال غيره من العلماء الأطباء انى عالجت بالحان الموسيقى كثيرا من الأمراض العقلية فكانت تهدى الأذهان المضطربة والنفوس الهائجة وتسكن الجنون وإن لم تبرى المجنون ولذلك ينبغى استعمالها ولا يجوز اهمالها . واقام بينيل اقطع الحجج على نفع الالحان وتاثيرها فى الأذهان فى خطابه العلمى فى الأمراض العقلية . والآن يعالجون المجانين بالموسيقى فى كل المستشفيات المشهورة فى اوربا ويشهدون بتاثيرها النافع فى العقول والأخلاق واعتقاد نفع الموسيقى فى الطب قديم جدا . حكى بندار قال ان اسكولا بيوش نفسه عالج بالموسيقى كثيرين من المصابين (قلت وللاولين فى تاثير الموسيقى اعظم مما ذكر) قال بعضهم ان الألحان تؤثر فى كل حي وزاد على ذلك احد شعراء سورية المحدثين بانها تؤثر فى الجماد فقال :

فشدت فاطربت الجماد وهيجت
حتى علمنا كيف يحيى البوق

النشرة الاسبوعية

التقدم



اديب اسحاق

قد سررنا بتحسن التقدم واتساع دائرته بهمة اللبيب البارع اديب افندى اسحق وقد نقلنا عنه ما ياتى من مقاله فى الحقوق والواجبات .

« من عرض نفسه لعاديات الطبيعة من الحر والبرد والجوع بما يوسوس فيه الجهل مختاراً فى ذلك غير مضطر ولا ملتمس منه نفعاً قريباً معلوماً . ومن عدا على البدن بما يؤلمه من ضرب وجلد وتمزيق واهمال بما يزين له الوهم راضياً فى ذلك غير مكره ولا مستفيد منه له شيئاً . ومن شوه الجسم لو اسقط منه عضوا لازما مفيداً كائناً ما كان ذاك العضو بما يموه له الطمع او الخيال الفاسد عامدا فى ذلك غير مجبر ولا مفتد سائر البدن بذلك الجزء كمن يقطع اليد المتغنغرة وقاية لبقية الجسم . ومن انتزا على حريته الذاتية بالمحو او الانقاص او الاضعاف بما يبعث عليه الكسل او الغباوة او دناءة النفس راغباً فى ذلك غير مقسور عليه . كل هؤلاء مخالفون لاحكام الطبيعة مناقضون للحكمة الالهية الأزلية التى هى عين الجمال ومظهر الكمال ومصدر الوجود وعلة البقاء » .

ترجمة ماريت باشا نقلاً عن المحروسة

ولد أوغست ماريت باشا عام ١٨٢١ فى بولونى سورمير وتلقى العلوم فيها وكان شديد الرغبة فى المطالعة والكتابة فالف كتاباً فى اسماء المدن القديمة والقابها ثم رغب فى تعلم الهيروكليف فافرغ فيه جهده .

وفى سنة ١٨٤٨ عين كاتباً فى غرفة الآثار المصرية فى قصر اللوفر بباريس وفى سنة ١٨٥٠ ارسلته الحكومة الفرنسوية الى مصر بمامورية علمية فذهب الى حيث كانت مدينة منف او ممفيس وشرع يحفر فى تلك الأرض متجولا من منف الى ابيدوس وثيبت وسقاره وكرناك ودندره وجبل برقل وغيرها من الجهات يستطلع خباياها ويستخرج دفائنها واثارها فاكتشفت تحت رمالها هيكل الاله سيرابيس وقبور ثيران ابيس ومصطبة تي وشيئا كثيراً من الآثار القديمة ولبث فى تلك الفيافى اربع سنين يشق احياء الأرض فاستكشف السرابيوم فى منف وكشط الرمل عن ابو الهول فتحقق له ان هذا التمثال العظيم منحوت فى صخر كبير وجد فى تلك الأرض التى لايزال عليها وبعد ذلك عاد من مصر وعين حافظاً لغرفة الآثار المصرية فى قصر اللوفر . وفى سنة ١٨٥٥ أرسل الى برلين لتفقد ما فيها من الآثار المصرية ونال مكافاة على اتعابه نيشان النسر الأحمر ثم عاد الى مصر وعين مفتشاً على الآثار ومحافظاً عليها ثم سمى مديراً لدار الآثار فى بولاق ونال رتبة الميرالاى فصار ماريت بك . وفى سنة ١٨٧٤ نال الجزاء الكبير الذى عينته جمعية العلوم بمصر لمن يحرز قصب السبق فى علوم الآثار (ومقدار هذا الجزاء فيما أظن ٢٠ الف فرنك) وفى سنة ١٨٧٨ عين عضواً لجمعية الآثار والكتابات والرسوم القديمة فى باريس (اكاديمى ديزنسكريبسيون) وكان قبل ذلك مراسلا لها منذ سنة ١٨٦٢ ونال فى سنة ١٨٦١ نيشان اللجيون دونور برتبة اوفيسيه من حكومة فرنسا ثم ترفعت هذه الرتبة

جوائز المؤلفين في بلاد الإنكليز وأرباحهم

قالت الجريدة الانجليزية المسماه جمس غازيت ان اعظم ربح لمؤلف هو ما أعطيه لورد بيكونسفيلد وزير انكلترا الأول السابق على رواية ألفها وهى روايته المسماه اندیمون . فانه باعها بعشرة آلاف ليرا انكليزية . وكان ربح واشنتون ارفنغ على كتاب هو أول مؤلفاته فى انكلترا ألف ليرا انكليزية وكان ربحه فى كتاب آخر اسمه براسيبردج هال الفى ليرا انكليزية وربح كتاب اخر اسمه (تلس اف اترافلر) أى (قصص المسافر) ثلاثة الاف ليرة انكليزية من المستر مورى . واعطى هذا المستر بيرون (الشاعر الانكليزى المشهور) ١٧ ألف ليرا انكليزية على اشعاره المختلفة ورواياته . وكان ربح مور من كتابه ترجمة بيرون ٤ آلاف ليرا انكليزية وكان ربح المؤلفين فى القرن الماضى ليست بكثيرة فكان ربح الدكتور بطرسن من تاريخ كارلوس الخامس اربعة آلاف وخمسمائة ليرا . وربح جنسون من كتابه ترجمات الشعراء مئتى ليرا ومن كتابه المسمى راسيلاس مئة ليرا ومن كتابه فى متن اللغة الف وخمسمائة ليرة وباع الكتاب المعروف بذى ويكار واكفلد لغولد سميث بستين ليرا . وربحت مس برنى من كتابها المسمى افيلينا عشرين ليرا ومن كتابها فى سيسيليا الفى ليرا . ومن كتابها المسمى كاميلا ثلاثة آلاف ليرا .

النشرة الأسبوعية

الآثار القديمة

ذكرت احدى الجرائد أن قد اكتشف اخيرا على مدينة بابلية بالقرب من بغداد موقعها على الترعة القديمة ولقد لقي فيها المكتشف المعلم هورموزد راسام بعض كتابات تدل على عتيق عهدها محررة بخطوط المديانيين والعجميين والمصريين الأقدمين أما المعلم هورموزد فهو الآن يناظر حفراً فى انحاء نينوى وبابل .

(الأهرام)

قاموس الجرائد والبنوك

بعث الينا مستر هبرد من نيوهافن بالولايات المتحدة الاميركانية مثالا لقاموس عام لجرائد الدنيا وبنوكها وكل ما يتعلق بها وهو قاموس كثير الأبواب واسع المباحث وقد رأينا فى المثال المرسل لنا أن فى الدنيا نحوا من ثلاثين الف جريدة وأن ٨٢١١ من هذه الجرائد تطبع فى الولايات المتحدة ويصدر منها فى السنة ١٨٢٦٤٧٣٥٩٢ نسخة و٢٩٢٨ فى بريطانيا ويصدر منها فى السنة ١٧٣٤٨٤١٩٥٦ نسخة وانه يطبع فى باريز وحدها نحو ١٢٠٠ جريدة وفى لندن قدر ذلك مع أن سكان لندن ضعفا سكان باريز . وانه يطبع فى الاستانة العلية احدى واربعون جريدة يصدر منها كل مرة أقل من ٤٥ الف نسخة مع أن جريدة واحدة من جرائد لندن الاسبوعية وهى جريدة لويد يصدر منها كل اسبوع ست مئة الف نسخة وجريدة اخرى يومية وهى الدايلى تلغراف يصدر منها كل يوم مئتان وعشرون الف نسخة . أما جرائد الاستانة فمنها ثمان بالتركية وسبع بالأرمنية وست بالفرنساوية وخمس بالتركية والحروف الأرمنية وثلاث باليونانية وثلاث بالتركية والحروف اليونانية واثنتان بالبلغارية واثنتان بالعبرانية الاسبانيولية وواحدة بالعربية وواحدة بالفارسية وواحدة بالانكليزية وواحدة بالايطالية وواحدة بالانكليزية والفرنساوية .

إعلان

من المقرر المعلوم لدى الخصوص والعموم أن من الأمور اللازمة أن يكون لأهل البلاد العربية وكيل أمين وله وقوف على الأحكام القانونية وعالما باللغتين العربية والتركية ليقوم مقامهم فى مصالحهم المتعلقة فى الدوائر العالية بمحروسة الآستانة العلية. وقديما وحديثا مع تعاطى البيع والشراء فى أمور المتجر تعاطيت بعض المصالح فوقعت عند أهلها موقع القبول ، وحبا بابناء الجنس قد تصديت لهذه الوظيفة وان اكن لست لذلك اهلا ولكن لعل النية تكون مساعدة للعمل واعتمدت قبول من يكلفنى وكيلا عنه فى قضاء مصالحة من الأمور الموافقة للشرع وللنظام متوكلا على الملك العليم ومحل اقامتى بمحروسة الآستانة بمحمود باشا فى سلطان أوله لر .

كاتبه

الفقير محيى الدين خير الشامى

عام ١٨٦٧ الى درجة كوماندور وترفعت ايضا رتبته المصرية الى مقام الباشاوية .

توفى هذا الرجل فى ١٩ شهر يناير الماضى (ك٢ سنة ١٨٨١) بالغا من العمر زهاء ٦٠ سنة فحنق على دار بولاق التى كان مديرها بل هو مبدعها وعلى جمعية العلوم بمصر وهو من أعضائها أن تلبسا السواد حزنا عليه .

وأما تاليف ماريت باشا فهى عديدة منها :

«آثار شتى فى مصر والنوبة» «خمسة كراريس» سنة ١٨٧٢ «كرناك وآثارها» سنة ١٨٧٥ «دنده وهيكلها الكبير» سنة ١٨٨٠ «كلام فى الاستكشافات المصرية من سنة ١٨٥٠ الى ١٨٦٢» «آثار كرناك ونسبتها الى فلسطين وايثيوبيا وبلاد الصومال» سنة ١٨٧٥ «تذكرة فى والدة ابيس» سنة ١٨٥٦ «مختصر تاريخ مصر القديم» سنة ١٨٦٧ «نخب الآثار التى وجدت عند اكتشاف سرابيوم مفيس» سنة ١٨٥٦ «قبور الملوك الأقدمين فى سقاره» سنة ١٨٦٨ «ابيدوس وخبلياها» سنة ١٨٨٠ وله غير ما ذكر عدة رسائل فى الآثار المصرية نشرت فى جرائد فرنسا العلمية .

فلهذا الرجل العظيم يحق القول :

إن آثارنا تدل علينا
فانظروا بعدنا الى الآثار

دوحة القراء



المسابقة

مَن

رحالة مسلم عبقرى ، استفاد الأوربيون من ترجمةكتبه كل الاستفادة . اسمه من ثمانية أحرف فى كلمتين :

٤ـ٣ـ٦ـ٨ أولاده

٨ـ٢ـ٧ نزل

٥ـ١ـ٤ـ٨ بئر قرب رأس خليج العقبة .

أين

المدينة العربية التى انشىء فيها أول متحف فى العالم بالقرن الثالث قبل ميلاد المسيح عليه السلام . كان بها إحدى عجائب الدنيا السبع . اسمها من عشرة أحرف : ٣ـ٢ـ١ـ٤ـ٥ـ١٠

جزء من أمريكا الشمالية .

٦ـ٧ـ٨ـ٩ نعلم

ما

كان من عجائب الدنيا السبع فى الوطن العربى اسمه من كلمتين فى سبعة أحرف :

١ ـ ٧ ـ ٤ ـ ٧ طائر محبوب .

٦ ـ ٥ ـ ٢ ـ ٣ ـ هـ اداة حرب

الإجابة الصحيحة

(١) كتاب «تهافت الفلاسفة» من تاليف : أبى حامد الغزالى ـ الشهيد سيد قطب ـ مصطفى صادق الرافعى

(٢) كفى بك داء أن ترى الموت شافياً أكمل البيت وانسبه الى قائله .

(٣) نفى نابليون الى جزيرة سانت هيلانه ، ونفى سعد زغلول باشا الى جزيرة سيشل ، ونفى محمود باشا سامى البارودى الى جزيرة كانت تسمى سابقاً :
شراعوه ـ الاسحاط ـ سرنديب ـ تيران وصنافر .

(٤) « الزاج الأخضر » اسم اطلقه مؤسس علم الكيمياء جابر بن حيان الأزدى على ملح نعرفه فى الكيمياء المعاصرة باسم :
كبريتات الحديدوز ـ كبريتات الصوديوم ـ كبريتات الخارصين .

(٥) الخام الذى يستخرج منه الألمنيوم يسمى :
البوكسيت ـ الدولومايت ـ الهيماتايت .

(٦) شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم كان الشاعر :
حسان بن ثابت ـ عاصم بن ثابت ـ ثابت بن قرة .

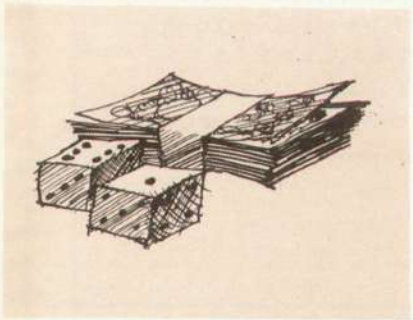
(٧) القائد الصهيونى الذى احتل مضيق نقب ام إتلا فى سيناء فى نكبة يونيو ١٩٦٧ هـو :
موشى ديان ـ ايريل شارون ـ اسرائيل طال .

(٨) الزعيم اليهودى الذى كانت سياسته المعلنة طرد العرب من فلسطين وبلاد الشام كلها الى الصحراء هو :
دافيد بن غوريون ـ جابوتنسكى ـ بلنسكر .

(٩) أول قائد للجيش المصرى فى حرب فلسطين الأولى عام ١٩٤٨ كان المرحوم :
أحمد عبد العزيز ـ أحمد فؤاد صادق ـ محمد على المواوى .

(١٠) استشهد البطل عبد القادر الحسينى بمعركة حول القدس فى القسطل ـ دير ياسين ـ خان يونس

من أمثال الشعوب



● من السهولة أن تجود بمال غيرك .
« أمريكا »

● المسافة بين كلمة لا . . . وكلمة نعم عند المرأة ، لا تسمح بمرور رأس الابرة .
« اسبانيا »

● ينام عميقاً من لا يملك ما يخاف من فقدانه .
« فرنسا »

● من كد فى عناء ، أكل فى سعادة .
« الصين »

● الوقت والفرصة ليسا خادمين لأحد
« ألمانيا »

● خسر ومعه من بكى أمام القاضى .
« ايطاليا »

هيثم زرزر سوريا

حل مسابقة العدد ٦٤

مـن : شمشون .
أيـن : كشمير .
مـا : التلمود .

١ ـ ١٩٤٩
٢ ـ ٦ مرات .
٣ ـ الخوارزمى .
٤ ـ غير صحيحة لأن العقارب ليست حشرات ولكنها من عائلة العناكب ثمانية الأرجل والحشرات سداسية الأرجل .
٥ ـ ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه
قائله : بشار بن برد .
٦ ـ حاييم وايزمان .
٧ ـ امرؤ القيس .
٨ ـ مروان الحمار .
هارون الرشيد
أحمد بن طولون
صلاح الدين الأيوبى
٩ ـ ١٩٢٥
١٠ ـ الحجر الجيرى .

كلمات لها معنى

● « لو كان غرس الثقة سهلا كاثارة الشك لتغير حال الدنيـا » .

● « من الصعب أن تقرر أى الفريقين أكثر استفزازا لك : الأغبياء الذين لا يتكلمون أم الأذكياء الذين لا ينصتون »

● « بعض الرجال يقدمون مديحهم وكأنهم ينتظرون الحصول على إيصال بـه » .

● « إن أعمال بعض الأطفال تدل على أن آباءهم أبحروا فى محيط الزوجية دون مجداف » .

● « أكثر المدن اليوم تعانى من تصلب فى شرايين مواصلاتها » .

اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافى
جمهورية مصر العربية

الفائزون بنتيجة مسابقة العدد ٦٤

●فازبالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارى:
بدر عبد العزيز الخطيب / ١٠ شارع قطب شراره / طره البلد / حلوان / ج . م . ع .

● فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : عبد الجبار نبيه الجندلى / حمص / دار الارشاد للشئون الجامعية طالب حقوق / سوريا .

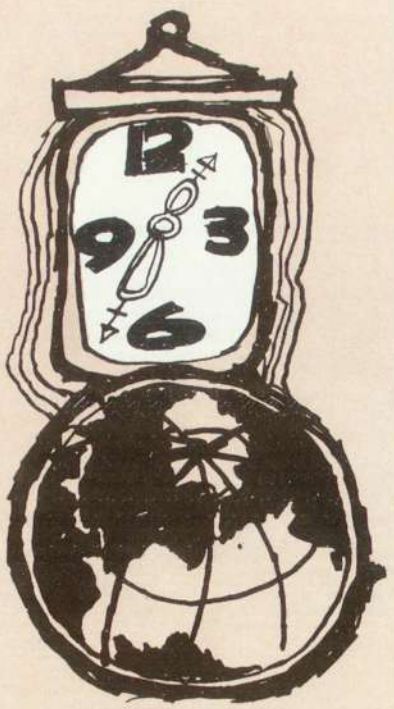
● فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : مناهل عثمان / الشريك / المدرسة الابتدائية / السودان .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ هبـه ربـاح غضبـان ـ لبنان
٢ ـ محمود عبد الله علـي ـ البحرين
٣ ـ صهيب عبد الله علـي ـ أبوظبى
٤ ـ أسماء أحمد الشريف ـ رأس الخيمة
٥ ـ عماد عبد الحميد نصـار ـ الاردن
٦ ـ طايـع الطرمـان ـ الأردن
٧ ـ محمد باجس علي شحادة ـ الدوحة
٨ ـ عبد اللـه الانصارى ـ الدوحة
٩ ـ بشار وليـد قنبـاز ـ سوريا
١٠ ـ زوزو السيد بغـدادى ـ القاهرة
١١ ـ فخر الديـن عليش ـ السودان
١٢ ـ صبرى محمد سـالم ـ بورسعيد

يرجى من الأصدقاء القراء ، أن يكتبوا أسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت لهم .

فى دقيقة واحدة



خلال دقيقة واحدة تقطع الأرض مسافة ١٧٥٠ كلم أثناء دورانها حول الشمس ، وتهب ٣٩ عاصفة ، ويهطل ٤٠٠ متر مكعب من المطر فوق سائر القارات ، ويتدفق ٣٥ ألف طن من مياه الأنهار فى بحار العالم .

وخلال دقيقة واحدة يموت ١٠٠ شخص ويرى ١١٤ طفلا نور الحياة ، منهم ١٢ من التوائم . وخلال الدقيقة ذاتها يتم زفاف ٣٤ زوجا مقابل طلاق ٦ أزواج .

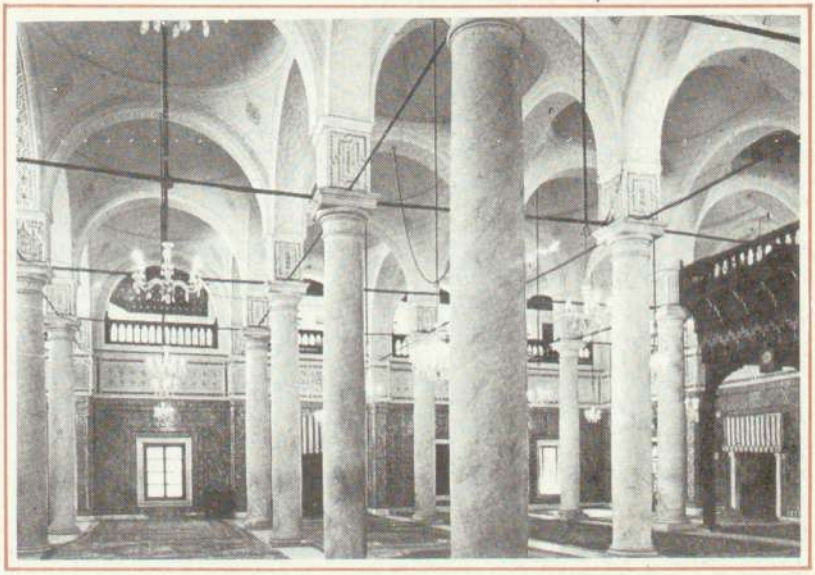
وفى كل دقيقة تجرى ٢٨٠ ألف مكالمة تليفونية ، ويدخن الناس ٦ ملايين سيجارة ، ويشرب سكان العالم ٣٩ ألف هكتولتر من مختلف المشروبات ، ويتناولون ٤ آلاف طن من الأطعمة ، ويستخرجون ٣ أطنان من الفحم ، وينتجون ٧٠ طن من الحديد والفولاذ ، و٤٦ ألف زوج من الأحذية .. !

فوزى المصمودى تونس



دوحة القراء

حاول أن تعرف ...



١ ـ مسجد جامع ينسب الى أحد الباشوات ويقع فى عاصمة دولة عربية .

ماأسم المسجد ، وما أسم المدينة التى يقع فيها ؟

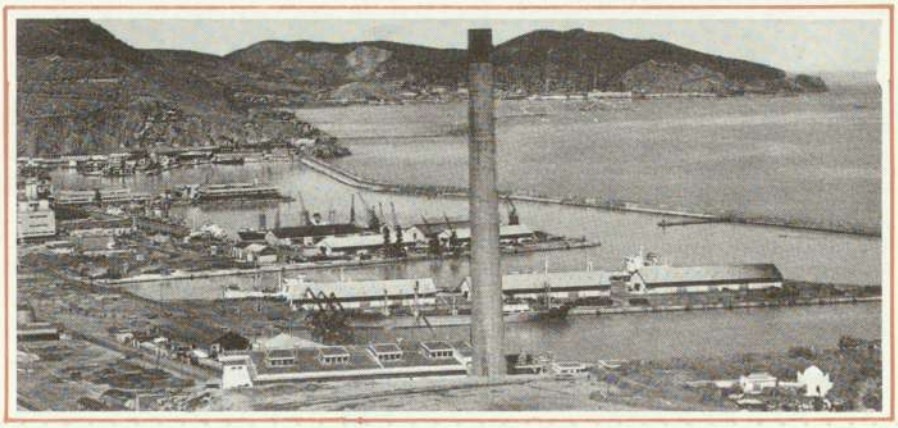


٢ـ جزيرة تابعة لاحدى الدول العربية ، تسكن هذه الجزيرة ملايين من طيور الفلامانجو البحرية ، ويقصدها كثير من الناس لقضاء العطلات

ماأسم هذه الجزيرة وما أسم الدولة ؟ .

حل مسابقة حاول أن تعرف العدد ٦٤

الصورة لمدينة وهران بالجزائر :



١ـ باسم كمال محمود ـ الدوحة

٢ـ محمود حماد سالم الاسماعيلية

٣ـ عجوت عبد الحميد تيزى اوزو

٤ـ كمال كامل سلامة القاهرة

في أدب الزائر

إذا عزمت على زيارة أحد ، فاجعل ملبسك مهندما لائقا به ، ولدى وصولك الى منزله ، نفض حذائيك ، واقرع الباب بلطف ، فان أجبت الى قرعك فأعلن اسمك ، وانتظر الاذن بالدخول ، وإن لم يجب إليه فأعده حتى تظن أنه قد سمع ، وإن لم يفتح لك بعد ، فاعلم أن من تزوره غائب ، أو عنده ما يمنعه من مقابلتك ، وإياك والدخول بدون إذن ، والنظر الى داخل الدور من خصاص الباب ، أو ثقبة المفتاح أو نحوهما ، وإن أخبرك أحد بعدم مقابلة من تقصده ، فلا تبد علامات التكدر من ذلك ، بل انصرف بعد أن تطلب إليه أن يبلغه السلام ، أو تترك له بطاقتك تذكر فيها ما تريده .

أمين رشيد ـ المغرب

كلمات خالدة

● لم تكن جميع المؤلفات التى خطها قلمى ، سوى شذرات من اعترافات بالغة الخطورة .

(جوته)

● القلق مصدر خصب للأدب ، وهو الذى خلق لا مارتين ، وألفريد دى فينى ، والفريد دى موسيه وغيرهم كثير .

(طـه حسين)

● هنا ترقد زوجتى .. دعها ترقد فانها الآن فى راحـة ، .. وأنا أيضا .. !

(دريـدن)

● إذا اصطدمت النار بالجليد ، انتصر الجليد ، كذلك العقل ينهزم أمام القلب .

(سيجمون فرويد)

● الانسان هو الحيوان الوحيد الذى يخجل .. لأنه الوحيد الذى يفعل ما يثير الخجـل .

(مارك تويـن)

● الضحك هو الشمس التى تزيل الشتاء فى وجه الانسان .

(فيكتور هوجو)

فتحى البوهادي ـ تونس

لقطة الشهر



اللقطة للزميل الفنان فتح الله العازم

من أقوال الحكماء

ـ رسولك ترجمان عقلك ، وكتابك أبلغ ما ينطق عنك .

«الامام علي»

ـ قياس الحياة ليس فى طول بقائها .. ولكن فى قوة عطائها .

«كنت روث»

ـ بارك الله فى الرجل الذى يشغله عمله عن القلق فى النهار ويشغله النعاس عن القلق فى الليل .

«ليو ايكمان»

ـ أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله .

«الامام علي»

محمد حسن عبيد محمد
العراق

حل كاريكاتير وتعليق العدد ٦٤



● وراء كل رجل « عظيم امرأة ..!

مكرم بنزينة ـ تونس .

● بدى أكل من لحمك .. !

محمد محمود اسماعيل ـ الأردن

كاريكاتير وتعليق



ضـع التـعليـق المناسـب واربـح ١٠٠ ريـال

د. عماد الدين خليل

عندما يغدو التراث مسرحًا يلعب فيه الصغار

هكذا يغدو (التراث) مسرحاً للعب الصغار !!

إنها مودة العقدين الأخيرين وتقليدهما الشائع .. أن يدس كل واحد من المتعلمين الجدد .. أميين ومتعالمين وأنصاف مثقفين .. يدسون أنوفهم فى تراثنا العظيم .. وبعد خبط عشوائى فيه ، يخرجون وهم ينفضون ريشهم عن أوراقه وغباره المتراكم ويقولون معجبين : هذا نريده .. وهذا لا نريده !!

وإذا سألتهم : لماذا ؟

أجابوك ، وهم لا يزالون ينتفضون : هذا يصلح لعصرنا الراهن وهذا لا يصلح وتحسب ما يصلح وما لا يصلح فاذا به لا يعدو أن يكون واحداً بالألف .. وماذا عن القسم الأعظم من التراث .

يجيبوك : نحكم باعدامه !!

وقد يكون مما يصدر الحكم باعدامه تسعين بالمائة من أدبنا لأنه مكتوب على ورق أصفر .. وقد يكون ثمانين بالمائةمن معطياتنا التاريخية لأنها لم تلتزم المنهج الموضوعى (الحديث !!) فى البحث .. وقد يكون ـ أقسم لك ـ مائة بالمائة من فقهنا لأنه متحجر لا يصلح للقرن العشرين !!

التقيت فى حياتى الجامعية بعشرات من الطلبة دفعتهم مودة العقدين الأخيرين فيما يسمى بعملية الانتقاء من التراث ، إلى ادخالرؤوسهم فى كتبه وأكداسه ثم إخراجها ، بعد يوم أو يومين ، لا أكثر لكي يقولوا نريد هذا ولا نريد ذاك .. واتذكرهم جيدا .. لا يعرفون التسلسل الزمنى للخلفاء الراشدين .. ولا ما هو العصر المكي والعصر المدنى .. ولا فى أية سنة هاجرَ رسولنا عليه السلام الى المدينة .. ولماذا ؟ ولا يعرفون ـ كذلك ـ من هو طه حسين أو الرافعي أو العقاد .. أما أسماء هيغل ، وتوينبى ، وسارتر ، وتولستوى ، وديكنز وهمنغواى وبكت ويونسكو فانها ألغاز ومعميات ..

ومع ذلك يجدون انفسهم ، مدفوعين بهوس الموجة الى التراث لكي يقولوا كلمتهم .. هم أيضاً .. فيه .. !!

وويل لأمة يبلغ بها العبث بتاريخها وأمجادها ومآثرها التى انحنى لها الكبار فى الشرق والغرب .. أن تترك (صغارها) يحكمون فى (تراثها) .. اسمعتم عن مأساة تدعى الانتحار الثقافى ؟ إذن .. فهاهي ذى المأساة .

أن يصدر الحكم على أقسام كبيرة من التراث بالاعدام، أو الأشغال الشاقة ، أو الاقامة الجبرية .. أقسام قد تمتلك من الحيوية والفاعلية ما يؤهلها لأن تلعب دورها لا فى قرننا العشرين فحسب بل فى القرن الخامس والعشرين ..

وعلى يد من يكون الحكم ؟

طلبة متعالمون من الصنف الذى مر بنا قبل لحظات .. واساتذة جامعيون لا يعرفون من الثقافة الحقيقية الجادة إلا ألف بائها .. ولكن النظم الاكاديمية العتيقة ، التى هى بأمس الحاجة لاصلاح جذرى ، حملتهم الى سدة الماجستير والدكتوراه !! .

ولكم أن تتأكدوا بفحص عينات ممن تسلق الى هناك .. وما أكثرها .. يمضى على أحدهم عام وعامان وعشرة أعوام .. ولا من بحث يخرج من بين يديه ولا ـ حتى ـ من مقال . ويمضى على الآخر العقد والعقدان وهو متجمد على أطروحته .. مصلوب على غلافها الذى حمل شرف اللقب .. ماالذى حدث بعد انجاز الأطروحة إياها ، ماذا صدر من كتب ؟ ماذا شهد العالم من تيارات فى ميادين العلوم الانسانية وحقولها ؟ إنه لا يعرف عنها شيئا .. لأنه لا يريد أن يبرح مكانه ذاك .

واذا كان أصحاب الكهف والرقيم قد استيقظوا يوماً ـ بارادة الله ـ لكى يعاينوا عالماً غير عالمهم .. ودنيا غير دنياهم .. فان هؤلاء ليس فى نيتهم أن يستيقظوا لكى تصدمهم آلاف الأشياء الجديدة والمعطيات التى ما خطرت لهم على بال يوم أنجزوا أطروحاتهم تلك ..

اننى لا أدافع عن التراث هنا أو أدعو للتشنج عليه .. فهو ليس شيئاً مقدساً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. وكثيراً ما قلت بان خلاص المسلم المعاصر هو فى ألا يستعبده التراث .. وأن يفتح عينيه جيداً على التيارات المعاصرة والثقافات المتجددة .. لكى يعرف كيف يسير العالم ، ولماذا يتعذب .. وكيف يكون الخلاص بالعقيدة التى أريد لها أن تكون مرفأ البشرية وصراطها المستقيم ..

ومع ذلك .. يبقى التراث .. ذو الأربعة عشر قرناً من العمر .. أكبر حجماً وأطول قامة .. من جل الذين أرادوا سبر أغواره فى أربعة عشر يوماً ، لكى يقولوا كلمتهم فيه .. ولكى يتقبلوا ويرفضوا بمقاييس صنعت على عجل .. صنعها الظن .. والتحيز .. والاندفاع .. والهوى ..



بيبسى

مشـــروب الجيـــل الصـاعدْ